كتب قومية

أسرار الثورة المصرية

بواعثها الخفية وأسبابها السيكولوجية

تقديم: جمال عبد الناصر

بقلم: أنور السادات

كتب قومية

أسرار الثورة المصرية

بواعثها الخفية وأسبابها السيكولوجية

تقديم : جمال عبد الناصر

بقلم : أنور السادات

ملاحظات

(١) يجب استبدال رئيس الجمهورية من رجال الثورة الذين لهم خدمة للشعب لمدة ستة شهور

(٢) يجب انتخاب أعضاء مجلس الشعب تتضمن نسبة العمال والفلاحين

(٣) تتولى وزارة جديدة مسؤولية تعيين رئيس الجمهورية

(٤) يعمل رئيس الجمهورية على تشجيع ترشيح المحافظين بمراقبة سير السياسة

هذا الكتاب ولا شك خلاصة
البواعث الخفية والأسباب
السيكولوجية لثورتنا السلمية
جمال عبد الناصر

مقدمة

للرئيس جمال عبد الناصر

فرغت من تصفح كتاب السيد أنور السادات ، وساءلت نفسى عما دفعنى لهذا الاعجاب به ، فجاءنى الرد المنطقى فورا ، انه ... مضمونه المتحلى بسلامة الأسلوب ، وقوة التعبير ، وطابع البساطة فى سرد الحوادث ، وعرض المواقف ، فى الوقت الذى أرى فيه الكاتب قد تجنب الحديث عن نفسه . فنجده لم يعمد لكتابة قصة حياته ، ولم يقم بتحقيقات صحفية كبرى ، بل قدم لنا سلسلة رائعة متصلة من المشاهدات التى مرت تحت بصره وسمعه ، فجاء كتابه مجموعة لصور حية ، جمعتها ريشة رسام ماهر ، وصورتها فى صورة واحدة ، أبرزت من مجموعها حقائق وأسانيد ، تتيح لنا دراسة أحوال مصر المعاصرة عن كثب .

لقد استخدم أنور السادات هذه السجايا فى جميع أدوار حياته ، كما أحسن استخدامها فى خدمة القضية الوطنية ، فنجده قد سجن فى شهر نوفمبر عام ١٩٤٢ بأمر العدو المستعمر ، ثم أعيد اعتقاله عام ١٩٤٤ لنشاطه الوطنى ، ولكم تحمل من ألوان الحرمان والتعذيب ، فلم تهن عزيمته ، ولم تتزعزع عقيدته ، ولا ولم يفت ذلك فى عضده ، بل ازداد رسوخا وايمانا ، ولا غرو ، فعلى قدر أهل العزم تؤتى العزائم ، فكان له من سنوات سجنه الطويلة فرصة للتفكير ، والتفكير مليا ، حتى رجع بتمعنه وتأملاته

الى آلاف السنين الخوالى ، وطالع ما صدر خلالهـا من مطامع العالم التى شخصت وتجمعت حول هـذا البلد الطاهر ، فظل الشـعب المصرى الابى الـكريم رازحا تحت نير الاسـتعباد ردحا طويلا من الزمان ، متخلفـا بذلك عن تقدم سائر البلدان ، فمـا كاد يفو من معتقله ، حتى صار رمزا حيـا للمطالبـة بالحرية ، ومعبرا صادقا للشعور الجامح الذى سرى فى شعب وادى النيل أجمع ، من البحر الابيض المتوسـط حتى أعالى خط الاستواء ، مطالبـا بالتحرر من الظلم والاستعباد والطغيان ٠

ها هو ذا يكافح بهمة لا تعرف الكلل فى سنبيل المثل العليا ، فى الوقت الذى نرى فيه الجموع العـالمية ، تطالب أيضا بتحقيق العدالة الاجتماعية ، ولا جدوى فى انكار مطالبها ٠

لقد عمل الضباط الاحرار جاهدين ، من أجل اذكاء الحماسة فى القلوب التى ابتأست ، واشـعال الجـذوة فى النفوس التى اتقدت ، حتى يستطيع الشعب الكريم ، مجابهة أعدائه ٠

كان النظام الملكى الرجعى المنوط بأسرة أجنبية ، حائلا دون تقدم البلاد ، فـكان أول لزام على الثورة ، أن تهدمه تماما وتقضى عليه ، لتفسح الطريق أمام نهضة البـلاد ، ثم أصبح لزاما عليها بعـد ذلك أن تقتلع جذور الفساد والمحسوبية والرشوة والرجعية والحزبية المغرضة البغيضة ، حتى تطهر البلاد من الادران ، وأخيرا وليس آخرا كان لزاما على الثورة أن تعبىء الشعور العام ، وتدرب الجموع المتكتلة الحاقدة على عدوها الغاصب لمجابهة ذلك العدو بكل ثقة واطمئنان ٠٠٠ وقد كان ٠

وكم من مرة تأرجحت سفينة الثـورة ، فى ذلك اليم المتلاطم الامواج ، اذ لم يكن من اليسير مقـاومة قوى الانحلال الهـدامة ،

وما اليها من تقاعس وتهاون وخيانة . كان الكفاح طويلا مريرا ، ولكن المثابرة لم تذهب سدى ، فظلت السفينة ثابتة عاتية تتكسر الامواج على دروعها القوية الواحدة تلو الاخرى ، ومضت السفينة تشق طريقها قدما ، فقامت مصر الحديثة ، مصر الجمهورية الفتية .

والآن ، وقد استرد الشعب عزته ، واستعاد حريته ، وأصبح يشعر بكرامته ، ويدرك حق الادراك مصالحه العليا ، المؤسسة على التحرر من الاستعمار والمساواة المدنية والسياسية ، نجد أن الفوارق الاجتماعية التى كانت شاسعة البون ، قد انهارت مفسحة الطريق أمام القيم الاخلاقية التى تقدمتها ، وقد تضافرت فيها الجهود ، وتوجهت بعزيمة لا تعرف الكلل الى الاعمال الناهضة الانشائية ، فالشعار الصريح الواضح لعهدنا الجديد هو التعاون التام للعمل والانتاج .

لقد تسلمت الثورة القيم الوطنية وديعة بين يديها ، وستسير بالشعب المصرى قدما ، فى طريق الانشاء والتعمير ، المحاط بجو الهدوء والاستقرار ، وستتقدم بالامة فى سبيل الرقى والازدهار .

شاهدت مصر فى خلال السنوات العشرين الاخيرة ، أحداثا بدت لاول وهلة ، متشعبة الاطراف ، متعذرة الفهم والادراك ، فاذا ما حققنا النظر فيها عن كثب ، راعنا ما فيها من خيوط مرتبطة بعضها ببعض ، تقودنا لنتيجة واضحة ، فروح السخط التى سادت الجيش من جراء فساد الحكم ، والتألم المرير الذى شعر به المصريون أثر احتلال أرض الوطن ، وعزوف المسئولين عن اجراء اصلاحات أساسية واجبة ، وحرب فلسطين ، الى غير ذلك ... فاذا ما اقتفينا أثر هذه الخيوط تكشف أمامنا منطق واضح سليم ، أدى بنا للنتيجة الحتمية التى حدثت وجعلت ما كان يبدو غامضا فى بادىء الأمر ، واضحا جليا فى نهايته .

لقـد حلل المؤلف فى كتابه الشخصيات والاحداث تحليـلا دقيقا ، مما جعل الـكتاب مرجعا قيما يعتد به ، حاولت جاهدا أن أوضح مضمونه وأن ألخص فصوله المتعددة ، فلم أجد خيرا من هذه الجملة المختصرة :

« هذا الـكتاب ولا شك خلاصة البواعث الخفية ، والاسباب السيكولوجية ، لثورتنا السلمية » ٠

وقف الـكتاب قرب منتصف عام ١٩٥٢ ، سـنة التحرير والبعث ، التي سجلت أحداثا خطيرة لبـلادنا ، اذا ما اسـتعدنا ذكراها ، لرأينا عهدا بائدا تغرب شمسه ، وعهدا جديدا ناهضـا تشرق أنواره ٠

شـكرا للمؤلف فقـد آتاح لنا أن نرى فى الحـاضر المزدهر الخصيب ما يبشر بالمستقبل الباسم الزاهر ٠

جمال عبد الناصر

مفاجأة مع الفجر (١)

- ذهب الملك .. تحيا القيادة !
- أسلحة جديدة لتضليل الشعب
- هل هم من جماعة الاخوان ؟
- اثنا عشر ملكا بدلا من فاروق
- الانحناء دائما سياسة سادة الموقف
- الثورة الرشيدة لاتقبل وصاية من أحد

ان أحدا لم يكن يتوقع شيئا عندما نام ليلته فى نهاية اليوم الثانى والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٥٢ ، فلما أصبح الصباح كان النـاس فى شبه ذهول ٠ فقد توالت الاحداث منذ الفجر على صورة لم يألفها هذا الشعب ولا كانت تستطيع أن تطوف بخياله، بعد أن تاهت منه أحلامه وآماله ، فى ظلمة الايام وسواد الليالى ، طيلة أشهر ستة ثقيلة مرة ٠

رأى كفاحه المسلح من أجل حريته ، ينتكس فجأة يوم ٢٦ يناير ٠٠٠ ورأى مدينته العزيزة تشتعل بالنار التى انطفأت فى اليوم نفسه من معسكرات أعدائه ٠٠٠ ورأى أبنـاءه الذين ذهبوا يذودون عن شرفه وحريته ، يعودون الى المدينة مكبلين بالاغلال ، ليقضوا أيامهم خلف أسوار المعتقل ٠٠ ثم رأى نفسه ، وقد أصبح فى نظر الحاكمين خطرا داهما على أرضه ، ووطنه ومدينته ، فألزموه البيت كلما جاء المساء ، عقابا له على انطلاق آماله ، والزاما له بالتكفير عن خطاياه ٠٠٠

ورأى الاشاعات والمخاوف تملأ الجو من حوله ، حلقات الخيانة والدسائس تحيط بحياته ، وخمسا من الوزارات تتتابع على مقاعد حكمه العرفى ، لم يعرف لمـاذا أتت ، ولا لماذا ذهبت ولـكنه لعنها جميعا فى سره وفى غلنه ٠٠٠ وما كان يملك غير هـذه اللعنات ، وقد سلب القدرة على العمل ، وسدت فى وجهه منافذ الآمال ٠٠٠

وفجأة ، وبدون أية مقدمات ، تحرك الجيش وتوالت الاحداث.

وفى صباح ٢٣ يوليو ، كان الناس بين مصدق ومكذب .. كانت الفرحة تشملهم ، ولكنها فرحة تشوبها المخاوف ، وتنتابها الظنون والتكهنات لأن البيان الذى طلع عليهم لم يشف نفوسهم ، ولم يضىء أمامهم كل المصابيح .

وجاء الاصدقاء الى القيادة ، ونفوسهم تحترق على مصيرنا ، اذا نحن لم نجهز على الملك ، واذا نحن حصرنا هذه الضربة فى نطاق الجيش وحده ، كما فهموا من البيان ...

وأخذوا يذكرون الفساد والاستهتار وما آلت اليه البلاد من فوضى سياسية وخلقية ومعنوية ... ويطالبوننا بالعمل الكبير الحاسم قبل أن تضيع الفرصة ، وتفلت الآمال ...

وكان هؤلاء جميعا أصدقاء ... مجرد أصدقاء ، شباب ، مخلصين .. ولم يكن بينهم واحد فقط من رجال السياسة وقتذاك ..

ومضى يوم ٢٣

ومضى يوم ٢٤

ومضى يوم ٢٥

مرت هذه الأيام الثلاثة ، ولم نسمع فيها كلمة من سياسى واحد ، ولم نر فيها وجها لسياسى واحد ...

لقد لزم فيها جميع السياسيين بيوتهم ، واعتصموا بالصمت والحذر : فلم يتحرك منهم الا اولئك النفر الذين ظنوا أن الملك باق على عرشه ، فهرعوا يقيدون أسماءهم فى سجل التشريفات .. يوم ٢٤

وجاء يوم ٢٦

وما أن وافت الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح ذلك اليوم ، وكان قد عرف فى دوائر السياسة أن فاروقا قد وقع التنازل وانه بسبيل مغادرة البلاد فى الساعة السادسة ، حتى وقعت المعجزة ...

وكانت المعجزة ، هى خروج السياسيين من جحورهم ، وتقاطرهم علينا .

وفود ، وفود من السياسيين ، من جميع الالوان والمذاهب والاتجاهات ، تطرق أبوابنا فى مقر القيادة بثكنات مصطفى باشا، ابتداء من الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح ذلك اليوم ...

جاءوا الينا جميعا ، حتى أولئك الذين قيدوا أسماءهم قبل الامس .. ولاء واخلاصا فى سجل تشريفات الملك ...

دور البطل

ولم يضيع السياسيون وقتا بعد ذلك ...

فمنذ الصباح فى يوم ٢٧ ، بدأت كل هيئة سياسية ، بل بدأ كل سياسى فى هذا البلد ، يعد نفسه لمعركة جديدة يحلم فيها بدور البطل ...

لا شىء قد تغير ، فى نظر السياسيين والهيئات السياسية .

لا شىء ، الا اختفاء شخص الملك ، وظهور أشخاص رجال القيادة ...

كان لسانهم الناطق يقول : ذهب الملك تحيا القيادة !!

وهذا التغير الشكلى ، قد يستتبع تغييرا فى الاساليب ،

وتجديدا فى أسلحة السياسة ، ولكنه لا يستتبع أبدا ، تغييرا فى الهدف .. الهدف الرئيسى لاحتراف السياسة منذ وجد فى مصر محترفوها ...

ومثلما خاض السياسيون المعـارك تحت أقدام فاروق فى سبيل الوصول الى أسلاب الحكم ومغانمه بدأوا منذ اللحظة الأولى لطرده يخوضون معركة جديدة ، يقسمون فيهـا هذه الأسلاب والمغانم ...

وكان لا بد أن يختار كل منهم سلاحا جديدا ينـاسب لون المعـركة الجديدة ... وكان لابد أن يكون السـلاح براقا أمام أسلحتهم القديمة ..

وكان هـذا البريق ، هـو المنطق المعقول الذى يحـاولون الدخول به الى الاذهان . فاذا ما انفتحت عقول الناس لهم ، اكملوا القصة بأكاذيب وأراجيف تعودوا صياغتها ، لـكى يصلوا الى ما يبتغون .

وكانت عقول الناس فعلا ، مهيأة لقبول أى منطق معقول ..

وقد رأى النـاس أشياء لم يستطيعوا فهمهـا ، وسمعوا عن أسماء لا يعرفون عن أكثر أصـحابها شـيئا ، وترددت فى آذانهم اشـاعات لا يستطيعون تكذيبها لان الحقـائق لا تزال مستورة عن عيونهم .

أين الحقيقة

كان الناس يريدون أن يعرفوا من أمر هذه الثورة ومن أمر الرجال الذين يقودونها كل شىء .

كانوا يريدون أن يعرفوا من نحن وأين كنا وكيف اجتمعنا

ومتى اجتمعنا وكيف أعددنا خطتنا وما هى تفاصيل هذه الخطة وكيف نفذناها وماذا ننوى ... وهل لدينا مشروعات معـدة وماذا يدور فى رءوسنا وماذا سوف نصنع ... وكيف نجحنا ...؟

هل من ورائنا قوة معينة .. وما هى هذه القوة ..؟

هل فى صدورنا اتجاه معين .. وما هو هذا الاتجاه .. ؟

أسئلة كثيرة كانت تدور برءوس المصريين جميعا ولم يكونوا يجدون لها جوابا منا .. ولكن .. كانت الاشاعات تجيب » !

وانطلقت أول اشاعة تقول ان هـذه الثورة ، ثورة اخوانية يقودها ويوجهها من وراء الستار الاخوان المسلمون .

وكانت هذه الاشاعة تطوف بالناس وبين يديها دليل يؤكد صدقها ..

فقد كان أول اجـراء اتخـذته الثورة كجـزء من برنامجهـا الضخم فى ازالة آثار المـاضى البغيض ، ومحاسبة المسئولين عنه بالحق والعدل ، هو الامر الذى صـدر باعادة التحقيق فى قضية مقتل المرحوم حسن البنا ، مرشد الاخوان المسلمين ...

ولم يقل النـاس أن هـذا مصرى قد قتل بليـل ، وأحاطت بالتحقيق فى مقتله ، ظروف مريبة ، واتخذت فيه اجراءات شاذة ... ثم طوى على سر دفين ، وقاتل مجهول .. لم يقل الناس هذا ولم يقولوا ان من حقهم كمصريين أن يعاد التحقيق فى هذه الجريمة المنكرة وأن يؤخذ جناتها بالقصاص ..

ولكن قالوا ، ان خلف الثورة جماعة الاخوان المسلمين ..

وبدأ بعد ذلك تساؤل كثير ...

ان كانت هناك صلة بين هذه الثورة ، وبين الاخوان المسلمين

... فمتى بدأت !

والى أى مدى وصلت ؟

وماذا كانت أهدافها ؟

وماذا انتجت ؟

وهل استمرت ، أم انقطعت ؟

وفى جملة واحدة : ما هى قصة الثورة مع الاخوان المسلمين؟

سؤال واحد ، يعود بالذاكرة الى اثنى عشر عاما قبل ظهور هذه الثورة .. الى عام ١٩٤٠ عندما بدأت قصتنا مع الاخوان .

وهذه القصة لا يعرفها المصريون ، ولا يعرفها جمهرة الاخوان ولا يعرفها العدد الاكبر من رجال قيادة الاخوان . وكل ما يعرفه المصريون هو ما ذاع من اشاعات بعد ذلك بأيام .

ومع ذلك ... فليس هذا هو كل ما لابس هذه الثورة من مظاهر ، ومن اشاعات ... ومن محاولات ...

فقد كان هناك الوفد أيضا ...

وللوفد أيضا قصة مع هذه الثورة قصة لا يعرفها المصريون ... ولا يعرفها أيضا عدد كبير من رجال الوفد أنفسهم .

فالناس لا يعرفون أن اتصالنا بالوفد قد بدأ قبل ظهور الثورة بزمن طويل .. ولا يعرفون أننا فى وقت من الاوقات قد وضعنا خطتنا على أساس أن نأتى بالوفد ونفرضه فرضا على فاروق ، كشرارة أولى للثورة ، ثم نكمل نحن تنفيذ الخطة .

لا يعرف الناس شيئا من كل هذا ، ولا يعرفون كيف تخاذل الوفد عن القيام بدوره فى هذه الخطة ، ولا لماذا ...

ولكن هذا كله يعرفه بعض زعماء الوفد ٠٠ الذين حاولوا بعد يوم ٢٧ يوليو أن يفرضوا وصايتهم على الثورة ٠٠٠ وأن يمهدوا لهذه الوصاية بسيل كبير من الاشاعات والروايات ، والمظاهر ٠٠ وأن يحاولوا خلق أمر واقع يحيطون به الثورة ويلبسونها ثوبا لم تفكر فيه يوما من الايام !

وقد بدأ هذا بمجرد عودة مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين من الخارج فى الاسبوع الذى تلا طرد فاروق ٠

عاد الرجلان ٠٠ فعاد النشاط الى أقصاه فى صفوف الوفد

الاجتماعات المتتالية تعقد ٠٠٠

ومندوبو الصحف يسهرون الليالى فى دار الزعامة ٠٠٠

وأعمدة الصحف تمتلىء كل يوم بالاخبار والاسرار والتكهنات والقرارات الخطيرة التى يتخذها رجال الوفد ٠٠!

وعاد الشباب الوفدى فورا ٠ يملأ ردهات النادى السعدى، وعاد الهمس وعادت الهتافات وسارت الاشاعات ، تشكل الوزارة، وتملأ المناصب الهامة فى الدولة، وتتكهن بالمستقبل وتحدد تواريخ الاحداث الخطيرة المقبلة ٠

وسمع الناس أيضا هذه الاشاعات ٠٠ ثم لم يسأل أحد منهم نفسه سؤالا واحدا ، يستطيع أن يقضى عليها ٠٠٠

لماذا عاد النحاس وسراج الدين من مصيفهما بأوربا عقب الثورة مباشرة ؟!

أيمكن أن يكون الزعيمان الكبيران قد ارتحلا الى أوربا ابان أعنف الازمات السياسية التى وقعت فى تاريخ مصر ٠٠ وخلال أحلك الليالى التى مرت بشعب مصر ، منذ احترقت القاهرة ،

واضطربت كل موازين الحكم فيها ، أيمكن أن يكون الرجلان قد سافرا الى أوربا ليفكرا هناك بهدوء فى أمر هذا الشعب الذى يزعمان زعامته ، وهذا البلد الذى حطمه الخراب والطغيان ٠

لماذا يتركان البلاد فى محنتها ، فلا يعودان اليها الا يوم يترامى الى اسماعهما حديث الثورة ، فينبه فيهما شهوة جائعة الى الغنيمة ، وقد ظنا أنها أصبحت سهلة بلا حراس ؟!

ولكن سؤالا كهذا لم يطف بخاطر أحد ممن سمعوا اشاعات الوفد تنطلق فى كل يوم ٠٠٠

وبينما كان الناس فى دوامة الاشاعات كان سراج الدين يعد خطة الاستيلاء على الغنيمة ٠٠٠

خطة الوفد

وكانت خطة الوفد فذة فى نوعها ٠٠٠

فقد بلغ النشاط الوفدى أقصاه ، وملأت الاشاعات جميع الآذان ، اشاعات أن الوفد قد سيطر على الموقف تماما ، وان قادة الثورة قد أيقنوا أنه لا سبيل لهم الى تحقيق أى هدف من أهداف الثورة ، الا اذا احتضن الوفد هذه الاهداف ٠٠٠

وكانت عودة النحاس وسراج الدين من الخارج عقب الثورة مباشرة والزيارة التى قام بها النحاس الى القيادة فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، من الدعائم القوية التى استندت اليها هذه الاشاعات لتصل الى الناس فى صورة الحقائق الثابتة المقررة ٠٠٠

ولم يبق أمام الوفد الا أن يقنعنا نحن أيضا بصحة هذه الاشاعات التى أطلقها ٠٠٠ عنا !

كان الوفد فى هذه المرة يسير وفق خطة على درجة طيبة من الاحكام …

فكان ما نسمعه من فؤاد سراج الدين هو نفس ما نسمعه من الشباب الوفدى جميعا على اختلاف ثقافتهم وألوانهم ..

وكان الهدف من هذا النشاط والهتافات والاشاعات والتحركات ، هو اشعار البلد أولا بأن الوفد يضع خطة المستقبل بوصفه حزب الاغلبية الذى يمثل الشعب وبوصفه القوة الحقيقية التى تستطيع هذه الثورة أن ترتكز عليها ، ولا تستطيع أن تعمل شيئا بدونها …

كان الوفد يريد أن يجعل من هذه الدعوى أمرا واقعا ، لكى يتسلل الينا بعد ذلك ، ويواجهنا بهذا الأمر الواقع : أن القاعدة الشعبية الوحيدة فى البلاد ، هى قاعدة الوفد ، واننا لا نستطيع أن نعمل دون الارتكاز عليها !..

وفى صباح يوم من أيام أغسطس ١٩٥٢ ، أى بعد الثورة بأسبوعين تقريبا ، أيقظونى من نومى فى منزلى لكى أقابل ضيفين يطلبان مقابلتى لأمر خطير …

فدخلت غرفة الاستقبال ، فوجدت زميلين من زملاء المعتقل …

وكان طبيعيا أن نتذاكر شيئا عن الماضى الذى جمعنا فى معتقل واحد فى عهود الظلم والارهاب …

ولكننى أحسست أنهما قد أعدا حديثهما ، ورتباه ونمقاه ، بحيث يلقى كل منهما حلقة من حلقات الحديث فيتبعها زميله بحلقة أخرى ، تكملها فى نفس الاتجاه وفى صورة الكلام العرضى الذى يجلب بعضه بعضا دون تحضير !

ودخلا فى الموضوع .

قال أحدهما :

ـ أنت تعلم طبعا تمام العلم أن هذه الثورة ليست ثورة الجيش ، وانما هى ثورة الشعب ... وكل مصرى حريص أشد الحرص على أن تصل هذه الثورة الى أهدافها كاملة ، فنحن بهذا مسئولون جميعا مسئولية متساوية نحو الثورة ..

أمنت طبعا على هذا الدخول ... فاستطرد الضيف الوفدى نحو هدفه :

ـ ان الكتلة الشعبية لا تتمثل فى أية هيئة أو حزب فى هذا البلد ، الا فى الوفد ... والوفد هو التنظيم الوحيد الذى يستطيع أن يسند هذه الثورة لانه هو الذى مهد لها بل هو الذى بدأها فعلا ...

وأوشك زميله أن يتم الكلام لولا أنى استوقفته لحظة اسأله فيها ، كيف بدأ الوفد هذه الثورة ، وكيف مهد لها ..؟ فقد تكون معلوماتى عن قصة الثورة وقصة الوفد معلومات ناقصة ...

قال الضيف الثانى :

ـ ألا تعلم أن هجوم الوفد فى الفترة الاخيرة على فاروق هو الذى شجع الجيش على أن يضرب ضربته ..؟ وألا تعلم أنه كان متصلا بكم فعلا فى الجيش ؟!

وقبل أن أحاول الاجابة ... سألنى ضيفى فى حماسة ..

ـ كيف تولون على ماهر الحكم ، وهو الرجل الذى لا يستند الى الشعب ولا الى أى حزب من الاحزاب ؟!

وأكمل صديقه قائلا :

ـ ان على ماهر رجل عاش طول حياته يدبر المؤامرات ، وانه فى سبيل أحقاده وكراهيته لبقية الاحزاب سينحرف بالسلطة وسيستغل هذه الثورة لنفسه ، ولن يظفر بايمان الشعب به فى يوم من الايام ...

وكنت ساكتا ، لأعطى الفرصة للضيفين العزيزين ، فأكمل الثانى :

ـ ان هذه الثورة لن تستطيع أن تسير أو تحقق شيئا ما لم تستند الى أكبر قوة سياسية فى البلد وهى الوفد ... ثم ان سراج الدين على أتم الاستعداد للتعاون معكم فى كل شىء ... وأنت نعرف أنه كان ـ وهو وزير للداخلية ـ يوعز لنا نحن الشباب الوفدى بالمظاهرات التى تهتف بسقوط فاروق ، فى نفس الوقت الذى كان فيه يتظاهر بالولاء للملك... وتعرف أيضا أنه هو الذى كان يقود معركة القنال لولا أن الملك حرق القاهرة ، لانه تبين ما يدبره له سراج الدين ..!

ولم أكن أنا اسمع هذا الكلام لاول مرة فقد كان هذا الكلام شائعا فى البلاد ، وكان بعض الناس قد بدأ يؤمن به فعلا . ولكنى كنت انتظر النتيجة التى يريد الضيفان أن يصلا اليها .

مقابلتى لسراج الدين

ولم تطل الجلسة أكثر من ساعة ونصف ... ولم تزد طلبات الصديقين عن طلب واحد فقط هو أن تتم مقابلة بينى وبين فؤاد سراج الدين كى نتفاهم .

ولم يكن هناك ما يمنع من هذه المقابلة .. وقد تمت فعلا .. فقابلت سراج الدين ، وقابل هو غيرى أيضا من الزملاء ..

وكانت مقابلات مثيرة ··· رأينا فيها أمورا كثيرة على حقيقتها وفهمنا ما أراده الوفد بنا وبالثورة وبالبلاد كلها ··

وأكملنا بها قصة الوفد ···

ولكن الناس لا يزالون يجهلونها ··· بل يجهلها الوفديون أنفسهم ·

وكل الذى عرفه الناس فى فجر هذه الثورة ، هو ما أشاعه الوفديون من أنهم·« أسياد الموقف ، شاءت الثورة أو لم تشأ ! » وما دعموا به اشاعاتهم من قصص كثيرة وروايات محبوكة عن قيام الثورة بالاتفاق مع الوفد ·· وعن مستقبل الثورة الموضوع بين أيدى رجال الوفد !

كانت اسطوانة واحدة ، يرددها سراج الدين كما يرددها الضيفان اللذان أشرت اليهما ، وكما رددها كل من لهم بالوفد صلة من الصلات ·

وكنا نسمع هذا الحديث فلا نأبه به ، ونكتفى بالابتسام ·· فقد كنا نرى أمام أعيننا مأساة خلقية من مآسى العهد الماضى ، تريد أن تتخذ لها مسرحا جديدا نشترك نحن فى بنائه واخراج مسرحياته ·

وكنا نبتسم أيضا ، لأن هؤلاء الذين كانوا يخاطبون الشعب بوصفهم «أسياد الموقف · شاءت الثورة أم لم تشأ» كانوا يتحدثون الينا بلهجة أخرى ، بنفس اللهجة التى كانوا يتحدثون بها الى فاروق ··· وكانوا يهدفون من وراء هذه اللهجة الى هدف واحد، هو نفس هدفهم فى أيام فاروق : الحكم ·

وكانوا فى الوقت نفسه يعتقدون أنهم مناورون بارعون ، أمام فئة من العسكريين يجهلون السياسة وفنونها ٠

وبدأ الوفد يفصح عن نفسه أكثر أو بدأ يفضح نواياه بنفسه ٠٠٠ بصورة ظاهرة ٠

بدأ يلوح لنا بسلطات فاروق وأبهته وصولجانه وهى سلطات تكفى اذا وزعت على اثنى عشر رجلا ، أن تجعل منهم اثنى عشر ملكا لا ينقص أحدهم شيء من مظاهر الملك وسطوته ٠

ـ واتركوا لنا بعد ذلك سياسة الحكم ، وكل مسئولية ٠٠

ثم أردف فى اغراء واضح :

ـ ونحن على أتم استعداد لتنفيذ كل ما تشيرون به ٠

وظلت هذه الجملة تتردد فى أذنى وقتا طويلا ٠٠٠

انها نفس الكلمة التى كانت تقال لفاروق من كل رجل يأتى به ليحكم البلاد باسم الشعب ٠

انها الدستور الفعلى الذى جرى عليه حكم مصر ، منذ وجد فيها دستور وبرلمان ٠٠٠ فقد كان دستور الشعب صفحات من الورق ، تغطى بها النواحى الشكلية للحكم « الديمقراطى !! » فى البلاد ٠٠٠ أما الدستور القائم المعمول به ، فقد كان دستور « الانحناء » كان الدستور يتلخص فى هذه الجملة الفذة « ونحن على أتم استعداد لتنفيذ كل ما تشيرون به ! »

وهذا هو الدستور الذى أراده الوفد لهذه الثورة أيضا ٠٠!

هل تغير شيء في نظر السياسيين ؟!

هل ثار الجيش من أجل هذا الشعب ؟!

هل ثار هذا الشعب من أجل حقوقه ورفاهيته ومستقبله ؟!

أبدا .. لم يحدث أى تغيير ... الا أن شخص فاروق قد غاب ، ليظهر فى مكانه أشخاص رجال القيادة .. يقنعون بالمظهر البراق وصولجان الملك وسطوته .. ويتركون مسئولية الحكم لأسياد الموقف ، يسوسونه ، لا بما تشير به مصلحة هذا الشعب ، ولكن بما نشير به نحن ... أصحاب الصولجان الجديد .

انها سياسة الوفاق التى بدأها سراج الدين مع فاروق ، أراد أن يضطلع بها معنا نحن أيضا .

ان رجال الوفد ، أسياد الموقف ، وأصحاب الاغلبية ، والمسيطرين على القاعدة الشعبية فى البلاد ، هم على أتم استعداد لأن يفعلوا باسم الشعب كل ما نطلبه نحن منهم ، على ألا نتحمل نحن أية مسئولية مباشرة ، وهم بهذه الصفات كلها كفيلون باقناع الشعب ، وتنفيذ رغباتنا .. نحن أصحاب الصولجان الجدد !!

انها سياسة « ذهب الملك تحيا القيادة ! » التى اعتقد السياسيون أنهم قادرون على طينا وفرض وصايتهم علينا .. والعودة الى استلاب مغانم الحكم .. الذى لم يكن يعنى فى نظرهم الا الأسلاب والمغانم .

كانت البلاد فى واد وكان السياسيون الذين تزعموها جيلا كاملا فى واد آخر سحيق .

كانت البلاد تفكر فى أهدافها التى طال عليها انتظارها ...

كانت تفكر فى الوسائل العملية التى تخلصها من آلامها الطويلة وشقائها الكثير ‥ من الاستعمار الجاثم فوق صدرها ٠ من آثار الملكية البغيضة فى ربوعها وفى نفوس أبنائهـا من الاقطاع الذى يهدد كيانها ‥‥ ولكن الزعماء لم يكونوا يريدون أن يحسوا بشىء من كل هذا كانوا يريدون أن يعودوا الى كتم أنفاس هـذا الشعب وتكبيله بأغلال العبودية والفقر والمـذلة ، ليظلوا مسـيطرين على مصيره متحكمين فى ثروته ناهبين أرزاقه وخيرات أرضه ٠

تفسير التخاذل

وكانت هذه الحقائق صدمة مروعة لنا نحن الذين أردنا فى يوم من الأيام أن نفرض الوفد على فاروق كجـزء من خطة كبيرة درسناها فى وقتها بامعـان واحكام ‥ وعندما تخاذل الوفد عن تنفيذ دوره فى الخطة ، لم نحاول تفسير هذا التخاذل بأكثر من أنه ‥ خوف ٠

ولكنه لم يكن خوفا ، وكان شيئا آخر سيظهر جليـا عندما يطالع القارىء قصتنا مع الوفد !

ان قصـة الثورة ، قد اتصلت فى فصـول منهـا بالاخوان المسلمين ٠ واتصلت فى فصول منها بالوفد ‥‥

وقال البعض ان الثورة قد أصبحت فى حضانة الوفد ‥

وقلنا انها ثورة مصرية لمصر ‥‥

أما لماذا اتصلت بالوفد ‥‥ ولماذا اتصلت بالاخوان ‥‥ وكيف كانت هذه الاتصالات ، فهذا ما تتضمنه الفصول القادمة من هذا الكتاب ٠

فكرة العمر

- نار على جبل الشريف
- السـلطان عبد الحميد فى منقباد
- آسود علينا عبيد للانجليز
- برقية من نشمبرلين
- رفضنا تسليم سـلاحنا للانجليز
- انقلاب عسكرى فى مرسى مطروح

يظن كثير من الناس ان هــذه الثورة ، دبر لها تشــكيل من الضباط أثر حادث معين جمعهم هدف وتدبير ..

وفى أجواء الظنون ، تجد الاشاعات كثيرا من نقط الارتكاز . تجد النقطة الأولى فى حرب فلسطين .. بين أشلاء الضحايا وخيانات فاروق وعصابته .

وتجد النقطة الثانية ، فى تحقيقات الأسلحة الفاسدة وتدخل الملك لحفظ الدعوى بالنسبة لحاشيته .

وتجد النقطة الثالثة ، فى تصرفات قيــادة الجيش وكبار ضباطه الذين وضعوا أنفسهم فى أحذية فاروق .

ولقد كانت كل هذه الأحداث فعلا ، من الأحداث التى شغلت اهتمام الضباط الأحرار ، واستحثت خطاهم ولــكن نشأة الثورة والتمهيد لها لم يستمد من حادث من الأحداث .

فقد نشأت هذه الثورة نشأة طبيعية ، ونما التمهيد لها نموا طبيعيا لأنها كانت فى كل مراحلهــا ، تفاعلا طبيعيا قويا بين ضمير جيش مصر ، وضمير شعب مصر .

متى نشأت اذن ... واين نشأت ؟

لنرجع الى الوراء ...

الى عام ١٩٣٨

ولنذهب الى منقباد ... !

فى هذه البيئة الخالصة ، حيث يشعر المصرى . بعناصره العريقة تملأ كيانه وتسيطر عليه ..

وفى الشتاء ... حين يقسو الجو ، وتتمرد العواصف فتزداد الروابط بين الأصدقاء ، يقاومون بها قسوة الطبيعة ، وينتصرون بها على عواء الرياح .

هناك حول نار فى معسكر المناورات بتباب الشريف ، كنا نقضى طرفا من كل ليلة .. أصدقاء كلهم صغار السن ، صغار المناصب ، كبار الآمال وافرو الشباب .

ضباط لم تزد رتبة أحدهم عن الملازم ثان .. نتحرق طول النهار فى الجبل ، فكأنما الجبل مرآة تعكس نار القلوب .. !

وكانت فى القلوب نار لا تنطفىء لأن وقودها يتجدد فى كل لحظة من احساساتنا الشابة المرهفة .. ومما يقع أمام أعيننا كل يوم من الصباح الى المساء .

كانت آمالنا الكبيرة ، وعزة شبابنا تصطدم كل يوم بعدد كبير من الأحداث ..

فقد كنا ضباطا صغارا ..

وكان لنا قواد ..

وكان هناك أيضا ... انجليز ..!

وكان قوادنا المصريون لا عمل لهم الا اذلالنا .. والا الانحناء أمام الانجليز ..

وكنا نرى هذا الوضع الكريه ، فنحترق .. ونسخط .. ولكننا لم نكن نستطيع ان نتكلم ..

وماذا يستطيع ملازم ثان أن يفعل فى داخل النظام العسكرى وفى تلك الأوضاع الرهيبة الا أن يسكت ، ويكظم الغيظ ، ويدفن النار فى حشاه ..

هكذا كانت أيامنا ..

ولكنا ليالينا كانت تختلف اختلافا كبيرا .

ففى جو من الصداقة والألفة ، كنا نجلس فنمرح ، ونذيب فى هذا المرح ، شقاء اليوم الطويل ... شقاء الجسد ، وشقاء النفس وشقاء الغربة فى جبل بعيد ...

صديق .. وأصدقاء

ولاندرى لماذا كان يتوسطنا دائما شاب رقيق وديع ، عامر النفس بالصفاء لم يكبرنا سنا ، ولا رتبة ... فقد كنا جميعا أبناء « دفعة » !

ولكنه كان الملتقى الذى جمع صداقتنا جميعا ... كنا نمرح فنضحك عاليا ، ونسخر من كل شىء .. ولاترحم السنتنا أحدا .. واحيانا نغنى !!

وكان يصنع كل مانصنع ، ولكنه كان مع ذلك أيضا ، يفكر ... يفكر بقلبه ، ويفكر بوعيه ... ولا نكاد ننطلق فى المرح ، حتى نجد موضوعا هادئا ... يثيره بيننا جمال عبد الناصر ...

وربما كان موضوعا شخصيا ، وربما كان موضوعا عاما ..
وربما كان ذكريات عابرة تمر به من حياته ، فلا يلبث أن يستنبط منها فكرة أو رأيا ، يثير بيننا مناقشة طويلة ... هادئة ..

وكان جمال يطوى نفسه على كثير من الآلام الشخصية ..
آلام يذكرها منذ توفيت والدته وهو صغير ، فأثرت وفاتها فى حياته تأثيرا كبيرا ... لعل من أظهر عناصره شدة الحياء التى طبعت حياته حتى اليوم ...

وكان الى حيائه وهدوئه ، يمثل الشخصية الكاملة لأبناء الصعيد .. فهو يكيف الحياة بمثله « الصعيدية » ، فتجده وديعا رقيقا ملىء الصدر بالحنين ، اذا لمست نفسه لمسة عاطفية قد لاتحرك احدا من الناس .. ولكنه ينقلب اسدا هصورا ، فى اللحظة التى يشعر فيها بأن أحدا ، فكر مجرد تفكير فى الاعتداء عليه .

كان هذا الصديق بيننا ، صورة حلوة للاخاء ، والصداقة والاتزان ، والهدوء والكرامة .. فكان لهذا كله يستأثر باحترامنا جميعا فكأنه فى سكونه وهدوئه وطابعه الخاص ، معنى مجسم حى لكل المعانى والانفعالات التى يمكن استخلاصها ، من تفاعل العواطف الانسانية المتضاربة ، فى انسان ... قست عليه الحياة ..

وهكذا ... وحول هذا الرجل ، التامت مجموعة من الضباط الصغار الاصدقاء .. لم يكن أحد يدرى انها ستكون نواة لمجموعة أكبر وأكبر ، وان اجتماعها فى تلك التباب البعيدة لن يكون مجرد صدفة تمر . ويتشتت من بعدها شمل الاصدقاء وانما سيكون البدء الحقيقى لجهاد عنيف ومحن كثيرة وعمل خطير

السلطان عبد الحميد

وان كنا قد أخذنا حياة قوادنا الكبار فى ذلك الوقت بالسخرية العنيفة نطلقها فى ساعات المرح فقد جاء اليوم الذى لم تعد فيه السخرية تغنى عن آلامنا شيئا ..

فقد القى علينا القدر بقائد جديد للمنطقة لم يكد يصل اليها حتى شعرنا بأن الذى وصل غاز من غزاة الترك !

كان يرى نفسه بيننا مثلما يرى السلطان عبد الحميد نفسه بين معالم اسطنبول الآمر الناهى الفظ الذى لايناقش ...

واصبحت الحياة كريهة منذ اللحظة التى وصل فيها اللواء محمود سيف الى منقباد .

كان هذا اسمه .. ولكننا كنا نسميه السلطان عبد الحميد لانه كان يفرض علينا تقاليد السلاطين .

وبدأنا نيأس من خدمة الجيش . واعد بعضنا استقالته فعلا من هذا الجيش الذى يضم بين قواده .. السلطان عبد الحميد !

ولكننا نرى صبر جمال فنعجب .. ونرى هدوءه وصموده لهذا الذل الطويل فتسكن نفوسنا ، فقد كان جمال يعيش بأمل لم نحلم نحن به فى تلك الفترة السحيقة من حياتنا فى منقباد ..

واشتدت الصلات بين كل منا ، وبين المجموعة الكاملة .. حتى أصبح كل منا يفكر بعقلية الكل واصبح من حق كل منا أن يتصرف باسم الجماعة وأصبحت هذه الجماعة يوما بعد يوم قيدا جديدا لتصرفاتنا ، لأن كل عمل يأتيه فرد منها سينسب الى الجماعة شاءت أو لم تشأ .. علمت بالأمر أو لم تعلم .. !

وانى لأذكر تلك الأيام والليالى ، أذكر مرحنا وآلامنا وأيام

صداقتنا الجميلة الأولى .. والسلطان عبد الحميد الذى أراد أن يذل رقابنا ، كما ذل رقبته لصغار الانجليز ، وراح يتجول فى صورة شرسة مضحكة مبكية معا فى منقباد .

جملة من جمال

اذكر كل هذا ، واذكر اننا فى خلال تلك الفترة الحالمة من حياة الشباب .. بدانا نفكر ذات ليلة ..

وقال جمال :

انهم الانجليز أصل بلائنا كله ..

وكانت مفتاح تفكير طويل .. لم يلبث ان أصبح خطى عملية متتابعة .. كنا جميعا نعلم ان الانجليز هم أصل بلائنا كله .. وكنا جميعا نكره الانجليز .. ولكن هذه الكلمة قالها جمال ، وكأنه يحدد لنا رسالة كبرى ، لا ينبغى أن يتخلى عنها أحد .

وشهدت تباب الشريف ، والنار الموقدة عليها عهدا مقدسا ربط مجموعة صغيرة من الشباب الصغار .

لم يربطهم بعمل معين ، ولا بزمن محدد ، ولكن ربطهم .. بفكرة الحياة .

خلايا ..

وبدانا نجمع حولنا انصارا لفكرة الحياة ، كل منا يختبر عددا من الضباط الآخرين .. ويكون فى محيطه خلية صغيرة يثير فيها هذه الفكرة ، ويرى مدى استعدادها للعمل يوم يأتى وقت العمل ..

وبدانا نخطو الخطوة الاولى فنحسب لها حسابا ونلقى الكلمة فنفكر قبل القائها مرتين ..

بدأنا ننزع من أعماقنا زهو الشباب ، ونحل فيها الشعور بالمسئولية والاقتصاد فى الامل .

لقد قتل جمال فينا المرح ، وكنا فى شرخ الشباب !

وجاء الدرس الاول الذى افدناه بعد ذلك فأصبح درس حياتنا ..

فقد مرت أيام قليلة .. كنا فيها لانزال فى فترة تكويننا الاولى ..

واذا بالشيء الذى نسيناه جميعا يقع .. وكنا خليقين بتوقيعه .

فان ضابط الجيش لا يستقر فى مكان واحد طويلا ..وان هى الا لحظة مفاجئة ، حتى كنا قد تفرقنا شعاعا . واحد فى الاسكندرية ، والثانى فى طنطا ، والثالث فى القاهرة ، والرابع فى مرسى مطروح ..

وكانت الحرب اذ ذاك قد بدأت ، والأعصاب توترت . ورأينا حلمنا الكبير يذوب ويتساقط كما تتساقط حبات الندى عالقة بزهرة أو تذوب فى شعاع الصباح .

وافترقنا ..

ولكن الحلم لم يذب .. والفرقة لم تستطع أن تكون حاجزا بين هذه المجموعة فى أقسى الظروف التى حلت بها .

وفهمنا مع الأيام هذا الدرس وهو أن الصداقة القوية عندما تقوم على نقاء وطهر وعندما تتركز أيضا حول فكرة فانها قادرة على الحياة مهما فرقت الحياة بين الأصدقاء . بل هى أكثر من ذلك تستطيع وحدها صنع المعجزات .

والذى وقع بعد تلك الايام ، هو الاثر القوى لهذه الصداقة النقية التى ربطتنا .. فقد فرقت بيننا الظروف كثيرا ، وجمعت بيننا بعد ذلك كثيرا ..

وكنا اذ نفترق لا تفارقنا الفكرة ولا عهد الجماعة ، وكل ما هناك أن أحدنا كان يجد الفرصة للعمل ، فيعمل .. يعمل مستقلا بارادته فى ظاهر الامر ، ولكنه فى حقيقته يكون مقيدا بارادة الجماعة المتمثلة فى فكرتها الكبيرة .. وعهدها المقدس .

وقد تختفى من بيننا أسماء فى كثير من الاوقات كما اختفى اسم جمال عبد الناصر عامين كاملين ، بين ديسمبر ١٩٣٩ وديسمبر ١٩٤١ . اذ كان فى هذه الفترة قد نقل الى السودان .

ولكن الذى كان يبقى فى ميدان العمل .. كان يعمل .. يعمل بارادته ولكن باسم هذه الجماعة وفكرتها الأصيلة ، ويعمل بارادته ولكنه يرجع الى من يستطيع الرجوع اليه من جماعتنا .. فى كل فرصة تواتيه لذلك ..

ولم تعد الأيام تمر هينة ولا رفيقة فقد بدأت أحداث كثيرة تقع .. بدأت بالحادث الاول عام ١٩٤٠ .. وكان ميدانه ميدان القتال فى مرسى مطروح .

كنا قد نقلنا جميعا من منقباد . وتفرقت جماعتنا بين وحدات الجيش فى مختلف أنحاء البلاد .. وبين السودان العزيز ..

وقد كان السودان من نصيب جمال عبد الناصر فقد نقل من منقباد الى امبابة .. وبعد شهر واحد نقل الى العلمين ، وقضى هناك أربعة شهور ، ثم نقل مرة أخرى الى أبى زعبل ، ومنها الى السودان ..

وفى فترة تنقلات جمال جمع على الفكرة عـددا آخـر من الضباط ..

وكنا نحن أيضا نصنع مثل هذا ..

ولم نكن نعرف على وجه التحديد ماذا سوف نعمل . لقد كان هدفنا أن نقوم بدورنا فى تخليص البلاد من جنود الانجليز . ولم تكن الفرصة لذلك تسنح أثناء الحرب ، وقد سيطر الانجليز على كل مرفق من مرافقنا .. واحتلوا جميع قواعدنا وطـرق مواصلاتنا .. بل لقد كنا نحارب الى جانبهم أيضا ..

وسنحت أول فرصة لنا فى مرسى مطروح .. ولكنها كانت فرصـة مفاجئة لم نسـتطع أن نحقق منهـا هدفا كبـيرا .. واستطاعت هى أن تكشف للانجليز عن وجود اتجاه عملى ضدهم فى جيش مصر ..

كانت نيران الحرب قد اقتربت كثيرا من أرضنا العزيزة .. فقد بدأت جيوش ايطاليا تغزو منطقة مرسى مطروح ..

وكان الدفاع عن هذه المنطقة منقسما بين ثلاثة قطاعات :

قطاعين بريين ، يحتلهما الجيش المصرى . وقطاع بحـرى يدافع عنه الانجليز .. كنا نحارب .. رغم أن مصر لم تكن قد أعلنت الحرب .

وكانت سياط العذاب التى تلفعنا نحن الجنود والضباط ، تتلاحق علينا مع الليل والنهار ومع الاحداث المتعاقبة التى تمر بها البلاد ..

كان موقف مصر من هذه الحرب موقفا مائعـا .. ولم يكن من السهل تحديده فى صورة مفهومة واضحة .

وكان من المؤكد أن هذا الموقف ان تحدد ، فلن تكون مصر هى التى تحدده على التأكيد ..

ويلات الحرب

كانت سياسة مصر التى أعلنها رئيس حكومتها عند اعـــلان الحرب هى سياسة «تجنيب مصر ويلات الحرب»

ولم تكن مصر تستطيع أن ترسم لنفسها سياسة أوضح من هذه أو أكثر حسما وتحديدا .. فقد كانت هنـاك المعـاهدة .. وكانت جنود الاحتلال تملأ بلادنا ، وطائراتهم تجثم على صدور مطاراتنا وتنطلق منها الى الميادين القريبة الخـافلة بالموت .. ودباباتهم تختال فى شوارعنا ومن فوقها جنود حمر الوجوه .. ومخازن ذخيرتهم ترصع أرجاء الوادى بالبارود والقنابل وأسلحة الدمار .. وكانت أرضـنا فوق ذلك حقـلا كبيرا يشرب حبات العرق من جباه آبائنا واخوتنا ليخرجها قمحا للغاصبين ..

وكان موقفنا نحن ضـباط الجيش وجنوده ، هو الموقف الضنك .. فسـياسة « تجنيب مصر ويلات الحـرب » لم يكن معناها اننا لن نحارب فعلا .. وكان الذى يشقينا هو أن نسأل أنفسنا : نحارب من أجل من ؟!

فهل كانت سياسة « تجنيب مصر ويلات الحرب » تحمـل هذا المعنى واضحا وترسم خطته كاملة الى نهايتها !

لقد كانت تشير الى شىء ، أو ترنو الى أمل .. وهذا الشىء وهذا الامل هو الذى فهمته مصر منها .. وفهمه الانجليز ايضا .

فهمته مصر ، فحاولت أن تستبشر به وفهمه الانجليز فأبرق وزير خارجيتهم لورد هاليفاكس الى سـفير انجلترا « كيلرن » ببرقية قصيرة حاسمة :

أى : يجب أن تستقيل حكومة على ماهر ..

وكانت هذه البرقية كأنها القضاء الذى لا يرد .. فاستقالت فعلا حكومة على ماهر ، لانها أشارت بسياستها الى شيء ورنت الى امل ، وفهم الانجليز الشيء والامل !

لم يكن أمر مصر اذن فى يدها ، بل كان فى أيدى الانجليز .. وكنا ننظر الى المستقبل على هذا الوجه ، فلا يلبث أن يرتد الى الماضى .. الى الحرب العالمية الاولى التى سيقت فيها مواكب آبائنا مسخرين الى ميادين القتال يحفرون الخنادق ليموتوا فى أحشائها ، ويحملون الروث ليدفنوا تحت أكوامه ، ويلعقون العرق ليوفروا كئوس الشراب للانجليز !

مخاوف وحراب

ويجلب الماضى صور بعضه بعضا ، فلا يشير الى بارقة أمل فى مستقبل البلاد تحت هذه الاوضاع .

يجلب صورة الثورة المجيدة التى أشعلها الشعب عام ١٩١٩ فأطفأها زعماؤه يوم وصلوا الى الحكم واصبحوا أحزابا .. مطايا للانجليز ..

وتجلب صورة الثورة المجيدة التى أشعلها الشباب عام ١٩٣٥ ليجمع الاحزاب فى حزب واحد لمصر ، فاجتمعت الاحزاب فى حزب واحد ليوقع معاهدة الصداقة والتحالف مع الانجليز !

ويجلب صور شقاء كثيرة ! فقر ، وعرى ، وانقسامات وتضحيات ودماء .. يتحالف فوق أنقاضها الزعماء والانجليز !

وما تغير الزعماء !

ولا خرج الانجليز ..

ولكن قامت الحرب .. وبدأت بوادر شقاء جديد .

ماض كله حسرات ، ومستقبل كله مخاوف ، وحرب قائمة لابد أن نصلاها ، حتى فى ظل « سياسة تجنيـــب مصر ويلات الحرب» .

وفجأة علمنا أن أوامر من قيادتنا ستصدر لنا .. وعلمنا هذه الاوامر ايضا .

وكانت هذه الاوامر ، تقضى بأن تنسحب الفرقتان المصريتان اللتان تقومان بالدفاع فى القطاعين البريين لتحتلهما قوات بريطانية حتى تنفرد بريطانيا بالدفاع عن النقطة كلها .

والى هنا كانت الاوامر بسيطة يمكن قبولها ، ولكن الشق الاخـير فيها كان يقضى بأن نترك ســلاحنا ، ونسلمه للقــوات البريطانية التى ستحتل القطاعين .

وهاج الضباط وماجوا ..

وتحرج الامر جدا ..

وصممنا على ألا نترك سلاحنا . ولو اقتضى ذلك أن نموت عن آخرنا ..

وكنت أجـد فى هذا الاجراء فرصــة مناسبة ، لتجعل من « فكرة الحياة » حقيقة مجسمة ، يشارك فى حمل أعبائهـا الجيش كله ، والشعب كله أيضا .

وكنت أعتقد أن أى احتكاك منا بالانجليز سيقفز بفكرة الحياة مائة عام الى الامام ..

خطة لم تنفذ

وبدأنا نضع خطة كان من زملائنا فيها البكباشي أحمد حسن وجميع الضباط الصغار حتى رتبة يوزباشي بلا استثناء .

كانت قوتنا هناك قوة مختلطة ، تسمى «القوة الحقيقية» ..

وكانت تتكون من خلاصة الجيش المصرى ، تضم زهـرة سلاح المدفعية وبقية الاسلحة الاخرى ..

فوضعنا خطتنا على أساس أن تعـــود هذه القوات ، فتحتل وهى فى طريقها الى القاهرة كل المرافق العامة ، ثم تفرض حكومة على ماهر مرة اخرى ، بعد استقالته المعروفة المدوية ..

كنا اذ ذاك فى شـــهر سبتمبر ، وكان على ماهر قد استقال فى شهر يوليو ، وكان الشعور القومى ضد الانجليز قد بلغ أقصى مداه فى البلاد .

وصدرت الاوامر لنا فعلا بالانسحاب وبترك أسلحتنا .. فرفضنا ترك السلاح وتقدمنا الى القاهرة .

ولأكثر من سبب تبين لنا أن تنفيذ هذه الخطة سيكون وبالا علينا .. فقد أدركنا على أساس تقدير الموقف ، اننا لن نستطيع أن ننجح فيها الى نهايتها ..

فاكتفينا بالعودة بأسلحتنا كاملة .. واعتبرنا هـذا نصراً كافيا لنا فى مرحلة جهادنا الاولى .

وعلى الرغم من كل الأحاديث التى دارت بشأن هذه الخطة والتمهيدات التى كنا قد بدأنا نقوم فعـلا بها ، فان الانجليز لم يكتشفوا منها أى شىء .. ولكنهم فى الوقت نفسه أدركوا سيطرة

روح العداء لهم على ضباط الجيش الصغار ·· وأيقنوا أن هذه الروح قد تلعب دورا اخطر من ذلك الدور فى يوم قريب .

وبدأنا نحن نصبح هدفا لعيون الانجليز حيثما كنا .. فى القاهرة او فى اى سلاح من أسلحة الجيش ننقل اليه ..

والكسب الاكبر الذى كسبناه من هذه الحادثة ، هو عودتنا الى القاهرة ، فقد جمعتنى القاهرة فورا بجميع أصـــدقاء منقباد .. ماعدا جمال الذى كان لايزال فى السودان ..

وفى القـــاهرة بدأت اجتماعاتنا تتوالى وتتركز ·· وأخذنا نفكر فى شيء نقوم به على أساس من الدراسة الكاملة ، وبحيث يكون توقيته الكامل فى أيدينا نحن لا فى أيدى الظروف وحدها ·

وكان فى خيـالنا رجـلان .. نريد أن نتصـل بهما ، وأن نشركهما معنا فى عملنا الكبير ..

على ماهر .. صاحب البيان المشهور والاستقالة المدوية .

وعـزيز المصرى رئيس هيئة أركان حـرب الجيش ، وهو الرجل الذى وقع اختيارنا عليه عندئذ ، لكى يقود ثورتنا .

وحاولنا أن نتصل بعلى ماهر ، فلم نستطع ..

وحاولنا أن نتصل بعزيز المصرى ، فاستطعنا ·· ولكنـــا اتصلنا فى طريقنا اليه · بالاخوان المسلمين أيضا ·· !

مُصَادَفَة وَرَجُلان

- الرجل ذو العباءة الحمراء ..
- اجازة اجبارية لعزيز المصري
- لواءات يخونون جيش مصر
- اذهب الى هنـاك واقطـع تذكرة ..

الزمن : ليلة مولد الرسول من عام ١٩٤٠

والمكان : سلاح الاشارة فى المعادى

وكنت اذ ذاك ضابطا برتبة ملازم فى هذا السلاح ..

ومولد الرسول فى مصر ، موسم من مواسمها ، يعرف الأطفال فيه عرائس الحلوى ، والأحصنة الصغيرة الملونة يركبها فرسان العرب .. وتعرف فيه البيوت والدواوين والمجالس النيابية ودوائر السياسة وقصور الاغنياء ، الحلوى الحمصية والسمسمية .. ثم .. لاشىء بعد ذلك ..!

وعلى هذا الوجه مرت بمصر هذه الليلة ، كما مرت بها دائما .. ولكنها لم تمر بى كذلك ، فقد كانت ، من حيث لاأدرى ، ليلة البدء لأحداث كثيرة متتابعة سمع المصريون أطرافا منها ، بعضها كان خافتا كالهمس،وبعضها مدويا .. كالقنابل والمتفجرات

كنا جلوسا فى احدى غرف السلاح ، نتناول العشاء ونتكلم .

وكان جنود هذا السلاح ، وأغلبهم بطبيعة عملهم فى سلاح الاشارة فنيون متطوعون ، قد اعتادوا منى كثيرا أن أحاضرهم ، واعتادوا منى دائما أن أتناول طعامى معهم ، وأن أحدثهم بصراحة وأن يحدثونى بمثلها .

كنا في أثناء استراحتنا وطعامنا ، اخوانا مصريين لا ضابطا وجنودا ..

ودخل علينا ونحن جلوس للعشاء فى ليلة مولد النبى جندى من جنود السلاح الفنيين ، لم يكن موجودا بيننا منذ بدء هـــذه الجلسة ، وقدم الينا صديقا له يلتحف بعباءة حمراء لاتكاد تظهر منه شيئا كثيرا .

لم أكن أعرف هذا الرجل الى ذلك اليوم ، ولم يثر دخوله ولا ملبسه اهتمامى ، ولم يلفت نظرى .. وكل ماهنـالك انى صافحته ورحبت به ، ودعوته الى تناول العشاء معنا ، فجلس وتناول العشاء ..

وفرغنا من الطعام ، ولم أعرف عن الضيف شيئا الا بشاشة فى وجهه ورقة فى حديثه وتواضعا فى مظهره .

ولكنى عرفت بعد ذلك عنه شيئا كثيرا ..

فقد بدأ الرجل بعد العشـاء حديثا طويلا عن ذكرى مولد الرسول .. كان هو اللقاء الحقيقى الأول بينى وبين هذه الذكرى.. الذكرى ..

كان فى سمات هذا الرجل ، كثير مما يتسم به رجال الدين عباءته ، ولحيته ، وتناوله شيئا من الدين بالحديث ... فليس حديثه هو وعظ المتدينين ..

ليس الكلام المرتب ، ولا العبارات المنمقة ، ولا الحشو الكثير ولا الاستشهاد المطروق ، ولا التزمت فى الفكرة ، ولا ادعاء العمق، ولا ضحالة الهدف، ولا احالة الى التواريخ والسير والاخبار ...
كان حديثه شيئا جديدا ..

كان حديث رجل يدخل الى موضوعه من زوايا بسيطة ويتجه الى هدفه من طريق واضح .. ويصل اليه بسهولة أخاذة ...

وكان هذا الرجل هو المرحوم الشيخ حسن البنا مرشد الاخوان المسلمين ..

الموعد الاول

وانتحى الرجل بى ناحية ، وتجاذب معى حديثا قصيرا انهاه بدعوتى الى زيارته فى دار جمعية الاخوان المسلمين قبل حديث الثلاثاء ..

وذهبت يوم الثلاثاء ..

ولم اكد أضع قدمى فى مدخل الدار ، حتى شعرت بكثير من الرهبة ، وكثير من الغموض ..

دخلت من حجرة كبيرة جدا ، من هذه الحجرات التى عرفت بها الابنية المصرية القديمة ..

وقطعت هذه الحجرة بأكملها لأنفذ من باب صغير ..

ونفذت من هذا الباب ، لالقى أمامى شيئا كالحجرة ، أو شيئا كالممر بين حجرات ..

وانما كان مكتبة ..

كان صفوفا طويلة من الأرفف المتقاربة الملتصقة بالحوائط ، وقد صف عليها مئات كثيرة من الكتب ملأت جو المكان برائحة الورق المخزون ...

وعلى بعد كبير فى آخر هذا الممر .. كانت هناك عينان فقط

ترسلان بريقا قويا ، هما كل مايظهر من الرجل الجالس خلف مكتبه .. مرشد الاخوان ..

وتحدثت مع الرجل طويلا فى ذلك اليوم ..

ولكنه لم يفتح لى كل نفسه ..

تحدث معى كثيرا .. ولكنه لم يخرج عن دائرة الدين ابدا

وحصر نفسه فى هذه الدائرة ، ولكنه جعل يتسع بمحيطها شيئا فشيئا حتى أصبحت أفقا كبيرا مليئا بالمعانى ..

وبرغم كل المحاولات التى بذلتها فقد فشلت ..

ورغم كل ماتطرق اليه الحديث من شئون الجيش ، فقد ظل الرجل ملتزما ناحية الدين ، واهمال الناس له ورسالة الايمان التى يجب أن يرتكز عليها جهادنا ؛ ووجوب نشر هذه الرسالة فى صفوف الجيش ..

وتكررت زياراتى بعد ذلك للرجل .

وبدأنا نتحدث فى كثير من الشئون العامة .. وبدأت ، أوقن أن الرجل يطوى صدره فعلا على مشـــاريع كبيرة وخطيرة ... لايريد أن يفصـــح عنها .. كما ايقن الرجل ايضا انى لا انتوى الانضمام الى جمعيته ، ولعله شعر أو أدرك أنى أعمل شيئا ، وانى لست أعمله وحدى ..

ولم يرد الرجل أن يعرض على الانضمام الى جمعيته ، كما أنه لم يحاول أن يسألنى عن أية صلة لى بالآخرين ، ولكنى فهمت أنه كان يدرك أشياء كثيرة من الحقيقة فى مناسبة جاءت بعد ذلك بأيام ..

وفى يوم تقابلت معـــه ، وكنت ثائرا مكتئبا تملأنى المرارة والألم ...

فقد صـــدرت الأوامر فى ذلك اليوم باعطاء الفريق عزيز المصرى آجازة اجبارية من رياسة أركان حرب الجيش ...

وكان معلوما لنا أن وراء هـــذه الفعلة ايدى الانجليز ...
وكان مجرد العلم بهذا كافيا لاثارة نفوسنا ، ودفعنا الى اى عمل قد يراه الكثيرون — فى مثل ظروفنا — من اعمال الجنون !

لواءات يخونون الجيش

فقـد كنـا نعرف ما أراد عزيز المصرى لجيش مصر من قـوة ومنعة ...

وكنا قد بدأنا ننتعش بالنهضة الفعلية التى بعثهـــا الرجل فى الجيش ...

وكنا نسمع كثيرا من القصص التى تروى عن محاولات عزيز المصرى الاصلاحية ، والمشاكل والعقبات التى توضـــع امامه ، والاحابيل والشراك التى تنصب له ، والتى عرفت بعد ذلك للاسف الشديد — ان الذى كان ينصبها له هم كبار ضباط الجيش المصرى نفسـه !

وكنا قد تحققنا من الشرك الاخير ، شرك الخيـــانة الحقيقية تقع من ضـباط كبار ...

فقد جمع الفريق عزيز المصرى لواءات الجيش ليســألهم عن مدى حاجتهم فى اسلحتهم الى جهود البعثة الانجليزية ، ومدى ما حققته هذه البعثة فعلا من الاصلاح .

وكان الجيش كله ــ ما عدا هــذه الفئة ــ يتمنى اليوم الذى تزول فيه وصمة البعثة الانجليزية من وحداته واسلحته .

وتكلم عزيز المصرى مع الضباط الكبار كلام مصرى لمصريين وكلام قائد لضباطه ..

ولكنهم خرجوا من هــذا الاجتماع لا ليفكروا ولا ليبحثوا ولا ليسكتوا ... ولكن لكى يذهبوا الى السادة الانجليز ويقصــوا عليهم حديث قائدهم ..

وعادوا اليه فرادى ...

عاد كل منهم ، وطلب مقابلته لكى ينهش فى لحم الآخرين .

اجازة اجبارية لعزيز

ولعل كلا منهم كان يرمى من وراء ذلك الى الظهــور أمام الرجل بمظهر الوطنى ، نفيــا للشــبهة عن نفسه ، والصاقا بها فى الآخرين ، اذا حــدث أن وقعت الواقعــة وعلم الرجل حــديث الخيانة ..

ولكن عزيز المصرى ، فهم كل شىء ، وادرك انه بين جماعة من اللواءات لايفضل واحد منهم أخاه الا فى خسة النفس وبطلان الضمير ..

ولم تكن خيانة اللواءات هى كل ما أحاط بعزيز المصرى من الشراك ..

فقد كان الانجليز أحرص من ألا يرصدوا عليه كل حركة من حــركاته فاستطاعوا بأساليبهم المختلفة أن يملأوا وظائف مكتبه بجماعة من الضبــاط الشبان الحاصلين على شهادات دراســية

عليا ، والحاصلين على شهادة انجليزية فذة فى نوعها هى شهادة التخصص فى أعمال التجسس للانجليز (١) ..

كل هذا كنا قد بدأنا نسمع عنه ..

وكل هذا قد تحققنا منه بعد ذلك ..

وجاءت الاجازة الاجبارية لعزيز المصرى كناقوس كبير يدوى فى آذاننا لكى نبدأ العمل ..

وطال الحديث عن عزيز المصرى ، ولاح منى شدة اهتمامى بهذا الموضوع ، وابديت رغبة شديدة فى ضرورة لقاء هـذا الرجل الذى كان موقفه محور تفكيرنا ...

وهنا شعرت بأن المقابلة قد آذنت على الانتهـاء ، حين قدم الى المرحوم حسن البنا وريقة ...

وأخذت الوريقة اقرؤها بشغف شديد .. بينما قال لى حسن البنا ، والابتسامة على شفتيه :

ـ واقطع تذكرة عند الدخـول كما يفعل الداخلون .. :

وخرجت من دار الاخوان المسلمين .. أخطو خطواتى الأولى الى مستقبل ... مجهول ...

---

(١) نؤكد أن سليمان محمود الذى شغل ـ فى وقت من الاوقات ـ منصب مدير مكتب عزيز المصرى ، لم يكن مطلقا من بين من شملتهم هذه الاشارة .

عزيز المصرى .
يتهم بدس السم لنازلى

- فاروق ينام فى لندن بملابس السهرة
- ماذا ينتظرون من الشيوخ ؟
- احمد حسنين وعمر فتحى تآمرا على فاروق
- لابد من انقلاب على أيدى العسكريين

قال لى المرحوم حسن البنا انى سألتقى فى اليوم التالى بالفريق عزيز المصرى .

وحدد لى موعد اللقاء ومكانه .

وكنت أعلم أن مقابلتى له فى ذلك الوقت قد تثير كثيرا من الشكوك والشبهات .

فعلى الرغم من الطمأنينة التى كانت تبدو على وجه المرحوم البنا وهو يحدد ذلك الموعد ، فقد كنت أنا على يقين من أن مخابرات انجلترا لن تكون نائمة فى ذلك الموعد المضروب .

وكان على أن أرجع الى تشكيل الاحرار قبل المقابلة ، وكان على أن أعود اليهم بعد المقابلة .

فلا بد اذن من الحذر .. ان أى شك يحوم حولى قد يذهب بتشكيل الاحرار كله ..

كنت أشعر فى كل خطوة أخطوها الى حى السيدة زينب بأنى أخطو خطواتى الى بدء مستقبل حافل مجهول ، لابد أن تقع فيه أحداث جسام .

كنت أعرف انى ذاهب لأضع قدمى على أول الطريق ، ولكنى لم أكن استطيع أن اتخيل الى اين سوف تقودنى قدماى ، أو الى أى مكان سوف يمضى بى الطريق .

ولم أكن كذلك قد فكرت فى شىء من كل هذا . فلم يزد الامر عندى عن انى ذاهب الى لقاء عزيز المصرى ، وأن هذا اللقـاء لابد محدث أثرا .

واتجهت الى العنوان الذى كتبه لى المرحوم حسن البنا قبل ذلك بيوم .. ونظرت الى فوق فقرأت اللافتة الموضوعة على عيـادة الطبيب « الدكتور ابراهيم حسن » .

وصعدت الدرج بخطى ثابتة ، ثم تذكرت انى « مريض » أو لابد أن أكون « مريضا » فربما كان البيت مراقبا ، بل من المؤكد أنه مراقب ، اذ كانت المخابرات البريطانية قد علمت بوجود عزيز المصرى فى داخله .

ولأول مرة قمت بدور تمثيلى صغير .. فصعدت الدرج فى تثاقل ، ولهثت بأنفاسى مرتين !

وطرقت الباب وطلبت مقابلة الطبيب ، واعطيت خادم العيادة أجر الزيارة ، وأخذت منه تذكرة !

وبعد قليل دعانى الخادم الى غرفة الطبيب .. ورأيت لأول مرة وكيل جمعية الاخوان المسلمين ..

ولم يكن غريبا أن الدكتور ابراهيم حسن ينتظرنى .. فقـد أخذنى من فورى الى مكتب ملحق بحجرة الكشف وأدخلنى اليه .

وفى هذه الغرفة ، كان عزيز المصرى فى انتظارى ..

ماذا تنتظرون ؟!

كنت بحاجة أن أقدم نفسى للفريق الذى آمنت بوطنيته .. وكنت أريد أن أقول له كلاما كثيرا ، وأن أكسب ثقته .

لكن برغم كل شىء .. برغم الطريقة التى تم بها اللقـاء بينى

وبينه ، كنت أشعر أن فى قلب الرجل ندوبا عميقة من خيـــانة الاصدقاء ، الكبار والشبان على السواء •

ولكن النفس الصافية ، أبت أن تحملنى هذه المشقة ••

وفى الدقائق الاولى كان عزيز المصرى يحدثنى حديث رفيق الجهاد •• كان يائسا من الحكومات ، يائسا من الاحزاب ، يائسـا من الملك ، يائسا من البرلمان ، ولكنه كان مؤمنا بالشباب ••

وقال لى :

ــ عيب هذا البلد أنه ضعيف ، وأنه لا يجد العنـاصر التى تغذيه بالقوة ••

وسألته :

ــ وكيف نأتى بهذه القوة ؟ ••

فنظر الى وقال :

ــ انتم شـــباب الجيش •• ماذا تنتظرون ، ومتى تعرفون مسئوليتكم الحقيقية ، ومتى تبدءون فى الاضطلاع بها ؟

وعدت أسأله :

ــ وهل تظن أننا فى داخل الأوضاع القـائمة نستطيع اليوم شيئا ••

فأجاب وقد انتفض :

ــ تستطيعون كل شىء •• وغيركم لا يستطيع شيئا •• ماذا تنتظرون ؟ •• تنتظرون توجيها منى ، من لواءاتكم ، من حـكام البلاد ؟ ••

وسكت وهو يتمتم : « كلام فارغ ! •• »

ثم نظر الى فى عزيمة شابة ، وقال :

ـ لقد كان نابليون فى السابعة والعشرين من عمره فقط ..
كان مثلك هكذا شابا صغيرا .. ولكنه استطاع ان يكون فى تلك
السن المبكرة نابليون القائد . واستطاع ان يقود بلاده وجيشه ،
ولم يكن يتلقى توجيها من احد ..

وبعد لحظات قال فى عمق :

ـ التوجيه الوحيد الذى كان نابليون يستلهمه فى كل
خطواته ، هو الايمان الذى كان ينبعث من نفسه .. فابحثوا عن
الايمان ولا تعتمدوا أبدا على أحد .. الا على انفسكم ..

الايمان ... والشباب

وكان لكلمة الايمان فى نفسى رنين خاص عميق .. فقد كنت
أنا أيضا أبحث عن الايمان ، وأومن فى الوقت نفسه بأنه المخرج
الوحيد لنا من الحيرة التى كان المصريون جميعا يعيشون فيها فلا
يكادون يقدمون حتى يحجموا .. تيئسهم الحسرات ، وترعبهم
المخاوف .

وبرغم هذا ، فقد قلت له :

ـ لقد عشت أنت مؤمنا بهدفك ، وعشت لا تعتمد على أحد
وتغلبت عليك مع ذلك هذه القوى .. ونحن نريد أن نعمل .

فقاطعنى بقوله :

ـ اعملوا وحدكم ، واعتمدوا على شبابكم وايمانكم ...
والذى يستطيع ان يقصى عزيز المصرى عن توجيه الملك والذى
يستطيع أن يقصيه عن توجيه الجيش ، لا يستطيع أن يقصى شباب
الجيش عنه ..

متى بدأ الفساد ؟

وكان كلاما منطقيا حكيما .. وكان مع ذلك اشــــارة الى سلسلة الدسائس التى تعرض لهــــا عزيز المصرى قبل هــــذه المرة .. فسألته :

ـ اذن فقد بدأت الدسائس من زمن ..

فقال :

ـ نعم ، منذ كنت فى انجلترا أشرف على تربية فاروق ..

وتنهد بمرارة وهو يقول :

ـ كنت أحب أن تحسن تربيته ، لانه شاب ، سواء كنت أنا الذى أربيه أو غيرى .. ولكن يد الخيانة والدسائس امتدت اليه .. وكانت أقرب الى قلبه من يدى ..

وسألته :

ـ أتقصد أحمد حسنين ؟

فقال :

ـ أحمد حسنين ، وعمر فتحى .. هذان الاثنـــان تآمرا على فاروق .. فتآمرا على شعب مصر فى شخص ملكه !

وبعد قليل عاد ليتكلم :

ـ هل تتصور انى كنت ادخل غرفته صباحا ، فأجده نائما بملابس السهرة .. والخمر تفوح من فمه ؟ !

هذا الشاب الذى كنت أريد له الصلاح والتقوى والوطنية كانا هما يريدان له الفساد والتهتك والاستهتار .. كانا يقودانه

الى دور الفســـــاد ، فلا يعود الا فى الرابعة صبـــاحا ، ويعود مخمورا ·· فينام ·· ويلقى بنفسه القاء على أقرب مقعـد ·· أو وسادة ·

وكنت أحاول أن انهاه عن ذلك فيخجل ·· ولكنهما ينفردان به من بعدى ، فيزيلان كل أثر لنصائحى ··

وتمهل قليلا ·· ثم أردف :

فاروق يكره أباه !

ـ هل تريد أن تعرف سرا خطيرا ؟

ولم ينتظر منى اجابة فقال :

ـ لقد ألقى هذان الاثنان فى وهم فاروق انى مدسوس عليه من أبيه ··

قلت :

ـ أبوه ؟!

قال :

ـ نعم ··· فان فاروقا كان يبغض اباه أشد البغض ··· يبغضه من كل قلبه ··· وكان يقدس أمه تقديسا شديدا ··· فألقى هؤلاء فى وهمه انى أنا عزيز المصرى أشنـــيع الاقاويل عن أمه ، وانى أريد أن أزيلها من الوجود لـكى ينفرد أبوه بحبه ·· وانى أعمل الآن على دس السم لها ··

وسألته :

ـ وعرفت انت كل ذلك ؟

فأجاب :

ـ نعم عرفته .. عرفته يوم أرسل فاروق الى أبيه خطـابا باكيا يهدده فيه ان لم يسحبنى فورا من مهمتى ..

وبعد هنيهة قال :

ـ وقد سحبنى أبوه فعلا .. وتركه لهذين المفسدين .. يفسدانه على نفسه ، ويفسدانه أيضا على وطنه ..

ثم تلاحقت الدسائس ، والمؤامرات لتقصينى عن كل مكان أستطيع فيه أن أوجه الشباب ، لأن فاروقا يعرف كيف أوجه أنا الشباب ..

لابد من انقلاب

كان الرجل يتكلم بانفعال شديد ، حتى كاد يغلبنى البكاء .. ولكنه عاد الى طبيعته الواثقة .. وقال لى :

ـ ان كان معك خمسة أفراد مؤمنين ، فانى على اســتعداد اليوم ان احمل طبنجتى ، وأتقدمكم لأى عمل لانقاذ البلد ...

وعندما هممت بالانصراف ، شعر عزيز المصرى بالمسـئولية التى وضعها فوق كتفى .. فقال مؤكدا :

ـ لن يكون خلاص للبلد الا بانقلاب على ايدى العسكريين ..

ونظر فى عينى طويلا ، وأنا أصافحه .. ولم يقل بعد ذلك شيئا ..

ولكني عندما خرجت من عنده ، كانت رسالتنا قد تحددت ، كهدف بعيد نستطيع أن نراه بأعيننـــا ، وان كنا لانتبين الطريق اليه ..

من هم زملاؤك ؟!

وفى اليوم التالى التقيت بالمرحوم حسن البنا وسألنى عن أثر زيارتى لعزيز المصرى فى نفسى .. وكأنه كان يعلم ما جرى فيها .. ولاحظت انه يريد أن يزداد علما بالمجموعة التى شعر انى واحد من أفرادها ..

فقد سألنى عندئذ :

ـ هل لديك زملاء فى الجيش يشتركون معك فى هـــدف معين ؟!

وكان السؤال فى ظاهره بريئا ولكنه كان يريد أن يعرف من ورائه ان كان هناك تشكيل معين يضمنى ويضم غيرى ..

ولم أخف الحقيقة عنه .. ولكنى لم أبح له بأسماء اخوانى قلت :

ـ انى لست أعمل وحدى .. وان هناك تشـــكيلا معينا موجودا ، واننا جميعا نؤمن بالـــكلام الذى قاله لى عزيز المصرى ونعرف ان البلد لن تخلص من الاستعمار الا بانقلاب عسكرى يقوم به رجال من الجيش ..

حادث ٤ فبراير

- حسن البنا يختزن السلاح
- الانجليز يحـــاولون عزل الجيش عن الشعب .
- كوكتيـــل مولوتوف لابادة الانجليز !
- خطتنا وخطة القدر ...
- جاسوسان ألمانيان يطلبان المساعدة ...
- البنـــك الأهــــلى والأوراق المالية المزيفة !

فهم المرحوم حسن البنا منى اننى لست أعمل وحدى ..
وفهم أننا نريد أن نقيم حكومة عسكرية فى البلاد تحارب الانجليز الى جوار المحور ..

وفهم أن الذى ينقصنا فعلا هو جماعة أخرى من الشباب ، تستطيع خوض المعركة باسم الشعب عندما يضرب تشكيلنا ضربته ، كعمل عسكرى ...

وبدأ المرحوم حسن البنا يتحدث الى حديثا طويلا عن تشكيلات الاخوان المسلمين ، وأهدافه منها ، وكان واضحا فى حديثه ، انه يريد أن يعرض على الانضمام الى جماعة الاخوان المسلمين ، أنا ، واخوانى فى تشكيلنا ، حتى تتوحد جهودنا ، العسكرية والشعبية ، فى هذه المعركة ..

وكنت أنا مستعدا للاجابة على هذا الطلب اذا وجهه الى ، فلما رأيته يكتفى بالتلميح ، أوضحت له من جانبى أيضا ، انه ليس من وسائلنا أبدا أن ندخل كجماعة ولا كأفراد فى أى تشكيل خارج نطاق الجيش .

وأطرق المرحوم قليلا ثم قال ، وعلى وجهه ابتسامة تغطى تفكيرا عميقا :

ــ من الخير لنا اذن لنجاحنا ونجاحكم أن نتشاور وأن نتكلم

معا فى كل شيء ‥ كما اننا على استعداد لكى نعاونكم عندما تطلبون ذلك الينا ‥

تعاون ‥‥ وأسرار !

وبدأ بيننا تعاون كنت أنا الصلة فيه ‥ تعاون بدا فى تحفظ واستمر فى تحفظ ‥

وفى خلال هذا التعاون تكشفت لى أشياء كثيرة من الاسرار الداخلية لجماعة الاخوان برغم انه رحمه الله لم يحاول أن يكشف لى شيئا منها ، ولا ان يطلعنى على أى سر من أسرارهم الداخلية ‥

المرشد وحده يعلم !

وكان أهم هذه الاسرار ، أن حسن البنا وحده كان الرجل الذى يعد العدة لحركة الاخوان ، ويرسم لها سياستها ثم يحتفظ بها فى نفسه ‥ وأن أقرب المقربين اليه لم يكن يعرف من خططه شيئا ، ولا من أهدافه شيئا ‥

حتى لقد كان حسن البنا فى ذلك الوقت المبكر يجمع السلاح ، ويشتريه ويخزنه ، ولكنه لم يكن يطلع أقرب الناس اليه من كبار الاخوان أنفسهم على أى شيء من كل هذا ‥

وكان على العكس من ذلك يستعين فى هذه العمليات باخوان من الشبان الصغار ‥ وكان منهم الجندى المتطوع الذى جاءنى به فى سلاح الاشارة أول مرة ‥

وكان أعوانه الصغار هؤلاء يعرفون ان ما بينهم وبينه سر على الناس جميعا بما فيهم الاخوان الكبار ‥

فقد أدركت هذا فى يوم من الايام ، كنت جالسا معه ، عندما دخل علينا هذا الجندى المتطوع يحمل فى يديه صندوقين مغلقين ‥

ورآنى الجندى جالسا ، فأجفل ، ولكن حسن البنا ، قال له افتح الصناديق ، ولا تخف ..

ونظر الجندى الى بابتسامة الاخ فى الجهاد ، ثم فتح صندوقيه، وكان ما فيهما عينات من انواع المسدسات ..

وتأكدت فى ذلك اليوم من أن الرجل يشترى سلاحا ويخزنه، ويخفيه حتى عن الاخوان ..

وفرحت فى نفسى بذلك ..

فسيأتى اليوم الذى نضرب فيه ضربتنا كرجال عسكريين ..

وسيكون من اهم ما نستعين به ان نجد قوة شعبية تقف فى الصف الثانى ، مسلحة مدربة ..

ولكن ، متى يكون هذا اليوم ؟

ان الامر بحاجة الى اعداد كامل طويل ..

ونحن نستعد .. ونستعد .. ونستعد

ودعوتنا تجد أنصارها ببطء ، ولكن فى وثوق .

وكل شىء يجرى على وجه تطمئن اليه ..

وفجأة ...

كان يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ ، فقلب خطتنا رأسا على عقب ، وبدأنا السير فى طريق خطير ..

٤ فبراير ...

وأحب أن أعرض هنا لبعض الحقائق والملابسات التى اكتنفت حادث ٤ فبراير

فعلى كثرة ما كتب عن هذا الحادث فان هناك حقيقة لم تنشر أبدا ، ولم تطف بأذهان الذين تكلموا ، ولا الذين سمعوا ..

فقد أخذ الناس هذا الحادث بالمأخذ السطحى ، فقــالوا ان مظاهرات سارت في البلاد تهتف : « الى الامام يا روميل » فتحركت دبابات الانجليز تفرض النحاس على الملك ، رئيسا لمجلس وزراء البلاد ..

ولو قلت اليوم أن هذه المظاهرات قد رسمت رسما ودبرت تدبيرا ، لما جاوزت الصواب ..

ولو قلت انها رسمت ودبرت لتبرر هذه الجريمة التى ارتكبها الانجليز .. لما جاوزت الصواب أيضا .

وبقى أن تعرف بعد ذلك اليد التى حركت هذه المظـــاهرات بليل ..

يد المدبر ، والمحرك ، وناصب الشرك ...

اين التحقيق ؟ ..

لقد كانت البلاد واقعة تحت حكم عرفى ، والذين يقودون مظاهرات كهذه ــ ان كانوا من الوطنيين فعلا ــ لابد ان يقدروا خطورة تظـــاهرهم ، ودعائهم لروميل فى بلاد يحتلها جيش الانجليز ..

ومع ذلك فقد سارت المظـــاهرات بليل ... ولم نعرف أشخاص قادتها ، ولا قبض رجال البـــوليس عليهم ، ولا تحرش بهم جيش الانجليز المقيم فى العاصمة ، والذى لم يجد حرجا فى مهاجمة قصر الملك !

فاذا بحثنا عن الدافع الذى صورته انجلترا لهذه المظاهرات

لعرفنا كيف تستطيع الدعاية البريطانية وأعوانها فى مصر ، ان تلعب فى فترات الحرج ، بعقول العامة من أهل هذه البلاد . فاذا بالاكذوبة تصبح حقيقة تتناولها صحف مصر اثنى عشر عاما كاملة .. ثم ترددها قاعات المجالس النيابية ، وقاعات المحاكم أيضا فى قضايا السياسة الكبرى !

أحقا ، هذه المظاهرات قد سارت فى شوارع القاهرة ، لتلعب دورا فى هزيمة الانجليز ؟!

انها اذن مظاهرات خطرة ، من ورائها تدبير وطنى فاهم لما يعمل ..

فأين المدبرون والمحركون ، واين قصاص الانجليز منهم ، أو قصاص الذين حكموا مصر بأمر الانجليز ؟!

فان لم تكن هذه المظاهرات بالخطورة الفعلية على كيان الانجليز فى أيام محنتهم ، ففيم اذن هذا الاجراء العنيف ، وقد كان أيسر اجراء فى تلك الايام كفيلا بقمع مظاهرات ، لا هى بالخطيرة ، ولا وراءها تدبير ؟!

ولكن هناك هدفا .. وقد تحقق هذا الهدف ..

والهدف هو ايجاد مبرر تستند اليه الدعاية البريطانية ، عندما يتخذ الانجليز هذا الاجراء الاجرامى الشاذ فى نوعه ..

وقد تحقق هذا الهدف ، واستطاعت انجلترا أن تفرض على الملك حكومة النحاس ..

الهدف الكبير

ويبقى السؤال الذى لايزال ينتظر الجواب ..

لماذا أراد الانجليز هذا ، وما الذى كلفهم كل هذا التدبير ،

وكل هذه الجريمة ، وكل هذه الدعاية التى اضطروا اليها اضطرارا لتبرير فعلتهم ؟!

لم تكن المسألة مسألة السخط الذى كان يعم مصر وقتئذ ٠٠ ولم تكن مسألة الخوف من فورة الشعور الشعبى المضاد للانجليز فى وقت يقف فيه الانجليز فى احرج موقف من مواقف الحرب العالمية الثانية ٠٠

فما كان حادث ٤ فبراير ليستطيع ازالة السخط ، ولا وقف الشعور الشعبى المضاد للانجليز ، وانما هو جدير بزيادة السخط والكراهية ، وكشف العداء سافرا بين شعب مصر ، وبين حليفه المفروض عليه فرضا ٠٠ جند الاحتلال ٠٠

فصحيح كان هناك سخط ، وكان فى البلاد توثب لانتهاز الفرصة وضرب الانجليز من الخلف ، بينما تشتد عليهم نيران روميل من الامام ٠٠

ولكن هذا ، لم يكن كل شيء ٠٠ ولم يكن يستحق الموضع الذى وضعت انجلترا نفسها فيه ، يوم ٤ فبراير المشئوم ٠٠

الجيش ٠٠٠ والشعب

كانت إنجلترا ترى أن هناك تقاربا بين الملك وبين الشعب من ناحية وبين الملك وبين الجيش من الناحية الاخرى ٠٠ فقد كان الملك فى نظر الشعب وفى نظر الجيش أيضا ٠٠ شابا وطنيا ، وكان محبوبا ٠٠ ورأت انجلترا أن هذا التقارب سيوجد جبهة متحدة من الجيش والشعب ، فأرادت أن تحطم هذه الجبهة ، وأن تعزل الجيش عن الشعب ، وكان يوم ٤ فبراير هو الوسيلة لذلك ٠٠ فقد صممت انجلترا فيه على تكليف النحاس ـ زعيم الشعب ـ بتشكيل الوزارة ، فأصبح الشعب بذلك فى ناحية ، والملك والجيش

فى الناحية الاخرى .. وبدأت انجلترا بعد هذا تقيم سياستها على أساس عزل الجيش عزلا كاملا عن الشعب بتبغيضه اليه ، واشعار الشعب بأن جيشه هو السوط الذى سيلهب ظهره باسم الملك ..

وكان يوم ٤ فبراير .. الذى تحدثت مصر عنه عشرة أعوام كاملة .. ولا تزال تتحدث .

وكحقيقة نذكرها ، لم يكن تشكيلنا قد توقع هذا الحادث ، بل أكثر من هذا ، لم يشعر تشكيلنا بهذا الحادث عندما وقع .

ولكننا أحسسنا به بعد ذلك ، وفهمناه من تحليلنـــــا ومن تحرياتنا . وبينما كانت البلاد فى ذهول من الحادث ، طاش صواب ضباط الجيش وبدأنا نحن فى تشكيلنا .. نفكر ..

أما البلاد فقد ذهلت لان الاحـــــداث كانت أغرب من كل ما تصوره خيال هذا الشعب .. واذهلها بعد ذلك عنه أو شغلها عنه ، ما تقاذف به السياسيون من سباب واتهامات وما أثير من قصص الاجتماعات التى تمت فى قصر الملك ، والمواقف المثيرة التى رأتها قاعاته من الزعماء ..

وطاش صواب ضباط الجيش ، لانهم كعسكريين شــعروا بأنها ضربة عسكرية لايردها سواهم .. وفى فورة الحماســـة وعنف الشباب . بدأت الاجتماعات تعقد علنا فى نادى ضـــباط الجيش لمناقشة الموقف ، وتقرير الخطة بصورة مفتوحة ، لا يمكن أن تؤدى الى خير .

أما نحن فقد انتهينا حينئذ الى قرار أولى ..

استعداد وتأجيل

فمع تصميمنا على وجوب رد هذه الضربة للانجليز ، قررنا تأجيل هذا الرد ، لان ذلك الجو المفتوح الذى نوقشت فيه المســائل

بنادى الضباط كان يوجب عدم القيام بأى شىء فى خلاله ..

كنا قد درسنا الامر من كل وجوهه على طريقة العسكريين عندما يقومون بما يسمونه : « تقدير الموقف » .

ولم نضع فى حسابنا عندئذ أن نحدد موعد ضربتنا ، فقد اتفقنا على عدم الاهتمام بالتفكير فى الموعد ، بعد ما حدث ، وما فوجئنا به على غير استعداد أو ترقب ..

ولكننا وضعنا فى حسابنا أن ندرس كيف تكون ضربتنا لا متى تكون ، وصممنا على أن نضع خطتنا لكى تأتى ضربتنا للانجليز محكمة ، ودامية فى الوقت نفسه .

وقررنا كذلك أن تنأى خطتنا فى هذه المرة عن أى صلة بالاخوان المسلمين .. وأن تقوم على توسيع تنظيمنا الداخلى فى الجيش ، وتكتيل قوتنا فى كل الأسلحة ، واعداد أنفسنا بما تستلزمه ضربة عسكرية محكمة دامية .

وقت العمل

ومرت الأيام من ٤ فبراير حتى وقع حادث العلمين ، أو مأزق العلمين .

وكانت هذه المدة كفيلة بأن تضاعف قوتنا داخل الجيش أكثر من مائة ضعف .

فقد كنا ، عندما وقع مأزق العلمين قد وصلنا فى استعداداتنا الى تجهيز مائة ألف زجاجة من الزجاجات المعروفة بكوكتيل مولوتوف .

وكنا قد استطعنا انشاء ورشة كاملة لصنع المسدسات وبدأت تخرج السلاح فعلا .

وكنا أيضا قد استوردنا من ريف مصر ، كميات كبيرة من البارود الذى يصنعه الفلاحون من زمن بعيد ، واستطعنا أن نحضره تحضيرا علميا ، بحيث يمكن الاعتماد عليه .

وكان هذا هو الشق الأول من خطتنا بعد ٤ فبراير .. أن نعد أنفسنا بما يلزم لعمل كبير .

أما الشق الثانى الذى يحدد نوع العمل ، فقد كان مقررا تركه للخطة التى يتقرر فيها العمل نفسه .

كنا مرة أخرى ننتظر الوقت المناسب .. وجاء هذا الوقت يوم وصل الألمان الى العلمين .

وبدأنا نرقب الأحداث لحظة بلحظة لنتبين نوع العمل الحاسم الذى نستطيع أن نقوم به .

وقالت الأحداث كلماتها سريعة متلاحقة .

قالت أن روميل يضرب ضرباته القاضية .

وقالت ان الانجليز أيقنوا بالهزيمة .

وقالت أنهم فى هلع أفقدهم صوابهم .

وقالت انهم قرروا الانسحاب فورا ، وبأسرع ما يمكن الى الجنوب ..

هذا كان صوت الاحداث الواقعة التى رأيناها بأعيننا ورآها العالم بأسره معنا ..

وكان يجب علينا أن نضع الخطة التى تناسب منطق الأحداث ..

فلم يكن هذا المنطق يحتمل حربا نظامية ، ولا انقلابا عسكريا ، ولكنه كان يوجب اتجاها أخطر .. يوجب خطة سريعة واحدة توضع لابادة الانجليز أفرادا وجماعات عند انسحابهم .

خطتنا ... وخطة القدر !

وعكفنا نضع خطتنا كعسكريين ..

وكان جانب منها يحدد تفاصيل العمل العسكرى الداخلى والجانب الآخر يرسم خطة الاتصال بالألمان ..

ولكن خطة أخرى كان القدر يضعها فى الوقت نفسه .. وقد لا نستطيع أن نحكم على فعال القدر عندما تحدث ولكن بعد مرور وقت طويل ، نستطيع دائما أن ننظر الى الماضى ، فنجد أن الايمان دائما هو أقوى من القدر !

وبدأت قصة القدر ..

بدأت بطرقات خفيفة على باب بيت صديقى الصاغ حسن عزت .. دخل فى أثرها رجلان من الألمان ، يصحبهما صديق له ، هو الأستاذ عبد المغنى سعيد .. ثم لم يلبث الصاغ حسن عزت أن أتى بثلاثتهم الى ...

هكذا بدأت قصة القدر بالنسبة الينا ..

ولكنها بالنسبة الى هذين الالمانيين قد بدأت قبل ذلك ..

بدأت على رمال الصحراء الغربية الصفراء .. عندما دعا قلم المخابرات الالمانية رجلين من رجاله .. أحدهما يدعى هانز ابلر .. والثانى يدعى ساندى ..

وكان ابلر يعرف مصر من قبل ، كما يعرفها كل أبنائها ..

فقد كانت أمه الألمانية ، قد تزوجت فى ألمانيا من المرحوم صالح بك جعفر المستشار ، ثم حضرت معه الى مصر ، وفى يدها ولدها من زوجها الأول ..

وكان ولدها هذا ، هو « هانز ابلر » ..

وأراد الزوج المصرى ، أن يوفر لابن زوجته حياة مطمئنة فى مصر ، فيسر له كل سبل التعليم والنجاح ، وأعطاه اسما مصريا ، وأعطاه فوق ذلك لقب أسرته ، فأصبح هانز ابلر يعرف فى مصر ، باسم حسين جعفر ..

وعاش « حسين » فى مصر ، ولكنه لم يكن الولد الصـــالح الذى ارتجاه زوج أمه ، فقد انحرف عن الطريق الذى رســـمه له الرجل .. وأصبح بعد فترة وجيزة شوكة فى قلبه ، ووصمة فى سمعته ..

وفشـــل المستشار المصرى ، فى اقناع ربيبه بالعدول عن مخادنة الأوغاد وحيـــاة الليـــل بين المراقص والحانات ، ونســاء الطريق ... وفشل فى اقناعه بأن يجد لنفسه عملا يعيش منه ، أو يشغل به بعض وقته ..

ولما أيقن بأن لا سبيل الى اصلاحه ، ولا اتقاء شره فى مصر ، طرده من حياته قبيل الحرب .. فما كاد يعود الى وطنه حتى جندوه هناك .. ثم أصبح من رجال روميل .. ومن رجال مخابراته فى شئون مصر بالذات ...

تجسس

وأصدر روميل لرجليه أبلر وساندى أمرا بالتســلل الى مصر ، وكلفهما بعمل معين ، وسلمهما جهازا لاســلكيا دقيقا .. وزودهمـــــا بعشرات كثيرة من آلاف الجنيهـــــات الانجليزية المزيفة المطبوعة فى اليونان وبســيارة من ســـيارات الجيش الانجليزى التى استولى عليها روميل أثنـاء معركة العلمين وفرار الانجليز تاركين خلفهم كل شىء ..

وتحركت السيارة بالرجلين ، وقد ارتديا ملابس ضباط فى الجيش الانجليزى ، وحملا معهما جهازا لاسلكيا ، وثروة طائلة ..

واخترقا الصحراء الغربية من طريق غير مطروقة تقع الى جنوب سيوة ، ثم انحرفا من سيوة الى الواحات الخارجية .. واستراحا فيها من رمال الطريق وتزودا بما يحتاجان اليه ثم اتجها صوب أسيوط فى الطريق المرصوفة المؤدية اليها ..

وكانت هذه المرحلة هى أخطر مراحل الرحلة بالنسبة اليهما اذ الطريق طريق عسكرى ، تنتشر على جانبيه المعسكرات البريطانية ، ونقط التفتيش والحراسة ، وتذرعه دوريات الاستكشاف وقوافل الجنود والعتاد ..

وأخذت السيارة تنهب هذا الطريق مارة بالموت فى كل لحظة ، ونفد منها الوقود فى منتصف الطريق واذا بقائدها أبلر ينثنى بكل جرأة الى أحد المعسكرات البريطانية ، فتفتح له الأبواب ، ويدخل الى محطة البنزين بالمعسكر ، ويقدم أوراقه ، ويعبىء سيارته بالبنزين ، ثم يخرج مودعا بتحية الجنود ..

ووصلا الى أسيوط .. ثم انحرفا فى الطريق الى القاهرة .. ودخلاها ضابطين انجليزيين تقوم لهما دنيا القاهرة وتقعد فى ذلك الزمان ..

طلبات

وقال لنا الأستاذ عبد الغنى سعيد انه تعرف بهما عن طريق قريب له متزوج من ألمانية تعرف عائلة أبلر .

وأخرج الرجلان أوراقهما ، وأثبتا بما يقطع كل شك ، حقيقة جنسيتهما الالمانية وحقيقة مهمتيهما ..

وطلب الألمانيان منا أن نقدمهمــا الى الفريق عزيز المصرى ، وكانا يطلقان عليه كلمة « الزعيم » ..

وقال ابلر ان جهاز اللاسلكى الذى جاءا به قد تعطل ، وانه يرجو أن يعتمد فى اصلاحه علينا ...

كما طلبا أن نسهل لهما عند الحاجة الاتصــــال الشخصى بروميل فى مكانه بالعلمين ..

وقابلهما عزيز المصرى ، وتفاهم معهما على أشياء كثيرة ، ثم أصدر أمره الينا بتسهيل طلبيهما الآخرين .

وقمت أنا بالناحية التى تتصل بعملى فى سلاح الاشارة ، فحددت معهما موعدا لزيارتهما وفحص الجهاز اللاسلكى المعطل ..

وكان أول ما فوجئت به من أمرهما ، أنهما يقطنان فى عوامة للراقصة المشهورة حكمت فهمى ... ويبدو أن المفاجأة قد ظهرت على آثارها ، فقد ضحك أبلر ، وقال :

— أتريد أن نقيم فى معسكرات الانجليز ؟!

ومضى يروى لى ما يعرفه من اخلاص حكمت فهمى له منــذ كان فى مصر قبل الحرب ، وكان قد مضى عليه أكثر من شــــهر يقيم فيها ..

البنك الأهلى

وفهمت انهما منذ نزلا ضيفين على هذه الراقصة قد خلعـــا ثيابهما الرســـمية « الانجليزية » وارتديا ثيابا مدنية عادية ، ثم راحا يعيشان كانجليزيين بصورة لا تثير الشبهات حولهما ..

كانا ينفقان عن سعة .. ويبعدان بنفسيهما عن كل مكان يمكن أن تكون له صلة بالوحدات الحربية أو الجهات العسكرية ..

ولم تزد حياتهما طول هذه الفترة عن مجرد السهر ليلا فى الكيت كات ، والعودة مخمورين قرب الصباح الى العوامة التى اتخذا منها محطة للاذاعة يتصلان عن طريقها بقيادة مخابراتهم ..

وقالا لى وهما يضحكان ان البنك الأهلى قد بدل لهما ما يزيد عن أربعين ألفا من الجنيهات الانجليزية المزيفة بجنيهات مصرية ..

ثم قالا :

وكان الوسيط يهوديا ، قبل أن يتحمل المسئولية مقـــابل ٣٠٪ من قيمة ما يبدله من النقود ..

ولم أدهش أنا لليهودى الذى يعرف أنه يؤدى خدمة لجواسيس النازى ، فلا يتردد ما دام كل شىء بثمنه ولكنى مع ذلك أشـــفقت عليهما من قيام صلة بينهما وبين اليهود ..

وسألنى ابلر :

ــ متى تجىء ؟

فحددت له موعدا يوم الجمعة ..

وفى يوم الجمعة ، كنت واقفا على شاطىء النيل ، من خلفى مستشفى الجمعية الخيرية الاسلامية ... ومن أمامى عوامة الراقصة حكمت فهمى !

نساء وخمر

- محطة اذاعة تحت أقــدام الراقصات !
- عندما تظهر الحقيقة عارية !
- دبلوماسى أجنبى يسرق من مفوضية سويسرا
- أين ذهبت أموال البنــك الأهلى ؟
- خرافة المخابرات .. !

كنت على موعد مع الجاسوسين الالمانيين (ابلر ، وساندى) فى عوامة حكمت فهمى ...

وكان هذا الموعد لاصلاح جهاز ارسال لاسلكى ، يملكه الجاسوسان ، ويذيعان منه ، من داخل العوامة .

ووقفت أمام العوامة أفكر قليلا قبل أن ألمس زر الجرس ... فقد كنت أشعر ، انى أمام مغامرة ..

ونظرت الى أعلى العوامة ، فوجدت أربع ساريات من ساريات السلك الهوائى الذى يستعمل للارسال اللاسلكى والاستقبال .. فاعترتنى رجفة مفاجئة .. فان وجود سلكين هوائيين فوق سطح عوامة ، قد يثير بعضا من الشكوك ..

ثم تتابعت على الافكار فى سرعة متلاحقة ، وأصبحت بعد ذلك أسئلة لا أجد جوابا عليها .

هل يعرف اليهودى الذى يبدل لهما الأموال حقيقتهما فعلا .. واذا كان يعرفها ، فهل تكفيه العمولة الكبيرة التى يتقاضاها، لكى يسكت ... ولا يخون ؟

وما حقيقة موقف حكمت فهمى من هذه المغامرة ؟

وما مدى استعدادها للسير فيها الى آخر الطريق ؟

وهل هى تستطيع أن تقدر حقيقة هذا الطريق ، والنتائج الخطيرة التى قد ينتهى بها اليها ..

وكان لابد أن أجد جوابا لهذا .. ولذلك ، كان لابد أن أدخل .. !

ووضعت يدى على زر الجرس ...

وفتح الباب ، .. وبعد لحظات كان أمامى الالمانيان (ابلر ، وساندى) .. يرحبان بمقدمى بينما تدور عيناى فى أرجاء العوامة، أحاول أن أستشف نوع الحياة التى تجرى بداخلها .

ولم يكن عسيرا على أن أحدد هذه الحياة فى دقائق قليلة ..

فقد كانت جميع المظاهر تدل على أن صاحبة العوامة قد تركت للالمانيين حرية التصرف فى عوامتها كما يشاءان وأنهما تصرفا فى عوامتها فعلا ، فاتخذا منها وكرا للترف والنعومة وحياة الليل والتهتك ...

وكان واضحا أنهما ألقيا عن ظهريهما كل مسئوليات العمل الخطير الذى جاءا لكى يقوما به ، وانغمسا الى آذانهما فى الحياة التى تتناسب مع عوامة ، يعيش فيها رجلان فى عمر الورد ، فى جيوبهما عشرات كثيرة من آلاف الجنيهات

أين الجهاز ؟

وسألتهما عن جهاز اللاسلكى المعطل .. فضحك ابلر ، وهو يقول :

ـ أتستطيع أن تجده لو بحثت عنه ؟ ..

وخيل الى أنى أستطيع ، فقمت أطوف غرفة العوامة ، وأهبط

درجاتها ، وأصعد الى أعلاها .. فاذا بها لا تحتوى الا على وسائل الحياة الناعمة ، وأدوات الترف والزينة ... وكئوس الشراب ، وصناديق الويسكى ..

وفجأة عاد بى ابلر الى حيث كنا فى بهو العوامة ... ومد يده الى جهاز الراديو الكبير الموضوع فى صدر المكان .. وكنت قد فحصته ، فى دورتى ، فلم أجد فيه أكثر من جهاز راديو «موبيليا» أنيق فى أعلاه بيك أب مغطى بغطاء خشبى دقيق الصنع ، وفى جوانبه دواليب صغيرة مقسمة لحفظ الاسطوانات ..

وأمسك ابلر بالجزء الخاص بالبيك أب ، ثم حركه حركة بسيطة ، فانفتح الى أعلى .. وقال لى : أنظر .. فنظرت لأجد أمامى تجويفا كبيرا ساقطا فى جوف الجهاز العجيب يكفى لكى يهبط فيه رجل فيجد كرسيا صغيرا يجلس اليه ، ويجد أمامه جهاز اللاسلكى الذى يعملان عليه ...

وقال ابلر وهو يشير بيده داخل التجويف :

ـ تستطيع أن تجلس هنا على هذا الكرسى وأن تضىء النور الداخلى ، ثم أغلق عليك الجهاز من فوق ، وأدير أنا اسطوانة للرقص ..

وقال زميله ساندى :

ـ اننا دائما نصنع هذا ، نرقص على الموسيقى مع الضيوف، بينما يباشر أحدنا عمله داخل الجهاز فى هدوء ..

ووجدتها فكرة جميلة ... فلن يستطيع أحد مهما أوتى من قوة الملاحظة أن يتصور أن تحت هذا البيك أب ، محطة اذاعة كاملة ، ورجلا يذيع !

ونزلت الى الفجوة لأفحص الجهاز ..

شكوك

وكان شعورى ساعة جلست أمامه ، وأخذت أدير مفاتيحه، أن هذا الجهاز لا يمكن أن يتعطل هكذا من تلقاء نفسه ، فهو كما بدا لى جهاز دقيق متين الصنع ، كما أنه بوضعه الذى كان فيه لم يكن معرضا لأية مؤثرات خارجية يمكن أن تؤدى الى تعطله ..

وفتحته من الداخل ، فوجدت جميع صماماته سليمة ، وحاولت أن أكتشف مكان العطب فيه ، فلم أستطع ، فقد كان الجهاز جديدا فى كل شيء .. وكان من التعقيد بحيث لا يسهل اكتشاف سبب تعطله ، ان لم يكن فاحصه خبيرا به وبالنظرية التى أسس عليها ..

وخرجت يائسا .. أو بادى اليأس ، وفى رأسى دوامة من الأفكار ، وشكوك كثيرة ...

وصدر منى سؤال مفاجىء لم أكن أحمله أكثر من معناه الظاهرى :

ـ هل هذا الجهاز معطل حقا ؟ !

واضطرب ابلر لهذا السؤال بينما أجاب سساندى بسرعة فائقة ، والكلمات تتزاحم على شفتيه :

ـ انه معطل .. معطل فعلا .. هل تستطيع اصلاحه ؟

وقبل أن أجيبه بالنفى ، كان هو يسألنى سؤالا آخر :

ـ انك بلا شك تسمع عن الهر هوارد ...

جهاز جديد

وكنت أعرف أن هوارد هذا ديبلوماسى فى مفوضية السويد فى مصر ، وأنه كان يقوم برعاية شئون الالمان فى مصر ، بعد اغلاق المفوضية الالمانية عند اعلان الحرب ..

قلت : أعرفه ..

فقال : اننا على اتصال به أيضا ، وهو يعلم أن هـذا الجهاز معطل ، وهو الذى قال لنا أن نحاول الاتصال بك ..

وقاطعته قائلا :

ولكنى آسف جدا ، لأننى لا أستطيع اصلاح هذا الجهاز ، فلم يسبق لى أن استعملت أجهزة ارسال ألمانية أبدا .

وبدأ ابلر الكلام فقال :

ان الهرهوارد طلب منا أن نتصل بك .

وسكت قليلا ثم عاد يقول :

انه يعرف كل شىء عنا ، ونحن نستعين به دائما عندما نحتاج لأى شىء .. وهو أيضا ، يساعدنا ...

وأكمل ساندى قائلا :

ــ وقد قلنا له ان هذا الجهـاز قد تعطل ، فجاءنا بجهـاز آخر ... ولكننا لا نعرف كيف يعمل ..

وسألتهما أنا :

ــ وهل الجهاز الآخر هنا الآن ؟ .

فأجاب ساندى :

ــ نعم ، انه فى الطابق الأسفل ، لقد سرقه لنـا هوارد من المفوضية السويسرية ، وأعطاه لنا لنواصل به عملنا ، ولكننا حتى اليوم لم نستطع تشغيله .

وأمسك بى من يدى وقال : هيا معى .. سأريك الجهاز الآخر .. وقد قال لنا هوارد انك أنت وجميع ضباط سلاح الاشـارة فى مصر ، تستعملون مثله ..

ونزلت معه الى الطابق الأسـفل وقد أخذت منى الظنون كثيرا ...

لم تعد شكوكا

وفي الطابق الأسفل ، وجدت جهاز ارسال من النوع المعروف بالهاليكرافتر .. وفحصت الجهاز فوجدته جديدا لم يستعمل قط ، ودهشت لقولهما انهما لا يستطيعان استعماله ، لسهولة استعمال هذا النوع من أجهزة الارسال ..

وقلت لهما :

ان هذا الجهاز من أبسط الأجهزة استعمالا ، واني أستطيع أن أدلهما على كيفية استعماله في لحظات قصيرة .

وفجأة خطرت لي فكرة .. وانطلق بهما لساني على التو واللحظة ..

فقد كانت شكوكي في الرجلين قد بدأت تعلو الى مرتبة اليقين .. كنت قد اقتنعت في نفسي تماما ، أن جهازهما الالماني اما أن يكون تالفا ، واما أن يكونا هما قد عطلاه بنفسيهما .. وخطر لي أني لو تركت لهما الجهاز الآخر فسوف يتلفانه أيضا .. ولم أكن أعرف السبب في هذه الشكوك ، ولكنها كانت قد سيطرت علي ..

وقلت لابلر ، وأنا آخذ بذراعه على سلم العوامة :

ـ أريد أن آخذ هذا الجهاز الامريكي معي يوما ، لاختبره اختبارا دقيقا ، ثم أعيده اليك ..

وانتظرت من ابلر أن يمانع في هذا ، ولكنه أسرع يقول :

ـ بكل سرور .. يوم أو أكثر كما تشاء .. !

نساء .. وخمر

ورأيت الالمانيين وقد استخفتهما النشوة ، والمرح ، وعلمت أنهما سوف يقصدان الى جروبي لتناول الغداء وأنهما سيعودان بعد ذلك الى العوامة بصحبة فتاتين ..

وكان لا بد أن أنسحب .. فاعتذرت عن قبول دعوتهما للغداء .. لآخذ معي الجهاز ! ..

وبدأت شكوكي تجد أسبابا ترتكز اليها ، ثم تحققت بعد ذلك من أن شكوكي لم تكن عبثا ..

فقد علمت ان الالمانيين قد استطابا الحياة الناعمة ، التي وفرتها لهما آلاف الجنيهات التي بدلوهما عن طريق اليهودي من البنك الأهلي ، وتعرفا على عدد من الراقصات ، ومن بائعات الهوى .. وأرادا أن يطيلا مكثهما في القاهرة ، وأن يلقيا عن كاهليهما عبء المسئولية والمخاطرة ... فادعيا أن الجهاز الذي معهما قد تعطل ، واستطاع « هوارد » أن يزودهما بهذا الجهاز الامريكي ، فادعيا أنهما لا يستطيعان تشغيله .. واتصلا بنا ..

وبهذه الوسيلة استطاعا أن يغطيا أنفسهما في قضاء الأيام والليالي بين سهر المراقص ليلا ، ولهو مع الغواني نهارا ... فقد كانت حجتهما أن الجهاز معطل ، وأنهما لا يستطيعان العمل بالجهاز الجديد !!

وبدأت المتاعب !

عرفت هذا .. ولكنني عرفته بعد فوات الأوان ..

وفي يوم الأحد ، ذهبت الى العوامة ، وأوقفت التاكسي خارجا ..

وأخذت الجهاز ، وخرجت تاركا خلفي ابلر وساندي .

ومر الأحد ، والاثنين ...

وفي يوم الثلاثاء ، قبض عليهما ..

وفي اليوم نفسه عرفت أنا بنبأ القبض على هذين الرجلين ،

فبدأت مخاوفى ، فقد كنت حتى ذلك الوقت ، أعتقد فى وجود الخرافة الكبرى التى عرفت فى مصر ، باسم « قلم المخابرات البريطانية » ...

وكنت على يقين حتى ذلك اليوم من أن هذه المخابرات هى التى أمسكت بخيوط المغامرة التى جاءا ليقوما بها ، وانها هى التى قبضت عليهما ، وأنه ليس من المستبعد أبدا أن تكون عيون المخابرات قد وقعت على فى الزيارتين اللتين قمت بهما للعوامة ، وانى بهذا بت فى خطر أنا ومن معى فى تشكيل الضباط .

وبدأت أعد نفسى لكل احتمال وأنبأت أصدقائى بالقبض على هذين الرجلين ، وأبلغت الفريق عزيز المصرى أيضا ...

ولم أقف عند هذا ، فقد كان على أن أعرف كيف قبض عليهما ، وهل اكتشفت المخابرات ما كان بينى وبينهما من صلة ، وهل هناك مراقبة موضوعة علينا ؟ ..

وبدأت سلسلة من التحريات على نطاق ضيق ، مأمون .. فعلمت أن المخابرات البريطانية قد علمت بوجودهما منذ شهر ، وأن الرقابة كانت مفروضة عليهما طوال ذلك الشهر ليلا ونهارا ، وأن هم المراقبة كان معرفة أعوانهما فى القاهرة والعمل الذى يقومان به فعلا ..

خرافات المخابرات

وعرفت بعد ذلك أن هذه المراقبة لم تكتشف صلتى بهما ، ولم تقع أعينها على داخلا الى العوامة ولا خارجا منها ... وانهما حتى بعد القبض عليهما ، لم تكن تعرف عنى شيئا ..

وتكشفت لى المخابرات البريطانية على حقيقتها خرافة كبيرة،

ملآنة الجيوب بالذهب .. فقد عرفت بعد ذلك كيف قبض عليهما ، ويوم عرفت ذلك .. عرفت قصة من القصص التى تلعب فيهـــا المرأة ، ويلعب فيها الذهب ، وتنام عيون المخابرات ..

وعرفت فى ذلك اليوم شيئا آخر أيضا .. عرفت حيـــاة جديدة لم تكن لى بها خبرة من قبل ..

دخلت السجن
بسبب شهرزاد

- عذارى شهر يار ..
- فى عوامة الراقصة ..
- النحاس وحمدى سيف النصر يسلطان علينا الانجليز
- حسن البنا يهرب معى من وكيل الاخوان المسلمين
- حتى لو كان مصطفى النحاس ! ..
- هل كان حسن البنا .. معنا ؟

قبض البوليس على ابلر وساندى يوم الأحد ، ومر بى يوم الاثنين وأنا أحاول أن أعرف ان كانت صلتى بهما قد اكتشفت أم لا ؟ ..

فعلى الاجابة على هذا السؤال يتوقف مصيرى كضابط فى الجيش ..

وكمصرى حر يعيش حياته طليقا كما يعيش المصريون ..

وقد يذهب الأمر الى أكثر من هذا ، فيتوقف على الاجابة على هذا السؤال : حياتى أو موتى ..

وأكثر من هذا .. ان نتيجة اكتشاف المخابرات البريطانية لصلتى بهذين الرجلين ، كان يمكن أن تكون المفتاح الكبير الذى يفتح أمامها الباب لاكتشاف حقيقة تشكيلنا فى الجيش ، هذا الذى ترامت أنباؤه الى انجلترا منذ شهور كثيرة ، فأدت بها الى افتعال حادث ٤ فبراير ، ومجابهة هذا التشكيل بقوة الوفد الشعبية فى ذلك الوقت .

ولم أكن أتوقع أن يقبض على سريعا ، فقد كنت أرجح أن المخابرات البريطانية ، وان كانت قد اكتشفت صلتى بالجاسوسين الالمانيين ، فهى لا بد أن تتركنى تحت المراقبة فترة من الوقت ، لتتمكن بهذا من وضع يدها على سر تشكيل الضباط كله .

وكان هذا ما أعتقده ، ولكنى فوجئت فى يوم الثلاثاء التالى ، أى بعد يومين من القبض على الجاسوسين ، بالقبض على وعلى زميلى حسن عزت ..

ودهشت لهذه السرعة ، وخيل الى أن المخابرات البريطانية الساهرة ، لم تكن غافلة عنا ، وانها قد وضعت يدها فعلا على كل أسرارنا ..

والا لتركتنى طليقا كطعم يوقع لها الصيد الثمين فى الشرك

ولكنى تنفست الصعداء بعد أن عرفت التفاصيل المثيرة التالية أثناء التحقيق ..

بلاد شهر زاد

كان ساندى ، شأن أكثر الألمان ، ولوعا بالموسيقى الكلاسيكية الأوربية .. ولم يكن ابلر كذلك ، فقد كان على النقيض منه ، لا يحب الا موسيقى الجاز ، تمتزج طرقاتها بالخمر التى تدور برأسه ، فتحيله كائنا عجيبا ، نصفه انسان ، ونصفه حيوان .. !

وفي احدى الأمسيات ، جلس ساندى فى عوامة الراقصة حكمت فهمى ، يستمع الى موسيقى « شهر زاد » للموسيقار الروسى ديمسكى كورساكوف .. وكان ابلر مغيظا محنقا ، يحاول اغراء صديقه للقيام معه الى موعد حافل ضربه مع بعض الغوانى في ملهى الكيت كات .. وأصر ساندى على سماع الموسيقى الخالدة حتى نهايتها ، فوضع أمامه كأسا من الخمر وأخذ يسمع ويحلم ، ويتمثل فى خياله آخر مرة شاهد فيها هذا الباليه على مسرح من مسارح برلين ..

ورويدا رويدا اندمج ابلر معه فى الاستماع الى الموسيقى

ولكنه لم يسلم نفسه لأنغام الموسيقى بقدر ما أسلم نفسه لهمسات شيطان أخذ يراوده ..

وفجأة صاح بصديقه صيحة مخمورة :

ـ ما كان أسعده هذا الملك .. شهر يار ..

وضحك ساندى وهو مسترسل فى أحلامه وقال :

ـ كان يأتى كل ليلة بعذراء طاهرة .. يبيت معها ليلته .. ثم يذبحها فى الصباح ..

وصاح ابلر ، والخمر فى رأسه :

ـ هكذا الحياة . ماذا ينقصنا نحن ، لنكون مثله . ؟! أنا شهريار الثانى ، وأنت شهريار الثالث ..

ألسنا فى بلاد ألف ليلة وليلة ؟!

ـ أكنت تقرأ مثلى قصص ألف ليلة وليلة أيام الشباب ؟

فأجاب ابلر :

ـ لقد كدت أطرد من المدرسة وأنا أقرؤها يوما فقد كانت معى الترجمة الحقيقية لها ، بكل ما فيها من كلام لذيذ !

وسأله ساندى بخبث :

ـ وهل تحب أن تذبح النساء ؟ .

فأجاب ابلر :

ـ ولماذا أذبحهن .. أعطيهن مالا .. مالا من البنك الأهلى .. كم يكون لذيذا أن تعيش كل ليلة فى أحضان عذراء !

وانتهت الموسيقى وخرج العربيدان الى الكيت كات يقضيان سهرتهما ..

تلك الليلة .. فكانا كلما سكتت الموسيقى رفعا عقيرتهما بألحان شهر زاد ، فتضج القاعة بالضحك على هذين «الانجليزيين» — كما كانت تظن الراقصة — اللذين ذهب بعقلهما الشراب ..

عذارى شهريار

ولم تمر الليلة على خير ..

فقد أسر ابلر بأحلامه الحيوانية الى احدى صـــديقاته .. فضحكت الصديقة بخبث ، ودخلت معهما فى مفاوضات ، أصبح ابلر بعدها شهريار الثانى ، وأصبح ســـاندى شهريار الثـالث أيضا ..

وبدأت العوامة تستقبل كل صـــباح فتاتين جديدتين من بائعات الهـــوى ، فى ثياب كثياب الطالبـــات .. يدخلان على استحياء ..

ويخرجان وقد امتلأت حقيبة كل منهما بمائتى جنيه !

أخذتاهما من الرجلين باعتبارهما من العذارى !

واشتهر أمر ابلر وساندى بين مجموعة من فتيات اليهود ، اللواتى كن يقمن بهذه التمثيلية العاطفية الفذة ..

حتى كان يوم السبت السابق للقبض عليهما ..

وكانت فى العوامة يهوديتان لتمثل كل منهما دور عروس من عذارى شهريار ..

وانتهى التمثيل .. والرجلان فى نشوة بالغة ، من الســكر الشديد ، والخيال المنطلق ..

وتهيأت الفتاتان للخروج .. ثم وقفتا فى انتظار الأربعمائة جنيه ..

ودخل ابلر الى غرفته ، ليأتى بالنقود ، ولكنه لم يجد سوى سبعين جنيها فقط ، هى كل ما كان لديه من أوراق مالية مصرية .

ومد ابلر يده بالنقود الى احداهما فأخذتها ، وعدتها ، ثم قذفت بها فى وجهه وهى تصيح :

ـ أتسلبنى أعز ما أملك ، بثلاثين جنيها ؟ أين باقى المبلغ ؟

وصاح فيها ابلر ، وقد أغاظه منها تطاولها عليه ، وقال :

ـ ليس معى غير هذا .. هيا اخرجى قبل أن أذبحك كما كان يفعل شهريار ..

وارتجفت الفتاتان ، وقد سمعتا كلمة « أذبحك » وخيل اليهما أن هذين « الانجليزيين » قد يصنعان أى شىء دون أن يخشيا عاقبة أو حسابا ..

ورأى الألمانيان هذا الهلع على وجه الفتاتين ، فاستبدت بهما نشوة الخمر والانتصار ..

وانطلق أحدهما يغنى نشيد « المانيا فوق الجميع » ثم شاركه الآخر ، فكونا معا ثنائيا فريدا فى نوعه ، ينشد نشيد هتلر !

ولم يكن هذا النشيد مجهولا ، خصوصا فى أوساط اليهود

فهزت احدى الفتاتين رأسها ، وجذبت الأخرى ، ومضيتا من العوامة الى قلم المخابرات البريطانى ..

وبعد ساعات قليلة ! كان ابلر وساندى فى طريقهما الى السجن ! ..

امام تشرشل ! ..

عرفت تفاصيل هذه القصة التى تكشف عن خرافة المخابرات البريطانية فتظهرها على حقيقتها : ذهب كثير واعتماد على اغراء هذا الذهب للنفوس الضعيفة التى تخون وطنها فى سبيله .. فليست المخابرات اذن هى التى اكتشفت سر الجاسوسين .. ولكن الفتاة اليهودية التى أصرت على أن تأخذ ثمن جسدها مائتى جنيه، وسيان عندها أن تأخذ المبلغ من ابلر .. أو من مخابرات الانجليز !

وكنت قد بدأت أشك فى أن الفتى المجنون قد اعترف بالصلة التى قامت بينى وبينه ...

وظهرت لى الحقيقة كاملة عندمـــا علمت بعـــد ذلك ، أن الجاسوسين قد أمسكا عن الكلام يوما كاملا ، ثم حملتهما المخابرات البريطانيـة حملا الى مســتر تشرشل وكان يزور مصر فى ذلك الوقت ، فلما مثلا أمامه ، وعدهما بحياتهما ان اعترفا بكل شىء .

واختار الجاسوسان بين الموت والحيـــاة .. فاعترفا اعترافا كاملا ، وجىء بى وبحسن عزت الى السجن !

حتى لو كان مصطفى النحاس

وبدأنا نرقب النهاية المحتومة لضابطين فى الجيش المصرى ، يقبض عليهمـــا بتهمة الاتصال بجواسيس الأعداء .. وقد كان الألمان فى ذلك الوقت هم أعداء مصر من الوجهة الرسمية !

ثم جاء اليوم الذى يتقرر فيه المصير .. فقد صدر تشكيل المجلس العسكرى لمحاكمتنا ، ودعينا للمثول أمامه ..

ولم نكد ندخل حتى فوجئنا بما أفقدنا الصواب ..

كان المجلس مكونا من ثلاثة من ضباط المخابرات المصرية ، وانجليزيين أحدهما برتبة ميجر ، واسمه جنكينز ، والثانى برتبة كابتن واسمه سمبسون من ضباط قلم المخابرات البريطانية .

وضابط من البوليس المصرى وكان اسمه كمال رياض .

وكان يبدو من تصرفاته وحركاته وأسئلته ، انجليزيا صميما لا يمت الى المصرية بشىء ..

وقد لا تهم القارىء تفاصيل المحاكمة ..

فقد كان أهم ما فيها اعتراضـــنا على أن نحاكم كضـــباط مصريين ، أمام ضباط انجليز ، ولو كانوا مخولين هذه السلطة من وزير الدفاع حينئذ حمدى ســـيف النصر ، ومن رئيس الحكومة نفسه ، مصطفى النحاس !

بل لقد كان هـــذا التصرف من وزير الدفاع المصرى ، ومن رئيس الحكومة المصرية ، هو الخنجر الأول الذى طعنا به فى ذلك اليوم ..

ولم يستطع المجلس العسكرى أن يحصل منا على شىء .. لا اعترافات ولا اجابات ..

لا شىء غير الاحتجاج العنيف .. ونظرات الاحتقار ..

وتقرر وضعنا تحت الايقاف .. ثم طردنا من الجيش فى ٨ من اكتوبر ١٩٤٢ .

أى بعد حادث ٤ من فبراير بثمانية أشهر فقط .

ولم نكد نبرح مكاننا من الجيش ، حتى تسلمتنـــا السلطات المدنية ، فحملتنا الى سجن الأجانب ثم رحلتنا الى معتقل المنيا ..

حلقة الاتصال بالاخوان

كان هذا الحادث ، الذى انتهى بطردنا من الجيش واعتقالنا ، نذيرا آخر بتأجيل العمل الحاسم الذى كنا نفكر فيه ٠

وكان كذلك بدءا لتطورات أخرى فى تشكيل الضباط الذى لم يتأثر موقفه بخروجنا من الجيش ، ولم يتأثر بذلك موقفنا منه نحن أيضا ٠٠

وكان نهاية صلات مع الاخوان المسلمين ، وبدء صلات جديدة معهم ٠٠

فقد كنت أنا حتى ذلك الوقت حلقة الاتصال الوحيدة بين تشكيل الضباط وبين الاخوان المسلمين ٠٠

فلما انتهى الأمر باعتقالى ، بدأت حلقة أخرى عملها ٠٠

وكنت حين قبض على ، قد أجريت فعلا آخر اتصالاتى فى تلك الفترة معهم ٠٠

وكانت هذه الاتصالات فى نفس الفترة التى تم فيها اتصالى بالجاسوسين الالمانيين ٠٠

فقد كانت خطتنا اذ ذاك لابادة الجنود الانجليز العائدين من العلمين ، قد تمت من الناحية العسكرية ، وكانت استعداداتنا كافية فعلا ٠٠

وكنا قد بدأنا نفكر فى التنفيذ العملى ٠٠ فكان لا بد لنا من أن نعاود الاتصال بالاخوان المسلمين لكى يكونوا هم القوة الشعبية التى تشاركنا باسم الشعب تبعات العمل الكبير ٠

واذا قلت « الاتصال بالاخوان المسلمين » فانما أعنى الاتصال

بالمرحوم حسن البنا ، فلم تكن لى صلة عملية بغيره ٠٠ أو هكذا أراد حسن البنا نفسه ٠٠ فقد كان كما قلت من قبل ، أحرص ما يكون على أن يظل ما بيننا وبينه سرا خافيا على الجميع ، حتى على كبار الاخوان أنفسهم ٠

وعندما بدأت الاتصـــال به للقيام بالعمل الفعلى الذى كان يعرف اننا ننويه ٠ تكتم الأمر أيضا بينه وبين نفسه ٠٠

فقد ذهبت اليه حينئذ فى دار الاخوان وطلبت مقابلته لأمر هام ، وكان الاستاذ السكرى وكيل الاخوان المسلمين فى ذلك الحين موجودا معه ، فاذا به يشير بأن أدخل الى غرفة فى مدخل الدار ، كانت مخصصة لشركة المعاملات الاسلامية ٠٠

وبذل رحمه الله جهدا كبيرا لكى لا يشعر السكرى بأية حركة غير عادية ، ثم تسلل الى فى الغرفة من باب آخر لها ، وأخذنى من يدى فخرجنا متلصصين ، الى عربة نقلتنا الى بيته بالقرب من دار الجماعة ٠٠

وأغلق البنا باب غرفته ، وأوصد الشـــبابيك ، ثم مال على برأسه لكى يسمع ما أردت أن أنهيه اليه ٠٠

دور الاخوان

وفى تلك الليلة بسطت للمرحوم البنا كل التفاصـــيل ، وتوسعت معه فى شرح دقائق الخطة العسكرية الموضوعة ، وأفهمته حقيقة الدور الذى نريد أن يقوم الاخوان به ، وحدود هذا الدور ٠

وأطرق البنا طويلا وهو يســـتمع لى ثم سكت فترة طويلة أخرى قبل أن يتكلم ٠٠ وعندما تكلم أجهش فى البكاء !

ومرت فترة وهو يتكلم ٠٠

كنت أنا خلالها ذاهلا كالمسحور ..

قال كلاما كثيرا .. كلاما مثيرا امتزج بالايمان الشديد ..

وكان واضحا جدا من كلامه انه يؤثر مصلحة البلاد ..

ولكنني عندما خرجت من عنده ، سألت نفسي :

هل وعد الرجل بشيء ؟

هل هو سيقوم بتنفيذ نصيب الاخوان منها ؟

وحرت في الاجابة عن كل سؤال من هذه الأسئلة .. فالواقع أن الرجل تكلم كثيرا وأثر في نفسي كثيرا ، وبكى من أجل مصر كثيرا .. ولكنه لم يعد بشيء ولا ارتبط بشيء !

ولا أفهمني انه مقبل على تنفيذ نصيب الاخوان من الخطة !

هل كان معنا ؟

ولكنك لو سألتني حينئذ سؤالا من هذه الأسئلة لما استطعت أن أجيب عنه اجابة قاطعة كما أستطيع أن أفعل اليوم ..

انه برغم عدم تقيده بأى وعد فهو معنا .. بقلبه ووجدانه وتفكيره .. وروحه أيضا !

وكان أخطر ما أردت معرفته منه في تلك الجلسة ، هو أن أعرف شيئا عن استعداداته من حيث الأسلحة .. فقد كنت على يقين أن الرجل يملك سلاحا ، وانه يختزنه ويعرف كيف يخفيه .

وكانت مباراة بيني وبينه .. أنا أريد أن أعلم وأطمئن ، وهو يباعد بيني وبين ما أريد مباعدة لبقة لا تكاد تشعر بها أبدا ..

وفي جو الغموض والاسرار الذى كان يحوط نفسه به ،

ويحوط كل أعماله وكل جماعته ، كان سهلا عليه أن يقنعك بأنه يملك سلاحا ، وأن يقنعك بألا تسأل عنه أبدا ..

وأن يقنعك بأنه أعد فعلا جماعته للكفاح ، وأن يقنعك بأن تحفظ هذا سرا بينك وبين نفسك ..

وأن يقنعك بأنه معتمد على قوة كبيرة مخيفة مجهولة ، وأن يقنعك أيضا بأن تؤمن بهذه القوة ، دون أن تعرف عنها أى شيء ..

وكان هذا هو آخر اتصال لى بحسن البنا قبل اعتقالى ..

ولكن اتصالات جديدة بدأت عقب ذلك . اتصالات بينه وبين ضابط آخر من ضباط تشكلينا ، واتصـــالات بينه وبينى أثنـاء هروبى من المعتقل ..

وكانت هذه الاتصالات الجديدة ، صورة أخرى من صـــور الفصل الكبير الذى اشترك الاخوان فى صفحاته ..

ثورة رشيد عالى الكيلانى

- عزيز المصرى يتوقع هزيمة رشيد الكيلانى
- تاريخ الخيانة فى سياسة البلاد العربية
- خبرة البارون التائه فى الصحراء !..
- كيف ادعيت أنى مريض بقلبى ؟
- الحظ الملعون يتربص عند الهرم ..
- سقوط طائرة عزيز المصرى !..

كان اعتقـــالى خاتمة لفترة من فترات الكفاح الذى بدأناه يوم استقر عزمنا عليه فوق تباب الشريف .. الى جوار منقباد..

ولم يكن هذا الكفاح يستطيع ان يتصل طول الوقت ، فقد قلت ان جمــال عبد الناصر كان قد نقل الى الســودان ، وان تشكيلنا الاول كان قد تشتت هنا وهناك ..

وكانت الاحداث قد دفعت بعضنا لكى يعمل ، فعمل بروح التشكيل ، وفكرته .. واتصل فى ذلك بمن استطاع الاتصــال بهم ، وتصرف وحده حين اعوزته المشورة ..

وقد تلا هذا الاعتقال احداث .. وســبقته ايضــا ـ غير ماذكرت ـ احداث ..

وكانت كل هذه الاحداث ، وثيقة الصلة بالتمهيد للثورة التى كنــا نعد لها ، وبالعمل الفعلى الذى كانت الاحداث تدفعنــا الى القيام به ..

ولكى يتم اليوم ما نســتطيع سرده من تفاصيل هذه الثورة وتمهيداتها ، سأروى قصة الدور الفعلى الذى قام به عزيز المصرى، الذى أدى الى اعتقاله ومحاكمته ..

كنا قد عدنا من الصحراء الغربية ، عقب رفضنا أوامر تسليم السلاح الى القوات البريطانية ..

وكنا كما أسلفت ، قد عقدنا العزم على الاتصال ، بعزيز المصرى ، وعلى ماهر ..

ولم يتم اتصالى بعلى ماهر ، ولكنى اتصلت بعزيز المصرى ، على النحو الذى ذكرته ..

وبرغم التحفظ والحذر الشديدين اللذين كنت التزمهما كلما ذهبت اليه الا اننى فوجئت ذات يوم بالقائمقام موسى لطفى ، مدير المخابرات المصرية وقتذاك ، وهو يقول لى : اننى ألتقى بعزيز المصرى هنا وهناك ..

وان المخابرات البريطانية التى تراقبه ، قد وضعتنى أنا أيضا تحت المراقبة ! ..

وسألت القائمقام موسى لطفى عما يريده منى ؟

فسكت ثم قال :

ـ انى فقط احذرك ..

وفهمت أن تحركاتى كانت مكشوفة . وذكرت لهذا الرجل احسانه الى بكشف هذا السر لى ..

اللحظة الحاسمة

وبدأت أزيد من حذرى ، ولكنى لم اوقف اتصالى ، لا بعزيز المصرى ، ولا بالجماعة التى كنت القاها من تشكيلنا ..

وكان شغلنا الشاغل فى تلك الفترة ، هو مراقبة تطورات هجوم المحور فى الصحراء الغربية .. كنا نتتبعه ساعة بساعة ، ونحن نستعد ونتكتل انتظارا للحظة الحاسمة ..

وكان يوم من أيام الصيف فى عام ١٩٤١ .

كنت عائدا الى منزلى . عقب نزهة قصيرة اعفيت فيها نفسى من متاعب التفكير وتوتر الاعصاب . ولم اكد ادخل البيت ، حتى اخبرت بأن عزيز المصرى قد مر بى ، فلما لم يجدنى طلب ان اتوجه اليه فور حضورى .

وكانت هذه الزيارة من عزيز المصرى ، وهذا الطلب ايضا ، يحملان فى طياتهما بالنسبة لى ، شيئا خطيرا ..

فلا بد أن شيئا قد وقع ، واننا على وشك ان نخوض احدى المعارك .. !

وغادرت منزلى فورا .. وأسرعت الى عزيز المصرى .. وجلس عزيز يروى لى تفاصيل مثيرة ، الهبت حواسى ، وجعلتنى اعتقد ان ساعة البدء ، قد تحددت ..

واننا فى الطريق اليها ..

قال لى عزيز المصرى : ان الالمان قد اتصلوا به عن طريق بعض أعوانهم .. انهم يرحبون بخبرته فى شئون الشرق الاوسط والعرب، وانهم على اتم استعداد لاختطافه ، ونقله الى قيادتهم ، حيث تستطيع خبرته أن تلعب دورا عمليا كبيرا ..

اذن فقد بدات نذر المخاطرة .. ولن يكون العمل داخليا فقط ، وانما سيكون هناك تنسيق لخطة من الداخل مع خطة أخرى مع الالمان ..

وكان يجب أن نقرر : هل نقوم بهذه المخاطرة ، أم نرفض القيام بها .. وكان علينا أن ندرس كل ذلك على أساس الاعتبارات والظروف المختلفة المحيطة بنا .. فى القاهرة ..

ففى هذا الوقت كانت الحكومة ومن خلفها مخابرات الانجليز

تشك في نوايا عزيز المصري ، وتتوقع منه أن يهرب الى الخارج .
ومن اجل هذا سحبت منه جواز سفره ، ووضعت عليه رقابة شديدة ..

ولم يقابل عزيز المصرى هذا الاجراء بالرضى ، بل توجه الى المسئولين ، وطلب منهم ان يسمحوا له بالسفر الى الخارج فعلا ، فرفضوا هذا الطلب ..

ومعنى هذا ، ان كل حركة من حركات عزيز المصرى كانت تسجل وتحسب عليه ..

واكثر من هذا ان حكومة مصر ، ومخابرات الانجليز كانتا تتوقعان سفره ..

اما من الناحية الاخرى التى جعلت عزيز المصرى يشعر كأنه سبع قد حبس فى قفص من حديد .. فهى قيام ثورة رشيد عالى الكيلانى فى ذلك الوقت بالعراق .. !

الساسة العرب !

كانت هذه الثورة ، هى المتنفس الحقيقى الوحيد لنا ، هنا فى مصر .. وكنا نتابع انباء هذه الثورة ، فى حماسة بالغة ، ونعلق عليها آمالا واسعة ..

ولكن نظرتنا الى هذه الثورة ، كانت تختلف كل الاختلاف عن نظرة عزيز المصرى ..

كانت نظرتنا مليئة بالارتياح والحماسة والتفاؤل ...

وكانت نظرته مليئة بالضيق والتشاؤم ..

فقد كنا فى شبابنا وحماستنا ، نريد ان نصنع ماصنعه رشيد عالى الكيلانى ..

نتقض على الانجليز ونعلنها عليهم فى ازمتهم ثورة مسلحة ..

وكانت هذه البداية من رشيد عالى هى المفتاح الذى رايناه يفتح لنا الطريق ، ويشعل نار شعوب هذه البلاد على الغزاة فيها..

ولكن عزيز المصرى ، كان يسمع انباء هـذه الثورة فينتابه الضيق والعصبية ، ويملأه التشاؤم ..

وكنا نسأله فى ذلك .. فيقول :

ـــ انتم لا تعرفون رجال السياسة فى العراق مثلما اعرفهم..

وكان يسترسل فى حديثة فيروى لى قصصـــا من خيـانات الساسة العرب أو اكثر الساسة العرب على الاصح ، منذ اتصل بالأحداث فى عهد الدولة العثمـانية ، وكان اذ ذاك يرعى الحركة العربية .

وكان يسمع انبـاء هذه الثورة ، ثورة رشيد عالى ، فيتوقع الخيانة ، وتتجسم له الخناجر التى لابد ان يطعن بها رشيد فى ظهره ..

وكان يتصور هذا المصير ، لتلك الثورة المخلصة ، فيكاد ينفجر غيظا ، وكمدا ..

هروب عزيز مصرى

ولم نكن نحن .. حتى آخر لحظة ، نشاركه هذا الشعور ، أو نقبل منه هذا الكمد ..

هذان الظرفان : المراقبة الشديدة المفروضة عليه من الحكومة والانجليز .. وثورة رشيد عالى التى كان يتوقع لها ان تطفئها الخيانة .. كانا هما العاملين الرئيسيين فى تكييف الموقف عندما

عرض الالمان عرضهم عليه ان يختطفوه ليستفيدوا من خبرته فى وضع خططهم ..

وفكر عزيز المصرى طويلا .. وفكرت معه .. ثم استقر رأينا على وجوب سفره .. وعدم افلات هذه الفرصة ..

وفى اليوم التالى ، عاد عملاء الالمان الى عزيز المصرى ، فأبلغهم قراره بالقبول ..

ووضع الالمان خطة الاختطاف ..

طلبوا منا أن نحدد لهم مكانا خارج القاهرة يصلح لنزول الطائرات .. وقالوا انهم بمجرد معرفة هذا المكان ، سيرسلون طائرة تحمل العلامات الانجليزية لتهبط فيه .. ويكون عزيز المصرى فى انتظار الطائرة ..

وعلى الفور تناولنا الخرائط ، واخذنا نحن الاثنين ، ومعنا زميلى عبد المنعم عبد الرءوف ندرس جميع الاماكن ، وندرس أيضا كل الاحتمالات ..

اخترنا مطار الخطاطبة .. ولم يكن مطارا بالمعنى المفهوم ، وانما كان مجرد أرض صالحة لهبوط طائرة .. !

وقمنا ثلاثتنا لاستكشافه بعربة عزيز المصرى ، ثم حددنا مكانه على الخريطة بالطريقة الطوبوغرافية العسكرية ... وارسلناه الى الالمان .. !

وبدأنا نحن ننتظر الموعد الذى سيحدده الالمان لهبوط طائرتهم « الانجليزية » فى أرض الخطاطبة .

ولكن دهشتنا كانت شديدة عندما جاءنا رد من الالمان ،

يرفضون فيه فكرة « الخطاطبة » ويعينون منطقة « جبل رزة » على طريق الواحات البحرية ، مكانا للقاء ..

البارون التائه .

واخذنا ندرس اسباب هذا التغيير .. فوجدنا ان الالمان كانوا على حق وانهم على دراية تامة بصحرائنا ، ومعرفة حقيقية بوسائل الهروب من مصر .. ولعل هذه الخبرة قد اكتسبت عن طريق الرحلات التى قام بها كشافوهم ورحالوهم قبيل الحرب والتى تاه فى احداها أحد باروناتهم فى صحرائنا .

لهذا قبلنا هذا التغيير ، وحددنا يوم السفر ..

كنا اذ ذاك فى يوم اربعاء ، وكان سفر عزيز المصرى قد تحدد له يوم السبت التالى على الفور ..

ولا ادرى كيف توقعت مخابرات الانجليز ، اننا على وشك اتخاذ خطوة خاصة ..

فقد صدرت الى فى نفس اليوم — يوم الأربعاء — أوامر بالنقل الى الصحراء الغربية فورا ، وانبأنى مدير السلاح ، وهو يصدر الى امره ، وجوب سفرى فى اليوم التالى مباشرة يوم الخميس .. !

ولم تكن لهذا النقل أسـبـاب .. وانما كان أمرا واجب التنفيذ فحسب ..

ووقفت حائرا امام مدير السلاح اللواء احمد الصاوى ، وهو يصدر الى أمره .. وكان على أن اختار ، اما ان اسافر فى الموعد المحدد واما أن أرفض السفر ، ومعنى هذا اعلان عصيانى لأوامر الجيش فى ظروف حرب ..

وهى أخطر تهمة يمكن ان توجه الى ضابط فى الجيش ..

وخرجت من عند مدير السلاح ، وتوجهت الى عزيز المصرى، لأعرض امرى عليه ..

ولكنه رفض أن يشير بشىء على ، وفوض لى الامر كله .. والشىء الوحيد الذى اتفقنا عليه هو وجوب سفر عزيز المصرى فى الموعد الذى تحدد فعلا .. وأن يكون عبد المنعم عبد الرءوف فى صحبته .... حتى تطير به طائرة الالمان ..

وقد تركت الامر لهما ، وتوجهت انا الى المستشفى العسكرى صباح الخميس .. وادعيت انى اشعر بآلام مترتبة على مرض فى القلب اصبت به اثر حادث تصادم كان قد وقع لى ..

ولم يكن صعبا ان احصل على اجازة مرضية من المستشفى العسكرى وأن ابطل بذلك ــ ولو مؤقتا ــ أمر النقل الى الصحراء ..

وقضيت يومين فى المستشفى اترقب يوم السبت واتعجله ..

سوء الحظ

وجاء يوم السبت .. وزارنى فى نهايته عبد المنعم عبد الرءوف وكان حزينا مبتئسا .. ! ان الرحلة لم تتم ، ولم يستطع عزيز المصرى أن يصل الى « جبل رزة » ولم يكن السبب انكشاف أمر هذه الرحلة ، ولا رقابة البوليس ، ولا أى شىء من كل الأسباب التى تطوف بالذهن لأول وهلة ..

ولكنه كان القدر ..

فقد خرج عزيز وعبد المنعم بسيارة جديدة اشتريت خصيصا لهذا الغرض .. وسارت بهما السيارة شوطا ، واذا بها تتوقف

عن السير فجاة على مقربة من الهرم ، وقبل ان يدخلا بها طريق الواحة البحرية ، الذى كانت الطائرة الالمانية ستهبط فيه ..

وكان الاتفاق ان تهبط الطائرة عند الغروب ، وان يصعد اليها عزيز بمفرده ، ثم يتصل بنا عن طريق اللاسلكى فور وصوله الى خطوط الالمان ..

وقال لى عبد المنعم ، انهما لم يتمكنا من اصلاح العطب الذى اصاب السيارة ، فتركاها فى مكانها بعد ان فات الوقت المحدود لهبوط الطائرة .. وعادا .. !

وقال لى ايضا : ان عزيز المصرى فى حالة عصبية شديدة بسبب هذا الحادث ..

ومضى بعد ذلك يومان ، ثم اتصل احد رجال الالمان بعزيز المصرى ، وابلغه أن الطائرة قد اتت فى موعدها ، وانها حومت حول المكان ، ولم تجد الاشارة المتفق عليها ، فعادت ..

ثم مرت ايام كثيرة ، دون ان يجدد الالمان اتصالهم بعزيز المصرى ..

وكان لابد لاجازتى المرضية ان تنتهى ..

وكان لابد ان ارحل الى الصحراء الغربية ..

ورحلت فعلا ، تاركا كل شىء لعزيز المصرى وعبد المنعم عبد الرءوف ..

المحاولة الثانية

واكاد اتصور الآن الايام التى مرت بعزيز المصرى بعد ذلك: على ضوء ما اعرفه عنه ، وما لمسته من أنه اذا صمم على شىء لم تستطع قوة ان توقفه عن المضى فيه ..

فقد كان عزيز قد صمم على الذهاب الى خطوط الالمان ، وكانت هذه الفكرة قد اختمرت فى رأسه ، واصبحت مسيطرة على تفكيره وآماله .. وكان من الصعب بعد ذلك انتزاع هذه الفكرة من رأس الرجل ..

ومرت ايـام قليلة ، واذا به يكلف عبد المنعم بأن يبحث له موضوع سفره ، على متن طائرة مصرية ..

وبدأ عبد المنعم دراســته ، ثم اتصل بقائد الفرقة الجوية حسين ذو الفقار ، واتفق معه على أن يعد خطة السفر ... وان يكون هو الذى يحمل عزيز المصرى الى الألمـان ..

وتحدد موعد السفر ، فى ليلة كان فيها ذو الفقار هو الضابط العظيم بالمطار ..

وحمل ذو الفقار عزيز المصرى فى احدى الطائرات .. وطارت الطائرة بهما ..

ولكن القدر كان بالمرصاد ايضا .. فقد سقطت الطائرة وقبض على الرجلين ووضعا فى السجن ..

وبعد أن قضى عزيز المصرى عاما ونصفا فى الســجن ، نقل الى « ميس » الضباط تخفيفا عنه .. ثم افرج عنه بعد ذلك فى مارس سنة ١٩٤٢ .

فى نفس الفترة التى بدأ فيها الالمانيان آيلر وساندى اتصالهما بى .. وبعزيز المصرى ..

كان القدر دائما ضدنا فى هذه الفترة .. ولكننا كنا نستفيد من القدر ..

وجاءت الفترة التى اعقبت اعتقالى .. وتغير كل شىء ..

الهرب إلى اسطمبول

- صداقة .. وصديق ...
- عشرة جنيهات فقط ...
- لماذا لم تنسف السفارة البريطانية ؟
- فدائيون فى الجيش .. وفدائيون فى الشعب !
- متى نضعف .. ؟
- جمال يعود ...

مرت حياتنا كتشكيل منظم بفترة ركود نسبى طويلة ، فعلى الرغم من عودة جمال عبد الناصر من السودان ، الا انه وجد من الخير للتشكيل وللثورة ، الا يعاود العمل المنظم الفعلى الا بعد أن تستكمل لهذا العمل اسباب النجاح ، وكل وسائله ..

وقد جاءت هذه الاسباب واكتملت الوسائل بعد بضع سنوات .. عندما بدأت اعمال وخطط منظمة وصلت الى غايتها يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..

ومع ذلك ، فقد كانت هناك اتصالات ، وكانت هناك ألوان من النشاط فى نفس الفترة التى تلت اعتقالى ، وسبقت نقطة البدء التى حددها جمال ..

مدة كانت فترة ركود ، ولكنها لم تخل من عمل .. ومن تفكير فى عمل ..

عندما أتذكر اليوم تلك السنوات التى اتصلت فيها بحسن البنا ، قبل اعتقالى ، يأخذنى كثير من العجب للفتات كان يلتفتها فى وقت لم يكن مثلها يخطر لى ببال .

وأنا أتذكر اليوم ، كم الح على حسن البنا أن اذكر له اسما واحدا من اسماء زملائى ، ليتصل به أن حدث أن عاقنى شىء عن الاتصال به .

وكنت انزعج لهذا السؤال ، وكنت أتهرب من الاجابة عليه ، فقد كان متفقا بينى وبين اخوانى أن اظل أنا وحدى ، الضابط الوحيد من التشكيل المعروف لمرشد الاخوان .
ولكنه الح .. الح كثيرا ...

وفى مرة أحرجنى ، فأطلت التفكير .. ثم اخترت ان أذكر له اسم عبد المنعم عبد الرءوف ..

ولا أذكر على التحديد لماذا اخترت عبد المنعم ... وكل ما أستطيع اليوم أن أذكره من افكار ذلك الماضى البعيد الحافل بالمثيرات ، هو انى اخترت هذا الزميل ، وبما لانه كان أول من انضم الى تشكيلنا عقب عودتنا الى القاهرة فى عام ١٩٤٩ .

ولم يعلق حسن البنا بشيء عندما ذكرت له اسم عبد المنعم . وانما لزم الصمت والحرص اللذين لونا حياته حتى فارق هذه الدنيا ، بحادث اغتياله المشهور ...

ولكنى عندما قابلته أول مرة بعد ذلك ، ذكر لى اسم عبد المنعم واثنى عليه طويلا .. ثم اخذ يسرد لى تفاصيل كثيرة عن تاريخ عائلة عبد المنعم وحياته وبيته ...

وفهمت أن صلة ما قد وجدت بين أسرة عبد المنعم ، وبين مرشد الاخوان ، وأنها صلة قديمة ، وأنها صلة معرفة وصداقة وبيئة ، فقد كان جد عبد المنعم شيخا للازهر ، كما أن عائلته كلها كانت معروفة بالدين والتقوى ..

وأمسك حسن البنا عن ذكر عبد المنعم بعد ذلك ، حتى ظننته نسيه ! .

ثم كان القبض على عزيز المصرى وكان الافراج عنه ، ولم يشر حسن البنا اليه أبدا ..

صداقة .. وصديق

وعندما أفرج عن عبد المنعم وكنت أنا اذ ذاك طليقا لم يقبض على ، فقد أفرج عنه مع الفريق عزيز المصرى فى مارس عام ١٩٤٢ ، ولم يقبض على انا الا فى أغسطس من ذلك العام .. عندما أفرج عنه ، لم اشأ انا أن اتصل به فى شىء ، كنت أخشى عليه أن تثور حوله شكوك جديدة .. وكنت أريد له فترة من الراحة بعد المحاكمة والسجن والاعتقال ..

ولكن يبدو ان عبد المنعم أساء فهمى حينذاك ، فقد غضب فى نفسه وتضايق . وعرفت فيما بعد ..

وجاء اليوم الذى قبض فيه على وقبض فيه على عزيز المصرى مرة أخرى .. ولم أكن اذ ذاك على صلة بعبد المنعم ، ولا على شبه صلة به

وكان آخر شىء أفكر فيه هو أن ينشط عبد المنعم بمجرد اعتقالى ليقوم بما قمت به ، لفكرتنا ، ليقوم بواجبات أخرى يكلف بها نفسه .. لشخصى ..

انها الصداقة التى آمنت بها دائما .. هى التى دفعته ان ينهض فورا بعبء كنت أنهض به .. ثم أن يفاجئنى مفاجاة أخرى ..

عشرة جنيهات

كنت قد نقلت الى معتقل المنيا .. وكنت أذود عن نفسى هم التفكير فى العالم الخارجى ، بالقراءة الكثيرة أقطع بها وقتى ..

وكان هم التفكير فى خارج المعتقل هما ثقيلا ، مثيرا للنفس باعثا للكآبة ... والجنون

فمثلى فقير لا يملك غير عمله .. وذو زوج وأولاد .. يعيش فى المعتقل لا يعرف لأهله معينا ، غير الذى خلقه وخلقهم ..

وفى طريقى اليومى الى مكتبة المعتقل التقيت بالمرحوم الشهيد يوزباشى محمد وجيه خليل ، الذى استشهد فى حرب فلسطين ، وكان من دفعتى ومن دفعة عبد المنعم عبد الرؤوف

وينتحى بى الصديق ناحية ليسر فى أذنى ان التشكيل قد رتب لعائلتى عشرة جنيهات فى كل شهر ، وانه جاء لكى يطمئننى بعد ان عزت على الجميع زيارتى ..

متى نضـعف ؟

وكانت هذه العاطفة الصادقة من زملائى هى اسمى مايمكن ان يشعر به مثلى فى ظلمة الاعتقال

فقد يعرف الذين زاولوا الكفاح من أجل فكرة انهم لايضعفون امام الموت ولا يضعفون أمام السجن ولا يضعفون أمام التعذيب ، وقد يخيل اليهم فى لحظات الحماس والانفعال أنهم لن يضـعفوا امام شىء فى الوجود .. ولكنهم فى هذا واهمون . فهناك الشىء الذى يضعفون امامه ، والذى لا يملكون حياله شيئا الا الفرار .. من الواقع ، والفرار من التفكير فيه .. الفرار من هذه المطارق التى تطرق الرأس والقلب والضمير ... وتحيل الجبار وهمـا ضعيفا يكاد يستبسلم ويكاد يستغيث لولا كبرياء الكفاح ، ويقظة الفكرة المتأصلة فى نفسه ومثالية الهدف ...

ولعلك عرفت الآن ، ما هو هذا الشىء الذى يضعف امامه المجاهدون ... انه الولد ، الطفل .. العيال !

هؤلاء الصـغار الودعاء ، الذين ندفعهم دفعـا الى مرارة

الكفاح ، ونأخذهم اخذا على الصبر والحرمان والتقشف ، ولما يبرحوا بعد مهاد الطفولة ، ولما يعرفوا بعد مراح الصبا

هؤلاء هم نقطة الضعف فينا .. وهى نقطة ضعف اعترف بها ، ولا تخجلنى ... لاننى انسان !

وقد كنت احتمل ان يحرم اطفالى من رعاية ابيهم .. ولكنى ما كنت أصبر على حرمانهم من ضرورات الحياة

وكانت هذه الجنيهات العشرة ، هى العون الوحيد الذى اقبله لأطفالى لأنها لم تصدر عن عطف ولا اشفاق . وانما صدرت عن فكرة مشتركة ، وتكافل بين مكافحين ...

وبدأت أنسى الحياة الوثيقة بى خارج المعتقل ... وبدأت افكر فى خطوط المستقبل ، وخطوات الجهاد

وكان مجرد تفكير نظرى ، تنقصه حكمة الواقع ، ودراسة الطبيعة

وكان اهم ما يشغلنى هو أن أخرج من هذا المعتقل ، ولكنى لم اكن قد حددت بعد ، لماذا أخرج ، او ماذا أستطيع أن أصنع وانا مطارد شريد !

الى تركيا

ويبدو انى لم اكن وحدى الذى فكر فى هذا الامر ... فقد فكر فيه عبد المنعم عبد الرؤوف فى نفس الوقت الذى كنت انا افكر فيه ...

وفى جلسات متعاقبة مع بعض اعضاء التشكيل من سلاح الطيران ، وكانوا من اكثر أعضاء تشكيلنا حماسة واندفاعا .. أخذ عبد المنعم يضع خطة لتهريبنا .. عزيز المصرى وانا ..

وكانت خطته تعتمد على عدد من المجازفات ، ولم تكن خطة عملية على اى حال ...

كانت خطته تقوم على الهجوم على المعتقل الذى يقيم فيه عزيز المصرى واختطافه اختطافا مسلحا من حرسه ليهرب عزيز من معتقله فيجد عربة فى انتظاره تحمله الى المنيا

وكان الشق الثانى من الخطة مماثلا للشق الاول فهو قائم على الهجوم على معتقل المنيا واختطافى من هناك بالقوة لأهـرب فأجد عبد المنعم فى انتظارى

اما الشـق الثالث .. فكان قائما على أن تقـوم طائرة من القاهرة لتهبط فى المنيا فى نفس الوقت الذى يصل فيه عزيز المصرى اليها ، وأخرج انا من المعتقل

وكان الاتفاق ان تحملنا الطائرة فورا الى سوريا .. أو الى اسطنبول

وكانت كفة الاراضى التركية هى الراجحة فى هذه الخطة . للموقف الذى كانت تركيا تتخذه من الحرب

ولكنها ـ كما قلت ـ لم تكن خطة عملية .. فلو قدر لهذين الهجومين المسلحين ان ينجحا ، لما كان من السهل ضبط التوقيت، فى العمليتين معا ، بحيث لا تزيد مدة بقائى خارج المعتقل عن دقائق معدودة تحلق بنا الطائرة بعدها الى خارج الحدود ...

لم يكن هذا سهلا .. ولعل أسهل ما كان فى هذه الخطة هو الدور الخاص بسلاح الطيران .. فقد كان زملاؤنا الطيارون ، أكثرنا اندفاعا وحماسا فى كل شىء .. وكنا نرجع ذلك دائما الى طبيعة عملهم كطيارين كل حياتهم مغامرة مستمرة ، والى قوة أعصابهم التى تعتبر شرطا اساسيا فيمن يقبل فى هذا السلاح

كان الجزء الخاص بالطائرة .. هو الجزء العملى الوحيد فى هذه الخطة ، أما القسمان الآخران منها فكان يحتويان على كثير من الثغرات الكافية لخلق متاعب جديدة لنا ، كنا فى غنى عنها ...

وكانت هذه الخطة هى خطة عبد المنعم وحده ... فقد كان التشكيل ــ كما قلت ــ فى فترة من فترات الركود

تطورات .. بالجملة !

ولكن هذه الفترة كانت تحوى تطورات كثيرة فى الحياة المصرية ، وفى موقف العناصر المختلفة التى كانت ذات تأثير فى سياسة البلاد .

فقد أصبح للملك ــ مثلا ــ موقف جديد وتطورت نظرته الى عرشه ، والى شعبه والى مستقبله والى الانجليز تطورا كبيرا ...

هذا الملك الذى كان يمثل عنصرا من العناصر الوطنية حتى ٤ فبراير ١٩٤٢ والذى اعتبرناه فعلا رمزا لمصر .. واعتبرنا الاعتداء على قصره اعتداء على مصر .. وأردنا أن نثأر له بابادة الانجليز . قد تطور أو تغير .. ووضح لنا هذا التطور والتغير بصورة جعلتنا نضعه فى الصف الاول من صفوف الاعداء ...

واحمد ماهر .. الذى ملأ قلوبنا يوم ان وقف وقفته امام الانذار البريطانى فى عام ١٩٤٢ والذى علقنا عليه أملا كبيرا يوم عاد الى الحكم فى عام ١٩٤٤ ، لم يكد يستقر فى مقعد رئيس الوزراء حتى أصدر أمره ببقائنا فى الاعتقال وكان هذا الامر بناء على «أمر» من الانجليز ، ولا أقول بناء على طلب أو رغبة أو تفاهم !

وحسن البنا ، الذى كان قد أصبح قوة رهيبة يخشاها الملك ، ويعلن عن مخاوفه منها ، بدأ يضع لنفسه سياسة جديدة يضمن

بها القفز بحركة الاخوان المسلمين فى جو آمن من مقاومة القصر أو غدره .. وكان رحمه الله يحاول دائما اقناعنا بخطته ، ويحاول ايضا الامساك بطرفى حبلين فى قبضته

جمال يعود ..

وفى هذا الوقت هربت أنا من المعتقل .. هربت فى نوفمبر ١٩٤٤ أى بعد تأليف وزارة احمد ماهر بشهر ..

وكانت ظروف كثيرة متعاقبة ..

ففى الوقت الذى انصرف فيه عبد المنعم عبد الرءوف الى الاخوان المسلمين انصرافا كليا . وفى الوقت الذى هربت أنا فيه من المعتقل ، وبدات أكافح لاعيش هاربا شريدا أقتات من عدد من الأعمال الغريبة هنا وهناك ، متنكرا مستترا حتى ألغيت الأحكام العرفية عام ١٩٤٥ فبدات اظهر بوجهى

فى هذا الوقت .. كان جمال عبد الناصر قد بدأ يتولى بنفسه امر التشكيل داخل الجيش ، لينظمه تنظيما جديدا وليضع له خطة بعيدة المدى طويلة الأمد قائمة على فلسفة مدروسة واقعية

وبدأت حركتنا تتخذ صورتين ..

صورة داخل الجيش يرسمها ويكون عناصرها جمال عبد الناصر ..

وصورة خارج الجيش توليت انا أمرها ..

وكان الغالب على الصورتين ، روح فدائية ، وكانت بين الصورتين صلات ...

كنا قد بدأنا نعتمد على أنفسنا كل الاعتماد اثر احداث واحداث ..

وكنا قد رسمنا خطتنا القريبة على أن ننشيء تشكيلا شعبيا وتشكيلا عسكريا ، يعملان جنبا الى جنب ، كل بوسائله وكل بخططه ، ولا يرتبط احدهما بالآخر أى ارتباط ظاهر حتى تأتى اللحظة المناسبة لذلك

ومر بنا تاريخ طويل .. ووقعت أمام أعيننا هزات عنيفة

نسف السفارة..

وكنت أتعجل الخطى .. وكان جمال يتريث ..

حتى أتى اليوم الذى شكلت فيه وزارة المرحوم النقراشى عقب مصرع المرحوم احمد ماهر .. وذهب النقراشى الى السفارة البريطانية فقابله كيلرن .. على سلم السفارة ..

وكانت هذه القصة حديث مصر ..

فقد كانت قصة بغيضة فاضحة .. ولم يكن فى البلاد مصرى واحد يحتمل سماعها ، دون أن تفور الدماء فى عروقه ويهم بأى عمل يمكن أن يسمى من أعمال الجنون .. فقد كان خلاصة هذه القصة أن النقراشى لم يكد يشير الى مطالب مصر ، حتى هز ذلك اللورد كتفيه فى استهتار وسخرية ، وقال للنقراشى ، دعك من هذا الكلام .. فان حديث الجلاء والوحدة ليس الا حديث خرافة

وكانت لطمة قاسية أردنا ان نردها

وذهبت الى جمال .. وفى يدى خطة من التشكيل الشعبى ، لنسف السفارة البريطانية على كل من فيها

واستمع لى جمال طويلا • وناقش خطتى مناقشـــة كاملة واقر كل اطرافها وعناصرها ..

ولكنه فى آخر الامر .. هز رأسه وقال : لا ..

كان يستعرض فى ذهنه الاجراءات التى يستطيع الانجليز اتخاذها عقب نسـف سفارتهم ، وكان يسـتحضر فى ذهنه مصرع « لى ستاك » سردار السودان ..

وقال : لا .. نحن لا نريد أن نعيد مأسـاة السودان التى وقعت منذ عشرين عاما ..

وكان على حق .. فعشرون عاما فى عمـــر أمة مكافحة ، ينبغى لها أن تغير من أساليب كفاحها بما تتضمنه من تجارب ومن دروس ..

ولم تتم هـــذه الخطة .. ولكن بدا صراع من نوع آخر جديد

هذا اجمال لفتــرة طويلة .. ولـكن هل يكتفى القارىء منى باجمال ؟ ! ..

ان للقارىء أن يسأل عن موقف الملك وكيف تطور ..

وله أن يسأل عن موقف الأحزاب وكيف تطورت ..

وله أن يسأل عن موقف حسن البنـا وكيف تطور وكيف تعاونا معه وكيف تعاون معنا ..

وله أن يسأل عن جمال عبد النـــاصر كيف بدا خطوطه الجديدة

وله أن يسأل عن سر التشكيلين الفدائيين .. تشـــكيل الجيش وتشكيل الشعب .

وله أن يسأل عن دور الاحرار فى معركة القنال ....

وله أن يسأل عن ثورة الأحرار فى نادى الضباط ...

وله أن يسأل عن خطة الأحرار التى اتبعوها بين صفوف الشعب ..

وله أن يسأل عن الترتيبات والظروف التى أخرت موعـد قيام الحركة . ! ؟

له أن يسأل عن كل هذا ؟

إقالة وزارة النحاس

- أحمد ماهر ينفذ رغبات الانجليز ..
- فاروق يقول ليوسف رشاد .. « حسن البنا ضحك علينا »
- ضممنا « الملك » الى صفوف الأعداء .. !
- اخلاص حسن البنا .. !
- العملاق الذى لايقهر ..!
- الملك يخشى وكيل الوزارة!

في الساعة الخامسة تماما من مساء ٨ أكتوبر ١٩٤٤ ، انقطع صوت الاذاعة المصرية فجأة ، وكانت تذيع احدى الأغانى .. ثم عادت تصدر صوتا كان مألوفا لدى المصريين طوال فترة الحرب هو صوت الاستاذ محمد سعيد لطفى ، الذى كان مستشارا للاذاعة فى ذلك الوقت ...

كان يحمل أمر الاقالة التى وجهها فاروق الى النحاس لينهى بها عهدا بدأ بدبابات الانجليز ...

وكان واضحا فى صوت مستشار الاذاعة ، وفى القائه لهذه الاقالة . أنه طروب بها مستبشر .. شمتان !

وكان سهلا على المدركين لحقائق الامور ان يعرفوا الاسباب التى تدعو مستشار الاذاعة الى الفرح الشديد بهذه الاقالة ، فقد كانت هذه الاقالة بشرى - من السماء ! - هبطت على ذلك الرجل ، لتنقذه من عذاب طويل ، وضيق وحرج لا مثيل لهما، عاش فيهما أكثر من عامين ونصف عام ..

كانت الحكومة طيلة تلك الفترة تتحدى القصر ، وكان القصر طيلة هذه الفترة يتحين الفرص لاقالتها ...

ولو كان الخلاف قائما على اساس دستورى ، لكان خلافا فى سبيل مصر .

رأس الملك !

ولكن النحاس كان يتحدى الملك ، باسم الانجليز ، لاباسم الشعب ، ولا باسم الدستور .

والملك كان يحنى رأسه ، لانه كان يعلم انه لا يستطيع شيئا غير الانحناء ، حتى تحين الفرصة ، ليبطش بهـذه الحكومة التى جاءت رغم أنفه ، لتذل كبرياءه ، وتهدر كرامته !

وكان الملك قد جرب حظه مرة خلال حكم الوفد .. فأرسل حسنين يفاوض كيلرن ليسمح الانجليز بتغيير وزارة النحاس ، فكان الرد الذى تلقـاه على ذلك ، هو برقية من تشرشـل يقول فيها :

ـ لا تغيير ..

وسكت الملك ، وسكت حسنين ، وعلم الوفد بالامر ، فازدادت حكومته صلفا ، وبطشا ...

والمهم ان هذا الخلاف والتحدى بين الحكومة وبين «الملك» كان مصدر متاعب وحرج شديد لرجل الاذاعة المسئول ...

كان الملك مثلا يأمر باذاعة القرآن الكريم من القصر ، فترسل الاذاعة رجالها وآلاتها لاعداد ما يلزم للملك .. وتسمع الحكومة بالامر فترسل رجالها لسحب آلات الاذاعة .

ويبدأ الحرج ، وتبدأ المتاعب ، للاذاعة ورجال الاذاعة ..

وكان الوفد يقرر القيام برحلات فى الاقاليم ، فيأمر الاذاعة باذاعتها ، ويسـمع الملك الهتاف والدعـايات ، فيغضب ، ويبلغ غضبه بطريقته المعروفة ، لرجل الاذاعة المسكين ..

وهكـذا ، كان على الاذاعة أن ترضى الانجليز ، وان ترضى الحكومة ، وان ترضى الملك ، وكان هذا أمرا لا سبيل اليه !

فاذا أقال الملك حكومة النحاس ، فقد كان من الطبيعى أن يفرح رجل الاذاعة ويستبشر ..

وسمعنا هذه الاقالة من الاسـتاذ محمد سـعيد لطفى ، وسمعنا بعدها مباشرة الامر الملكى الصادر بتكليف احمد ماهر بتشكيل الوزارة .. وكنا فى المعتقل ، قد استطعنا أن نحصل على جهاز راديو يسمح لنا باستعماله كلما رضيت عنا ادارة المعتقل..

ولا اخفى على القارىء انى انا أيضا طربت لهذه الاقالة .. فقد كانت ـ عندى ـ الرد الاول على انذار ٤ فبراير المشئوم .

وفى غمـرة هذا الطرب ، غفلت عن تحليلها ، والتعمـق فى مدلولها ..

فان الامر لم يكن بعد قد ترك للملك يتصرف فيه كيف يشاء، لابد من مصـدر لهذه القوة التى تقمصتــه ، حتى أقال وزارة النحاس ... ولابد من اتفاق سابق ، وان التغيير آت من الانجليز، لا من الارادة الحرة للملك !

تجاربنا

غفلت عن هذا التحليل ، فى غمار النشوة التى بعثتها فينا هذه الاقالة ..

وغفلت عنه فى غمار النشوة التى تلتها . اذ اصدر الرئيس الجديد أمره بالافراج عن جميع المعتقلين .. وبدأت أعـد نفسى للحرية ...

وكل من عرف الاعتقال يعرف كيف يكون الامل فى الحرية،

وكيف تتزاحم مشروعاتها على الراس ، وتتواثب صورها أمام الخيال ...

ولكنى أفقت بعد ذلك بقليل .. أفقت من الآمال ، وأفقت من الخيالات ، وافقت من هذا الطرب الذى غمرنى عندما سمعت اقالة النحاس .

فقد رأى احمد ماهر ان يفرج عن جميع المعتقلين ... ولكنه رأى أن فينا خطرا داهما يهدد النظام العام !

وبدأنا التحليل ، وتعمقنا فى سر الاقالة ، وتكفلت الايام بعد ذلك بافشاء الاسرار !

وبدات أضيق ذرعا بالمعتقل واصبح وجودى فيه بعد ذلك ضربا من المستحيل ... فوضعت خطة هربى وهربت فعلا ، هربت فى الشهر التالى لاقالة النحاس ، أى فى شهر نوفمبر ١٩٤٤ ...

وبدات أتصل سرا باخوانى فى تشكيل الجيش ، واتصل سرا بالمرحوم حسن البنا ، وأعمل سرا فى سبيل الحصول على ضرورات الحياة ...

انها فترة طويلة على قصرها ، لانها كانت مغامرة كاملة .. ولعل القراء قد قرأوا طرفا منها بقلم غير هذا القلم .. ولعلى أعود الى ذكرها يوما من الايام بالتفصيل

ولكنى لا أفعل اليوم ، وقد حددت لهذه الصفحات المجهولة، خطا تسير عليه ، يستهدف الكشف عن الاسرار التى يمكن كشفها من تاريخ التمهيد لهذه الثورة ، وتاريخ تجاربنا خلال ذلك التمهيد

خرجت من المعتقل لأكتشف عددا من الحقائق الجديدة ولأعرف عددا من الاسرار ...

خرجت لأسمع حديث الملك ، عندما ذهب يزور تشرشل فى السفارة البريطانية ...

وكان حديثا عجيبا ... فالرجل الذى ضربه الانجليز - أو ضربوا مصر كلها فى شخصه ، لم يكن يخلق به ، ولا بكرامة عرشه ، ولا بكرامة البلد التى « يملكها » ان يذهب بنفسه لزيارة رئيس وزراء الانجليز ، الذى أصدر أمره بتحرك الدبابات إلى قصره وطعنه هذه الطعنة الدامية ..

ولكن ... متى كانت لفاروق كرامة ، ومتى كان يعرف كرامة لعرشه وبلده ...

القوة التى فى الميدان

لقد ظننا هذا يوما ... وكنا فى ظنوننا مخطئين ... فالضربة التى اصابت كبرياء مصر من أجل الملك ، لم تصب أبدا كبرياء الملك من أجل مصر ... لأنه لم تكن له كبرياء .

وخرجت لأرى قصر رأس التين ، القصر الرسمى الثانى فى البلاد ، وقد أمر الملك بتحويله الى مستشفى عسكرى ، لا لجنود مصر وضباطها ، الذين حاولوا الموت فى سبيل عرشه يوم هوجم عرشه ، ولكن لجنود الانجليز وضباطهم الذين تحركوا بالدبابات يحطمون بها باب قصره الاول ، فى قلب العاصمة ! ...

وخرجت لأرى فاروقا قد ترك كل ما كنا نرجوه فيه من معانى الشباب والوطنية ، وارتمى بين أحضان جنود أمريكا ، وضباط أمريكا ... يلعب معهم ، ويسهر معهم ، ويقوم برحلاته

معهم ويلهو فى لياليه معهم ... وكأنه راى فيهم الجدار القوى الذى يستطيع الاستناد اليه ، ان تخلى عنه الانجليز ! ...

وخرجت لاعرف السر فى كل هذا ... فقد سيطرت على الملك روح من الرعب الشديد من ذلك اليوم الذى اقتحم فيه قصره بالدبابات والمدافع .. ورأى فيه عينى كيلرن تقدحان بالشرر ! ...

أصبح الملك يخاف ... يخاف على حياته ، ويخاف ضياع العرش منه ، حتى لقد كان يتتبع أنباء التحركات الداخلية لجنود الانجليز ، فلا يكاد يسمع عن اى تحرك من تحركاتهم ، حتى يؤوله بأنهم يقصدونه به ، وانهم يعتزمون ازاحته عن العرش مثلما أزاحوا من قبل بعض اسلافه ..!

وكان تصرفه الدائم فى كل مرة من هذه المرات ، هو أن يترك قصره ، ويهرب الى إنشاص ... وكأن انشاص كانت بعيدة عن دبابات الانجليز ! !

واذن فقد أصبح الملك ألعوبة فى أيدى الانجليز ، ولم يعد فى استطاعتنا أن نعول عليه فى شئ من خططنا ... بل لعل الأسلم أن نعتبره ... من الأعداء ...

وهكذا ، ذهبت مع الأعداء ، صفوف الوفد وصفوف السعديين ، وقوة الملك

ولم يبق فى الميدان الا قوة الاخوان

هل نستعين بهم .. وهل نعول عليهم ؟

عاودت اتصالى بالمرحوم حسن البنا ، وأنا هارب من المعتقل وتبسط معى حسن البنا بصورة لم تسبق له من قبل ..

فالبرغم من كل الصلات التى قامت بينى وبينه كنت اشعر دائما انه يقول شيئا ويخفى فى نفسه أشياء ..

ولكنه فى تلك المرة ، تبسط كثيرا وشرح كثيرا ، وأفاض كثيرا ... ثم ... ثم كلفنى بأمر !

شرح لى حسن البنا متاعبه التى تأتيه من ناحيتين :

ناحية الملك .. وناحية الأجانب ...

وقال لى : ان الملك قد بدأ يشعر شعورا قويا بخطورة دعوة الاخوان ، لما كان يسمعه من أن دعوتهم تقوم على ان يكون الملك بالمبايعة لا بالوراثة

وقال لى : ان الملك يدبر أمره ليبطش بهذه الحركة : وانه يخشى أن يضرب الملك ضربته ، والحركة لم تبلغ بعد أوج قوتها .

العملاق الذى لا يقهر

وكانت هذه أول مرة يفصح فيها حسن البنا عن شعوره بعدم وصول دعوته الى ذروة القوة والمناعة ... فقد كان دائما يعطى سامعه صورة للجماعة ، اشبه بصورة العملاق الذى لا يقهر ولا يخشى عليه ...

واستطرد بعد ذلك الى ذكر طرف آخر من متاعبه ، وكان هذا الطرف ، هو موقف الأجانب من الدعوة ...

فقد بدأ يشعر بأن الأجانب ايضا يرهبون دعوته ، ويعتقدون انها اذ تقوم على وجوب الأخذ بشريعة الاسلام ستتعرض حتما لأعمالهم وأموالهم ، وحرياتهم الممنوحة لهم بمقتضى القانون السائد ، والدستور ..

وقال لى : ان هذه النظرة الموحدة الى دعوته ، من جانب الملك ، ومن جانب الأجانب ، تجعل الدعوة فى خطر جسيم ، فما أيسر أن تتحول هذه النظرة الموحدة الى تحالف عملى للقضاء على الدعوة ، وعلى الجماعة التى تدعو اليها ... يومئذ لا يعرف من أين تصوب اليه الضربات !

واستمعت اليه ، منصتا ، ومناقشا ... ثم رأيته يطرق فجأة يستجمع كلمات معينة ، يريد أن يبدأ بها حديثا جديدا وبدأ حديثه الجديد ...

قال لى : انه يريد أن يضع حدا لهذه المتاعب ، وانه يعتقد أن الاجانب يمكن أن يطمئنوا الى الدعوة ، لو اطمأن اليها الملك ونظر فى عينى طويلا وهو يقول :

انا أستطيع أن أكسب طمأنينة الملك ، لو تقابلت معه ..

وكان وجهه ينبىء فعلا عن الثقة الكبيرة التى تملأ نفسه بقدرته على كسب طمأنينة الملك .

وظهرت هذه الثقة أكثر واكثر ، وهو يصف لى كيف يستطيع أن يزيل من نفسه جميع الاوهام والشكوك لو تيسرت له مقابلته ... مرة واحدة !

ثم أوضح لى انه لا يريد أن يبدأ مع الملك سياسة وفاق ، او تعاون ... ولكنه يريد أن يشيع جوا من الطمأنينة ، فى نفس الملك ، يجنب به سفينة الاخوان أية عقبات تعترض الطريق .

وقصد الى هدفه بعد ذلك مباشرة ، فقال لى : أنت تعرف يوسف رشاد .

قلت له : نعم ... أعرفه ؛ وبينى وبينه صداقة كبيرة ومودة فقال : ويوسف اليوم ذو حظوة . فلو استطعت أن تشرح له

هدفى ... وأن تفهمه أنى لست خطرا على الملك ، ولا أريد أن أكون خطرا ، لأمكنه اقناع الملك بمقابلتى ...

وأجبته انا : أحاول ... !

ومضيت فى تلك الليلة ، ابحث الامر بينى وبين نفسى ... هل أقوم بهذه الوساطة ، وكيف أقوم بهـا ... وما مدى ما يمكن أن يتـرتب عليها ؟ . وكنت اذ ذاك لا أزال هاربا أعيش متنـكرا وأتحاشى الظهور فى أى مكان .

ولكنى مع ذلك .. ذهبت الى يوسف رشاد .. وابلغته رسـالة حسن البنا ، فنـاقشنى فيها ، ثم وافق على أن يلعب هذا الدور .

الملك يخشى وكيل الوزارة

وعندما رأيت يوسف رشاد بعد ذلك قال لى : لقد فاتحت الملك فى هذا الامر ، فى محادثة تليفونية بينى وبينه واذا به يقطع حديثى قطعا ويوجهه وجهة أخرى وقابلته بعد ذلك فقال لى .

ـ كيف تكلمنى تليفونيا فى أمر كهذا ، ألا تعلم أن حسـن رفعت يراقب التليفونات ؟!

ودهشت انا عند سماع هذه الكلمة .. فقـد فهمت منهـا انه يخشى المراقبة ، حتى من حسن رفعت وكيل وزارة الداخلية المصرية !

وعاودت الالحاح على يوسـف رشاد بعد ذلك . وفى هـذه المرة ، استطاع يوسف أن يحصل على اذن من الملك ، بأن يقابل هو أولا حسن البنا ، ويستمع اليه ... وينقل حديثه الى الملك ليرى ان كان يقابله ...

وكدنا نحدد موعد المقابلة بين حسن البنا ويوسف رشاد ... وفى احد الايام كنت فى منزل يوسف رشاد فدق جرس التليفون وكان الملك هو المتكلم ... واستمع يوسف لحظات قصيرة .. ثم قال : حاضر ... وانتهت المكالمة ... ونظر الى يوسف وقال لى : ان الملك يقول :

ــ الغ كل ما قلته لك بشأن حسن البنا ..

ويئست انا من المحاولة ، وخصوصا انى كنت أقوم بها فى حالة تنكرى واختفائى ... وابلغت حسن البنا بيأسى ...

ومرت أيام .. وسقطت الاحكام العرفية ، وبدأت أظهر من جديد ..

اتحاد الكلمة

وكنت في بيتى بعزبة النخل فى احدى الليالى ، عندما أقبل حسن البنا ، ومعه المرحوم محمود لبيب ، فتناولا معى طعام العشاء ...

وأخذ حسن البنا يتحدث عما يمكن أن تجنيه البلاد اذا ما اتحدت الكلمة ، وهدأت شكوك الملك فى الاخوان ... ولكنه كان فى هذه المرة شديد التحفظ يكتفى بالتلميح عن التصريح ، لوجود المرحوم محمود لبيب ...

وفهمت انا انه يريد منى أن أعاود الكرة ، والح فى تدبير مقابلة له مع الملك ... فلمحت له بدورى ، بأنى سأفعل ..

وفى اليوم التالى ، قصدت الى الاسكندرية ، فقد كان الملك هناك فى تلك الايام ، وكان يوسف رشاد الى جانبه ، وتحدثت مع يوسف رشاد فى الأمر ، وأقنعته بمعاودة المحاولة ...

وبذل يوسف رشاد جهدا كبيرا مع الملك ..

وضحى فى سـبيل ذلك تضـحية .. كانت كبيرة فى ذلك الوقت ! ...

فقد غضـب منه الملك ، واقصاه عن صحبته عشرة ايام طوال .. وعندما عاد يقربه ، قال له : اياك أن تفاتحنى مرة أخرى فى هذا الموضوع !

اخلاص حسن البنا

وللتاريخ بعد ذلك اذكر ، أن الملك فى يوم من الايام ، قـد دعا اليه يوسف رشـاد ، وطلب منه أن يتصل بحسـن البنا ، وان يستمع الى ما كان حسن البنا يريد أن يقوله له ..

والتقى يوسف رشـاد بحسن البنا وتحـدث معه ثلاث ساعات .

وقال لى يوسف رشاد : انه خرج من هذه المقابلة ، مقتنعا تماما بخلوص نية حسن البنا نحو الملك .. وانه ذهب الى الملك فنقل اليه كل شىء ... واذا به يفاجأ بالملك يقول له : حسن البنا ضحك عليك !!

وحاول يوسف رشاد أن يدافع عن نفسه ، وأن يقنع الملك بأنه ليس بالساذج الذى يضـحك عليه الناس ... ولكن الملك نقل اليه كل شىء ... واذا به يفاجأ بالملك يقول له : ضـحك عليك ...

هذا ما قاله لى يوسف رشاد ...

وقال لى أيضـا بعد ذلك بأعوام ان الملك فى أواخر عهد ابراهيم عبد الهادى قال له :

ـ احنا غلطنا فى ضربة الاخوان . وحقنا نرجع لسياستنا القديمة ...

الله أعلم !

وسألت يوسف رشاد ، وما هى السياسة القديمة ؟... فقال :

ـ صدقنى ... أنا لا أدرى ... ولكن يبدو أن صلة أخرى قد حدثت بين حسن البنا وبين الملك عن طريق غير طريقى .. وان الملك قد اتخذ لفترة قصيرة خلال عام ١٩٤٦ موقفا معينا من الاخوان ... ثم عدل عنه بعد حرب فلسطين ...

قال لى ذلك ... ثم قال : والله أعلم ...

هذه هى العناصر التى كانت فى الاجواء خلال الفترة بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٦ وفى هذه الفترة ، كان جمال عبد الناصر قد بدأ خططه الجديدة ..

خُطوطُ الثورة

- يوم السلام وسلطان الظلام ..
- الجيش والشعب مظلومان !
- الملك والأحزاب فى خدمة الاستعمار
- من الذى تقدم لحماية الملك .. ؟
- الفساد والرجعية والحزبية البغيضة ! ..
- لابد من قوة تقضى على الاقطاع ..

يستطيع قارىء هذه الصفحات ان يبدأ من هنا فصلا جديدا كاملا من تاريخ هذه الثورة .

وهو فصل يختلف فى كثير عما تضمنته الصفحات السابقة .. فحيث قام التمهيد الاول ، للثورة ، على أساس أكثره عاطفى ، وحيث استطاعت الظروف والاحداث والتقلبات السياسية ان تكون عاملا اساسيا فى دفع خطواتنا الاولى وتوجيهها .. واملاء اعمال واتصالات معينة علينا .. فان الشطر الثانى من هذا التمهيد الطويل للثورة ، أو الفصل الثانى الذى نبدأ تاريخه اليوم يتميز أول ما يتميز بسيطرة العقل على كل خطواته ، التى بدأت تقوم على أساس معين مدروس ، ولهدف محدد مدروس .. وفى تتابع منطقى ، لا صلة للاحداث الوقتية به ، اللهم الا صلة العوامل المساعدة على زيادة الوعى بين عناصر الشعب والجيش ، وبعث اليقظة الحقيقية ، واشعار الافراد بأن القضية قضية كل منهم .. وأشعارهم بضرورة الثورة ..

وان كانت الصفحات السابقة ، قد حوت أعمالا ، واتصالات أساسها انفعالات فردية أو شبه فردية بالاحداث ... فلن تضم الصفحات التالية سوى أعمال ، تنظيمية ، تنتفى منها الروح الفردية ، ويسيطر عليها عقل التشكيل المنظم ، ونتائج المناقشات والابحاث بين العناصر التى اجتمعت وتآلفت ، وحددت أهدافها .

لقد آن وقت العمل الجماعى المنظم ٠٠ وبدأ جمال عبد الناصر يخرج من صمت المراقب ، الى حركة القـائد الذى يعد العدة لاكبر معركة تنتظرها مصر منذ غلبت على امرها تحت اقدام الطغاة ٠٠

يوم السلام

لو قدر لهذا الفصل ان يوضع تاريخ لبدئه ٠٠ لأمكن ان يقال انه بدأ فى ٨ مايو ١٩٤٥ ، نحدد هذا التاريخ ، ولا نقصـد به ان اعمالا معينة بدأت فى هذا اليوم بالذات ٠٠ وانما نعنى فقط ان هذا اليوم ، قد وضع حدا لفترة من تاريخ العالم ، تبدأ بعدها فترة اخرى ٠٠ ومصر ، كجزء من العالم ، تتأثر حتى باحـداثه الكبرى كما ان ظروفهـا الداخلية ، كانت لابد ان تتـأثر ، بهذا اليوم ايضا ٠

انه يوم انتهاء الحرب فى أوربا ٠٠

اليوم الذى انتظره العالم طويلا ، وخدع به العالم كثيرا

فقد سمى يوم السلام !

وقد سمى يوم النصر !

واعتقد الناس ، او هكذا ضللهم سادة الغرب ، ان العالم قد بدأ حقبة حقيقية من السلام ٠٠ وان قوى الخير قد انتصرت فعلا على سلطان الظلام ، وان هذا الخير سيعم جميع الامصار والشعوب ، وان المواثيق والعهود التى كانت تبرم وتقطع خلال فترة الحـرب ، ستصبح منذ اليوم حقائق بارزة فى تاريخ الانسانية ٠

ولم يقل أحد لهم أبدا ، ان سلطان الظلام قائم فى نفس القوى التى كانت تحـاربه ، وان المواثيق والعهـود ، قد اعدت لاحاديث الدعـاية فى اذاعاتها ونشراتها وافلامها وصحفها ، وانهـا ستصبح

تاريخا بمجرد انتهاء الحرب • ألم نكن قد سمعنا بميثاق الاطلنطى وألم نكن قد قرأنا عنه فى مئات من الصـور المختلفة ، وألم تكن نشرات الدعاية واذاعاتها تقـول حينئذ ان هـذا الميثـاق يجب ان تتضمنه محفوظات تلاميذ المـدارس لانه دسـتور الحيـاة والكرامة والعدالة التى تمخضت عنها الانسـانية بعد ابشع مجزرة شـهدتها الحياة •

كنا نسمع هذا ، كما كان العالم يسمعه ، وكنا ننتظر اليوم الذى تضع فيه الحرب أوزارها ، لا ايمانا منا بصدق هذه الدعايات ، ولكن لنبدأ خطى جديدة على أرض واضحة المعالم ••

فقد كان انتهاء الحرب عندنا يعنى أشياء كثيرة ••

يعنى تبلور الاوضاع بصورة لا تسمح بالفروض ولا المخادعات ولا الاحتمالات •• وانما تسمح بشيئين اثنين •• لاوجود لثالثهما : العمل لمصر ••• والعمل ضد مصر •

ولكل من العملين طريق واضح ، ومظاهر لا تخفى على أحد • وليس بين الطرفين طريق وسط •

هذا هو اول ما كان انتهاء الحرب يعنيه بالنسبة الينا •

وكان يعنى شيئا آخر ••

كان يعنى قرب انتهاء الاحكام العـرفية ••• الكابوس اللعين الذى وضع مصائر الاحرار تحت رحمة مخابرات الانجليز وجواسيسهم والذى كان يتهدد كل من يحـاول ان يخطو خطوة وطنية واحـدة خلال اعلانها ••

وان لم تكن هذه هي الفرصة المناسـبة لبدء العمل المنظم ، فليست هناك فرصة أخرى ••

ولمح جمـال عبد الناصر هذه الفرصة التى كان قد فكر فيها طويلا خلال الحرب ٠

ثم بدأ ينظم خطوطه ، ويحدد أعوانه ، ويرسم خطواته لهدف كبير ٠

وكان جمال الذى يعمل ، هو جمال الناضج الذى مرت به تجارب السنوات الست الكثيرة ، سنوات الحرب ، وما تخللها من احداث داخليـة وخارجيـة ، وما رآه فيها من هزات عنيفة ، ومن محاولات وطنية وأخرى خائنة ٠٠ ومن بطولات زائفة ، وأساليب خادعة ومن أوضاع غريبة حلت بالجيش ، أو فرضت عليه ، ومن دعايات مثيرة ، غرق فيها الشـعب وتهدف كلهـا الى تضليله لكى يكسب الاسـتعمار وأذنابه من الخـونة وأصحاب المصـالح والحكام الفاسدين ٠

وكان جمال يرى أن هذه الظروف والاحداث والصور قد مرت بغيره مثلمـا مرت به ٠٠ وان هـذا الغير قد تأثر بهـا وانفعل ، واكتسب وعيا جديدا ، نشأ فى فترة الحرب وآن له أن يتجمع ٠٠٠ وأن يعمل وعيا فى كثير من عناصر الشعب ، ووعيا فى كثير من عناصر الجيش ٠٠ وعيا لا بد ان يحرك اصحابه الى عمل معين أو اتجاه معين ٠٠ ولا بد لكى تنجح خطى اصحـابه ، أن تتجمع وان تتوحد وان تتحد اهدافها ٠

الجيش والشعب

وكان أيضا يرى عقبات فى الطريق

فعلى الرغم من ثقته بأن العناصر الواعية فى الجيش ، تسيطر عليها نفس الافكار والمبادىء التى تسيطر على العناصر الواعية فى الشعب ٠٠ وعلى الرغم من شعوره بأن ما يسخط منه أفراد الشعب

وجماعاتهم هو عين ما يسخط منه ضباط الجيش وجنوده .. وعلى الرغم من ثقته بأن المعركة التى يجب أن تبدأ هى معركة الجيش والشعب معا .. الا انه كان يشعر بانعدام ثقة الشعب فى الجيش وانعزال الجيش انعزالا ظاهرا عن قضايا الشعب ..

فقد كانت صورة الجيش فى ذلك الوقت هى صورة «الكرباج» الذى يلهب به الطغاة ظهور ابناء الشعب ، وهو سيف التهديد الذى يملكه الحاكم ويملك ان يسخره ضد هذا الشعب كلما ثار أو سخط

انها الصورة التى رسمها الانجليز وشاركهم فى اظهارها ، ووضع الاطار حولها ، حلفاؤهم : القصر ، والاحزاب .

وأصبح الشعب لا يخشى الملك ، لا لانه مقدس ، أو لأن القانون يحميه ، ولكن لانه القائد الاعلى للجيش ، والمسيطر على تحركاته ، والآمر فيه والناهى ..

والجيش مظلوم ..

والشعب مظلوم ..

فلم يكن جيش مصر أجنبيا عن ابنائها ، ولم يكن جيشا من المماليك أو المرتزقة .. ولكنه كان جيشا من الشعب .. مشاكله هى نفس مشاكل الشعب ..

ولم يكن الشعب يجهل هذه الحقيقة ولكنه كان يضلل عنها بأساليب كثيرة وفى مناسبات متعددة ، تجعله يخشى جيشه ، وكأنه جيش احتلال .

كانت هذه هى الحقيقة الاولى فى الموقف .. ان الشعب يعتقد ان هذا الجيش هو جيش فاروق لا جيشه .. وانه يائس من امكان القيام بالثورة الكبرى ، لان الجيش عندئذ لن يثور فى صفوفه ، ولن

يقاتل دفاعا عن مطالبه . وانما سيقف فى وجـه أبنـائه يضربهم بالحديد والنار ، ويحطم معنوياتهم ، وينصر عليهم الظالم والطاغية والمحتل .

وكان حاجزا ليس من اليسير تحطيمه ، فليس من اليسير أن تخلق ثقة وايمانا ، حيث لا ثقة ولا ايمان .

وكان هناك الى جانب هذا العمـل حلف آخر كبير .. جمعت عناصره مصالح مشتركة كثيرة .

وكان هذا الحلف ، يجمع بين الملك والأحزاب ، والرجعية ، ويعمل بوحى الاستعمار ، أو يعمل لصالحه .

وقد لا نذهب وراء الاستنتاجات كثيرا .. فنتهم عناصر هذا الحلف بالخيانة العامدة ..ولكن شيئا فى الوجود لايستطيع أن ينفى عن هذه العناصر جميعا ، أنها كانت تخدم الاستعمار ، ضالة ..أو عامدة .

فأما الملك .. فقد كان عامدا متعمدا فاهما لما يعمل حق الفهم . كان الملك قد عرف تماما أن الهوة سحيقة بينه وبين هـذا الشعب .. وكان الذين حوله ، من الحـاشية الفاسـدة والرواد الخائنين .. قد أقنعوه تماما ، بأن كل تقرب من ناحيته الى الشعب، سيزيد من نهم هذا الشعب فى مطالبه .. وأن هذا الشعب ان لم يضرب بالسياط سيتغول ، ويتحول الى خطر داهم عليه وعلى أسرته وعلى عرشه أيضا .

وكان حسنين يقول بلسان الملك : « لقد عرض الملك عرشه فى الطريق فلم يتقدم لانقاذ هذا العرش أحدمن ابناء شعب مصر» ..

وهو يعنى يوم ٤ فبراير ، حينمـا تحدى الانجليز ..فلمـا انتصر الانجليز عليه وعين النحاس رئيسا للوزراء ، هتف الشعب

للنحاس ولم يلتقط عرشه الذى القى الانجليز به ·· فى الطريق !

وكان حسنين يبرر بهذا مسلك الملك ، الذى بدأ من تقربه للانجليز ، وخضوعه لاوامرهم وبيعه نفسه لهم ··· فالملك بحاجة الى من يحميه ··· وقد أثبت الشعب ، فى ٤ فبراير انه غير مستعد لحماية الملك ·

أحزاب الأقلية

وكان فى هذا الحلف مع الملك ·· أحزاب الاقلية ، التى لم تحلم يوما بالوصول الى مقاعد الحكم عن طريق انتخابات نزيهة بريئة عن التزوير ، وكانت هذه الاحزاب منذ نشأت تعرف أن طريقها الى الحكم هو الايقاع بين حزب الأغلبية وبين الملك ، والاعتماد على قوى السلطة المحتلة والسلطة الداخلية فى حكم البلاد ·

وكانت لذلك تأتى الى الحكم بغيضة كريهة ، وتذهب عنه عشيعة بلعنات شعب مصر ·

ولكن الطريق قد دخلت عليه عوامل جديدة بعد ٤ فبراير ·· وجدت هذه الأحزاب فرصتها لتضليل الشعب بما تزعمه من وطنية الملك ، ومن انها تأتى الى الحكم ، لتنتقم للوطنية المصرية من قبول حزب الأغلبية الحكم على حراب الانجليز ·

وبهذا بدأ الشعب يتعرض لحملة تضليل كبيرة مثيرة تشنها عليه أحزاب الأقلية ، متحالفة مع القصر ·· مع الملك وأعوانه ورواده وحاشيته ·

أما حزب الأغلبية ·· فقد أغرق فى الفساد ، وداخلته شياطين الشهوة فضم اليه الاقطاعيين والسماسرة ·· وربط بمصالحهم مصيره ، وبدأ هو الآخر ينعزل عن تمثيل الشعب ، تمثيلا صحيحا يقوده به الى أهدافه الحقيقية ·

لقد تمثلت ديكتاتورية الأغلبية فى أبشع صورها وأصبح من العبث التفكير فى اصلاح هذا الحزب بعد أن قوض بنفسه الأساس الشعبى الذى يقوم عليه .

ولم يكن هذا وحده هو كل شىء فى الجانب الآخر ، كانت هناك أيضا حملة الرجعية المتجرة بالقيم الروحية لشعب مصر .

وشعب مصر شعب مؤمن متدين ولكن الايمان والتدين شىء، ومحاولة استغلال هذه الحقيقة العميقة فى الشعب ، استغلالا يحولها عن الغاية السامية منها تحويلا كاملا .. شىء آخر .

فالايمان والدين خيران أصيلان فى طبيعة شعب مصر .

والاتجار بالدين شر مستطير يخلق للدين أهدافا غير اهدافه ، ويجعل منه عاملا رجعيا يستتبع الجمود والتحجر ، ويفسد الجماعات .

أمراض الشعب

ولكن هذا هو الموج المتلاطم الذى يحوط سفينة الشعب .

استعمار قائم .. احلاف من القصر والأحزاب والرجعية .. ودعايات تنصب انصبابا فوق رءوس هذا الشعب المسكين ، وكلها تحاول أن تنحرف به عن دوره الحقيقى فى المعركة الى ادوار كثيرة أخرى تخدم أهداف الاستعمار وحلفائه المستترين والظاهرين .

وفوق هذا كله .. فهناك جبهة الشعب ايضا ، وما تعانيه من أمراض .

أمراض وراثية بعيدة الغور متأصلة الجذور .

أمراض أورثه اياها ذله الطويل تحت سياط الاقطاع والملوك والطغاة وجيوش الاحتلال .

أمراض منها التردد ، ومنها النفاق ومنها الاستسلام للواقع ومنها الخوف .. ومنها ، ومنها .. ومنها !

أمراض لا سبيل الى بعث هذا الشعب ، الا باستئصالها ، ولا سبيل الى استئصالها الا بازاحة اسبابها من الطريق .

لا بد من قوة

فلابد اذن من قوة تعمل لازاحة هذه الاسباب ...

لابد من قوة تزيل من البلاد الملكية الطاغية لتزيل بعد ذلك آثارها .

ولا بد من قوة تقضى على الاقطاع قضاء مبرما لتستطيع بعد ذلك ان ترفع مستوى الشعب، ومعنوياته ، وتزيل منها اثار الخضوع والخنوع والاستسلام والخوف .

ولا بد من قوة تقود الشعب كله للذود عن حقوقه وحريته المقدسة التى سلبها منه الاستعمار قرونا وقرونا حتى فقد الشعب الامل فى الخلاص منه ... او كاد يفقد هذا الامل .

ولابد من قوة تستطيع أن تقف فى وجه الأحزاب التى تستغل الشعب لتخدم مصالحها ومصالح الانجليز ، وتقف فى وجه الرجعية التى تضلل الشعب ، وتنحرف به عن طريقه الذى رسمته له فطرته السليمة طوال القرون الماضية ، وتثبت اقدامه فى طريق التطور والنهوض .

لا بد من قوة تصنع كل هذا .. لتصل بالشعب الى الامل الذى يراوده : ان يحكم نفسه بأيدى أبنائه ، وأن تكون له بنفسه الكلمة العليا فى مصيره .

ولم تكن هناك قوة تستطيع أن تقوم بهذا العمـل ... غير الجيش .

الجيش الذى لا يثق به الشعب ، والذى يعتبره سوطا يلهب ظهره بأمر الطغاة ، والذى استطاع الاستعمار وأعوانه أن يعزلوه عزلا كاملا عن الشعب الذى ينبت منه .

هذا الجيش الذى كان يطمع الشعب فى معونته ، ولكنه وجد نفسه بمنأى ومعزل عنه ..

وبدأ جمال يرقب هذه الجبهات ، الاعداء ، والملك ، والاحزاب ، والرجعية ، والانحلال الذى بدأ ينخر فى عظام الامة ..

ووضع جمال عبد الناصر هذه العوامل والقـوى جميعا امام ناظريه .. ثم بدأ ..

بدأ يرسم الوسيلة .. ويضع الخطوط ، ويعد التنظيم الذى يستطيع أن يقود الجيش الى معركته الكبرى باسم الشعب .

بدأ يصنع ذلك ، فى الفترة التى تلت يوم ٨ مايو ١٩٤٥ .. يوم النصر كما سماه الانجليز .

اللجان الخمس

- فتحنـــا دكانا لبيـع الزجاجات القديمة
- الادارات الثلاث
- كان ســلاحنا زجاجات مولوتوف
- الذين « وصموا » بالكفاح الوطنى .
- كانت الصداقة هى أساس التشكيلات .

بعد الدراسة المستفيضة التى قام بها جمال عام ١٩٤٥ للموقف ، وما يحيط به من ظروف وملابسات قرر ان يبدأ العمل الداخلى فى الجيش .

والذين يعرفون « جمال » يعرفون انه رجل لا يبدأ عملا حتى ينتهى تماما من بحث جميع تفاصيله ، ولا يخطو خطوة حتى يدرس الارض التى سيخطو عليها ، ويتبين جيدا معالم طريقه يدرس قبل كل هذا ، ما سبقها من خطى .

ويوم قرر جمال أن يبدأ عمله التنظيمى الجديد .. كان كمن يقف فى منتصف طريق متصل .. وراءه خطوات تتلاشى مع الليل ، وامامه خطوات تبدو مع النهار .

وكان لا بد له أن يسلط اضواءه القوية على الليل الطويل من خلفه ، ليدرس كل خطوة من الخطى السابقة . فقد تعود أن يستفيد من هذه الدراسات وأن يكسب كثيرا من التأمل فى أفكاره السابقة ، وفى أفكار الآخرين .

وقد كان هناك شبه تنظيم حركى لنا ، قبل عام ١٩٤٥ وكان هذا التنظيم المبدئى ، هو أول شىء أكب جمال على دراسته ، يوم أراد أن يبدأ العمل الجديد .

كنا قبل عام ١٩٤٢ قد انتهينا فى تنظيم أنفسنا ، الى تشكيل

خمس ادارات رئيسية . تنفـرد كل منها بدور خاص فى خـدمة التشكيل ·

وكانت هذه الادارات على التوالى هى .:

١ ـ الادارة الاقتصادية ·

٢ ـ ادارة التشكيلات ·

٣ ـ ادارة الدعاية والاتصال بالكتل الشعبية ··

٤ ـ ادارة الارهاب ·

٥ ـ ادارة الأمن ·

وكانت ظـروف كثيرة قد اقتضتنا ان ننشىء هـذه الادارات الخمس ، لنحقق عن طريق كل منها هدفا معينا ··

وقد نجحنا فى بعض ما أملناه منها وفشلنا فى بعضه الآخر ··

ولكنها جميعا قد قامت بواجبها فى ظروف الحرب القاسـية ، واستطعنا عن طريقها أن نحقق كثيرا من الأعمال التى كنا نقررها·

وقد تبدو أسماء هذه الادارات أسماء ضخمة ، فيخيل لسامع كلمة « ادارة الاقتصاد » او « الادارة الاقتصادية » مثلا ، انها كانت إدارة منوطة ببحث المسائل الاقتصادية أو المالية للبلاد أو تصميم السياسة الاقتصادية المستقبلة عند نجاح فكرتنا ..

قد يبـدو شىء من ذلك ·· وعندئذ تبدو مهمة هـذه الادارة عندما نفصح عنها ضئيلة هزيلة ··

فقد وجدت هذه الادارات لتكون فى خدمة التشكيل وحده ، من حيث هو تشكيل عسكرى داخل الجيش ··

وكانت لكل منهـا أهمية قصوى ، عند انشـائها ، والى كل منها يرجع جانب من نجاح هذا التشـكيل فى الاحتفـاظ بكيـانه خلال سنوات الحرب ، وما يحيط بالكفاح فيها من خطر ..

وسأضع أمام القارىء هنا صورة لكل من هـذه اللجـان ، أو الادارات ، ووظائفها وأهدافها ..

الادارة الاقتصادية

نشأت فكرة هذه الادارة نتيجة للواقع الذى درسـناه فى ماضى المكافحين والذى توقعناه لأنفسنا .

فالذى يدرس تاريخ الكفاح الوطنى فى مصر ، والذى يدرسه فى بقاع الأرض جميعا ، يعرف دون مشـقة كبيرة ، ان من أهم العوامل التى تعوق المكافحين عن مواصلة الـكفاح ، والتى تثبط همم المقبلين عليه لقمة العيش .. لقمـة العيش التى لا يغـرى الحصول عليها ، ولكن يرهب الحرمان منها .

ولنحصر أنفسنا فى تاريخ مصر لنرى صور المكافحين الذين سبقونا ، وكيف جعل الاستعمـار وحكوماته منهم عبرا ، ورموزا للشقاء ، ترهب كل من تحدثه نفسه بالكفاح ..

فقد كان من « يوصم » بالكفاح الوطنى ، ينظر حوله فلا يجد يدا تمتد اليه ..

لا يجـد عملا فى حكومة ، ولا فى شركة من الشركات .. ولا رعاية من أصحاب الوطنية والمتجرين بالكفاح ..

وانظر الى الذين حكم عليهم بالسجن سـنوات كثيرة وصلت الى حد الأشغال الشـاقة المؤبدة فى عام ١٩١٩ وما تلاه من أعوام الثورة المصرية المجيدة ..

منهم من عفى عنه قبل أن تنقضى مدة عقوبته .. ومنهم من قضاها كاملة فى الشقاء ..

فانظر الى الفريق الاول ، تجده قد انقسم طائفتين : طائفة غنمت الغنم كله فأصبح منها الزعماء والحكام والثراة وأعضاء مجالس الشركات الكبرى والمساهمون فيها وحملة الألقاب والرتب والنياشين ..

هذه طائفة ...

وطائفة غرمت الغرم كله .. خرجت من السجون لتجد تعاسة الحياة .. لتجد عقوق الوطن والأصدقاء وزملاء الكفاح ، لتعيش مشردة تسعى الى لقمة العيش ، فان لم تجدها ـ وما وجدتها ـ فى رعاية الوطن ، ذهبت تقتاتها فى معسكرات الانجليز!

وأما أولئك الذين خرجوا من ظلام السجون بعد انقضاء مدة عقوبتهم .. فياويلهم .. ! خرجوا للنسيان والتشرد .. خرجوا أشبه بفاقدى الرشد .. تزوغ أعينهم فى جنبات الوطن .. لترى الشباب يهتف للزعماء ، ويهتف للحرية .. ولو نظر أمام عينيه لرأى كيف يكون عقوق الزعماء ، والى أى مصير ينتهى رواد الحرية والمكافحون عنها ..

وكانت هذه الأمثلة كلها أمام أعيننا فى تلك الفترة التى أقدمنا على اجتيازها بجرأة الشباب ، وحماسة الذين وهبوا للجهاد أنفسهم ..

وقلنا اننا بشر ..

واننا لا نريد أن يتعرض أحدنا لمثل ما تعرض له هؤلاء المساكين ..

وان علينا أن نتدبر أمر تمويل هذا التشكيل بحيث يصبح قادرا على اعالة أى فرد منه يتعرض لنكبة من هذه النكبات ..

ونشأت هذه اللجنة .. لجنة كل مهمتها جمع المال ، واختزانه واستثماره ــ ان أمكن ــ بوسائل مأمونة لا تكشف عن حقيقتها ، لكى لا نسير فى طريقنا ، وظهرنا من هذه الناحية مكشوف ..

وبدأت هذه اللجنة تكون لها رأس مال ..

وبدأته فى حقيقة الأمر على حسابنا ..

فكلفتنا أن يضغط كل منا ميزانيته ضغطا شديدا ليرى كم جنيها ــ أو كم قرشا ! ــ يستطيع أن يقتطعه من مرتبه كل شهر لصالح التشكيل ..

وفعلنا ..

وكلفتنا بعد ذلك ، أن يستدين كل منا على مرتبه قيمة شهرين من أحد البنوك ، كما يفعل كثير من الموظفين ..

وفعلنا .. أى فعل أعضاء التشكيل جميعا الا أنا فقد أعفتنى اللجنة من هذا التكليف لأنى اذ ذاك كنت المتزوج الوحيد بين أعضاء التشكيل ، وكنت أنفق على أولادى وزوجى من مرتب « اليوزباشى » المعروف .. !

وعلمت اللجنة ان الفريق عزيز المصرى قد باع محصول حديقته من ثمار المانجو بخمسين جنيها فاستولت على هذه الجنيهات الخمسين !

ولم تجد وسيلة للتمويل السريع بعد ذلك .. فاكتفت !

وكان يمكن لرأس المال البسيط ، الذى جمعناه حينئذ ان

يكون نواة لا بأس بها لتمويلنا . ولكن عام ١٩٤٢ جاء بأحداثه التى قررنا خلالها الاستعداد لابادة الانجليز العائدين من العلمين ... وكانت وسيلتنا الى ذلك الزجاجات المعروفة بكوكتيل «مولوتوف» والقنابل والمسدسات المصنوعة محليا ، والمفرقعات ..

وكانت المشكلة فى هـذه الخطة ، هى مشـكلة الحصـول على الزجاجات الفارغة .. فوظفنا لذلك رأس المال.. ثم فكرنا فى كيفية استخدامه ..

وكان ان فتحنا « دكانا » لتجارة الزجاجات الفارغة ، وأجلسنا فيه رجلا أمينا ، أخذ يتعرف ببائعى الزجاجات الفارغة المتجولين.. حتى عرفوه واعتادوا ان يعودوا اليه آخر كل نهار ، بما جمعوه من الزجاجات الفارغة ..

ولم يكن هذا الفيض يكفى ، فذهبنا الى سوق الزجاج بشارع كلوت بك وابتعنا منه ما يلزمنا ..

كنا بحاجة الى عشرات الالوف من الزجاجات الفارغة .. وكان رأس المال الصغير الذى جمعته لجنة الاقتصاد هو الذى مكننا من اتمام هذه العملية ..

وعلى الرغم من ان المال الذى جمعته هذه اللجنة لم يستثمر ، ولم يستعمل فيما جمع من أجله .. الا ان وجود هذه اللجنة كفكرة، ظل ماثلا امام جمال عبد الناصر وهو يعد عدته للتنظيم الجديد ..

لجنة التشكيلات

واللجنة الثانية ، أو الادارة الثانية ادارة التشكيلات ..

وكانت لهذه الادارة أهمية خاصـة نظرا للعمـل الخطير الذى كانت منوطة به ..

فهى التى كانت تجمع العناصر التى يمكن ضمها الينا من ضباط الجيش فى مختلف الاسلحة ..

وهى التى كانت تبوب هذه العناصر باعتبار اسلحتها واختصاصاتها وتكون منهم الخلايا والتشكيلات المختلفة ..

وهى التى كانت تراقب مدى تقدم التشكيل أو تأخره بما لديها من المعلومات الدقيقة عن عدد الضباط الذين ينضمون الينا، والذين يخرجون علينا .. ومعرفة أسباب زيادة الاقبال على التشكيل أو نقصه ..

وكانت هذه اللجنة هى وحدها التى تعرف جميع الضباط الذين يناصروننا ، وهى وحدها التى تعرف ــ فعلا ــ مدى قوتنا ..

فعلى الرغم من اننا حرصنا منذ البدء على ان يضم تشكيلنا ضابط من كل سلاح يكون مسئولا عن صلة سلاحه بالتشكيل الا ان هذا الضابط نفسه لم يكن فى أكثر الأحيان يعرف أكثر ضباط سلاحه . . لأنهم ليسوا من دفعته .. أو لأنهم لم يخدموا معه فى مكان واحد ..

أما هذه اللجنة فكانت مهمتها أن تعرف الجميع ... وأن تجمعهم لا على أساس اختبارات الجمعيات السرية المختلفة ولكن على أساس الصداقات القائمة بينهم وبين بعضهم .. فقد كان أساس تشكيلاتنا ، هو الصداقة التى تخلق الثقة وتنفى الشكوك ..

وكان مفروضا ان تنتهى مهمة اللجنة عند هذا ، وان تحيل أمر الضباط الذين يخرجون على التشكيل الي لجنة الأمن ..

ولكننا لم نكن تقدمنا فى اساليبنا فى الفترة الأولى الى هذا الحد ...

وكانت هذه الصورة للجنة التشكيلات هى التى وجدها جمال أمامه . . عندما بدأ تنظيمه الجديد ..

لجنة الدعاية

واللجنة الثالثة كانت لجنة الدعاية والاتصال بالكتل الشعبية

ولم تكن هذه اللجنة تفتعل الدعاية ولا كانت تلجأ الى الأساليب الشائعة فيها كطبع المنشورات أو مراسلة الصحف .

وانما كانت تساير الأحداث لتثير مناقشات عارضة تستعرض فيها الحالة العامة ، في جلسات الضباط في « ميساتهم » أو بين الشلل المختلفة في منازلهم ..

وكانت الحوادث التي تقع في تلك الفترة الكثيرة الأحداث ، هي التي تدفع بدعايتنا كثيرا الى الأمام ..

ومن أهم الحوادث التي استغلتها لجنة الدعاية حادث تسليم فرنسا عام ١٩٤٠ وما تبعه من انعزال انجلترا ووقوفها وحيدة أمام العدو ، مماكان يثير حماسة الضباط لكل فكرة تقول بضرب انجلترا في محنتها ، لانها لن تسلم بمطالبنا ، ولن تخرج من بلادنا الا وهي مرغمة صاغرة ..

ومن الأحداث التي دفعت بدعايتنا كثيرا الى الأمام أيضا في تلك الأيام حادث الأمر الذي صدر الينا بتسليم أسلحتنا للانجليز، ورفضنا هذا الأمر ، وحادث خروج على ماهر بعد بيانه المعروف .. ثم أخيرا حادث ٤ فبراير الذي غطى على كل ما عداه ! ..

هذا من حيث الدعاية داخل الجيش ، أما الاتصال بالكتل الشعبية فقد كان هم هذه اللجنة أن تقوم بعملية موازية تماما لعمليتها الأولى داخل الجيش .. وهذه العملية الجديدة ، هي جس نبض الكتل الشعبية ومعرفة اتجاهاتها ومدى تأثرها بالحوادث المختلفة .. ونوع هذا التأثر ، ومدى استعدادها للمعركة ..

وعن طريق هذه اللجنة تعاونا حينا من الزمن مع بعض شباب الحزب الوطنى كما عرفنا عن طريقهـــــا الأستاذ عبد العزيز على. وكان اذ ذاك لا يزال مسيطرا على الجهاز السرى للحزب الوطنى الذى شكله بنفسه عام ١٩١٩ .. وقد ظل يتعاونَ معنا بعد ذلك لفترة طويلة .. وأفدنا من معونته كثيرا ..

وكان هذا هو كل عمل هذه اللجنة حينما بدأ جمال يضـــع تنظيمه الجديد ..

أما اللجنتان الأخيرتان ، وهما لجنة الارهاب والامن فانه لم يحن بعد الوقت لشرحهما وتسليط الأضواء عليهما ..

اللقاء الاول
بين عبد الناصر وعامر

- مولد الثورة بين الخرطوم وأم درمان
- جهلاء فى منصب القيادة !
- ((فكرة الحياة)) لاتختفى ..
- خمر بأمر القائد ! . .
- هروب من النافذة !..
- خطة ماكرة ! ..

بهذه الحلقة يبدأ الطور الثانى من اطوار التمهيد لثورة ٢٣ يوليو ·· وهو الطور الذى بدأه جمال عبد الناصر ، بعد التجارب العديدة التى مرت بنا فى تلك السنوات الاولى المليئة بالمخاطر والمشقات ··

وان كان جمال قد اشعل الجذوة فى ليالى منقباد ·· وان كانت هذه الجذوة قد ظلت مشتعلة بأيدينا ، نلهب بها سواد الاعوام المظلمة ·· فقد ظل جمال مراقبا لهيبها مسجلا لانتصاراتها ـ مستفيدا من تجاربها ··

وكان فى صمته ، خلال نقله الى السودان ، وبعد عودته من هناك يعد لجذوة أخرى لا يظهر ضوؤها ، ولا يفرغ زيتها ·· جذوة عاقلة حكيمة لا تشعل النار ولكن تضىء الطريق ··

وفى خلال الاعوام التى كنا فيها نظهر لنختفى ، ونختفى لنظهر ·· كانت عينا جمال الفاحصة تبحث عن الرجال والأعوان··

ولعل انتصاره الاول فى هذا الميدان ·· كان لقاءه بعبد الحكيم ··

وبقصة هذا اللقاء ·· يبدأ هذا الطور ، من اطوار التمهيد للثورة ··

الى السودان

السودان ...

السودان .. الذى يهرع اليوم شيقا للقاء مصر .. وتهرع مصر للقائه جذلى .. كان فى تلك الايام منفى المغضوب عليهم من رجال الجيش ..

ولا يسأل أحد : لماذا كان السودان منفى ؟! فهكذا كان .. وكانت أسوان أيضا منفى .. والعريش .. والصحراء الغربية وكل بقعة خلا القاهرة .. والاسكندرية !

وفى الجيش ، كان الملازم جمال عبد الناصر ضابطا صغيرا مغضوبا عليه .. فمنذ أيام منقباد وثورتنا على الاوضاع هناك .. على البعثة الانجليزية .. وعلى اللواء المصرى الذى كنا نسميه السلطان عبد الحميد .. منذ تلك الأيام المجيدة من أعوام الشباب .. كسب جمال كراهية القومندانات .. وحقدهم .. وتوقعهم الفرصة لايقاع الاذى به ..

وكان معروفا ان الكتيبة الثالثة ستتحرك الى السودان ..

وعندما يقترب رحيل كتيبة الى السودان ، يرسلون الى الكتائب الاخرى فى أنحاء الديار ، لكى تبعث اليهم بأسماء « المغضوب عليهم » من ضباطها .. لكى يساقوا الى المنفى يوم الرحيل ..

ولكنه لم ينتظر أن ترسل به كتيبته الى المنفى .. وانما سارع بنفسه يقدم اسمه ، ليكون بين الراحلين ..

ودهش اخوانه لهذا التصرف .. وكانوا يحبونه ، ويحبون أن يبقى بينهم ..

ولكنه كان قد رسم لنفسه طريق السير .. وكان قوة مجهولة تدفعه دفعا الى زيادة شطر الوادى الحبيب .. واستقراء الحقيقة فيه ..

عبد الحكيم ... هناك

وكانت الكتيبة الثالثة التى تتهيأ للرحيل ، لا تزال فى المكس بالاسكندرية وكان على جمال أن يمضى الى الاسكندرية ليلتحق بها، ثم يرحل معها الى أرض الجنوب ..

وفى ليلة السفر الى الاسكندرية ، التقى به الصاغ عثمان نصار من ضباط كتيبته ، وكان من أصدقائه المخلصين ... وسأله :

ـ أترحل غدا ؟..

ـ بأذن الله ..

ـ هل تعرف أحدا من الضباط هناك ؟..

ـ أبدا ...

ـ اسأل اذا عن الملازم عبد الحكيم عامر ، وتعرف به ..

ولعل هذا هو كل ما يذكره جمال من حديث الصاغ عثمان نصار اليه عن عبد الحكيم ..

فلم يكن جمال ممن ينشئون صداقاتهم على هذه الأسس السطحية البسيطة .. ولم يتوقع أبدا أن يكون عبد الحكيم ـ هذا ـ صديق عمره ، ورفيق جهاده الكبير ..

ولا يذكر جمال عن يوم لقائه الأول بعبد الحكيم شيئا .. ولكن عبد الحكيم هو الذى يذكر ...

يذكر أن نبأ وصول جمال الى الاسكندرية كان قد سبقه الى هناك ..

ويذكر انه قام من فوره ، وذهب يستقبله كصديق ، أو زميل جديد ..

ويذكر انه قدم اليه نفسه .. ثم قدم اليه كل التسهيلات المستطاعة ..

ويذكر أيضا .. ان جمال كان « قرفانا » وانه قابل صنيعه شاكرا .. ولم يبد عليه اثر لهذه التوصية التى كان يحملها من الصاغ نصار ..

نقيضان ...

وقد تسجل الأيام ان لقاء عبد الحكيم وجمال قد تم فى ذلك اليوم .. بالاسكندرية ..

ولكن هذا اللقاء ، لم يكن شيئا ..

لم يكن هو اللقاء الحقيقى بين الصديقين اللذين لم يفترقا بعد ذلك كثيرا فى حياتهما .. واللذين ارتبطا معا بأقوى ما يرتبط به صديقان .. رباط العقل والقلب والكفاح المشترك ..

أما اللقاء الحقيقى .. والتعارف الكامل .. فقد بدأ فى الخرطوم ..

هناك عاشا معا .. وعرف كل منهما صاحبه ..

ولكنهما لم يقطعا مرحلة التعارف فى يوم أو اثنين ، ولا فى اسبوع أو اسبوعين ..

فقد كانا نقيضين فى كل شىء ..

كان جمال شديد التحفظ ..

وكان عبد الحكيم شديد الاندفاع ..

كان جمال هادىء الاعصاب دائمـا .. مهما حدث ، ومهما رأى .. وما أكثر ماكان يرى مما يشقى النفس الأبية ..

وكان عبد الحكيم سريع الانفعال : سريع الغضب تستفزه الصغيرة والكبيرة على حد سواء !

والذين يعرفون عبد الحكيم اليوم ، فى هدوئه ، وصمته ، واتزانه البالغ ، قد لا يصدقون هذا الكلام ، وقد ينكرون هذه الصورة ..

ولكن الايام التى مرت بعبد الحكيم فى اثنى عشر عاما .. والاحداث التى هزته هزا .. قد استطاعت أن تغير فيه كل شىء.. وان تبدله انسانا آخر لا يعرفه اليوم من عرفه بالامس القريب ...

الأسد المصور

وأخذت عوامل كثيرة تعمل فى توطيد الصلة والصداقة بين الضابطين الصغيرين ..

وكان أول هذه العوامل .. قومندان الكتيبة ..

كان قومندانا من نوع فريد ، قل أن يوجد بين الضباط مثله

فقد عرفنا قومندانات ذلك الزمان ، قططا فى ثياب اسود ..

عرفناهم اذلة للضباط الانجليز .. اعزة علينا ، نحن أبناء الفلاحين ..

عرفناهم يتحكمون فى مصائرنا وأعمالنا وخطواتنا بالباطل أكثر مما يتحكمون بالحق ..

بل لعلنا لم نعرفهم يتحكمون بالحق أبدا ·· ولو كانوا كذلك ما غضبنا ولا اعتبرنا صلفهم من مستلزمات الحياة العسكرية·

ولكن الصلف والغطرسة ، كانا مظهر التعـويض عن مركبات النقص التى كانوا يعانون منها ··

جهلاء ·· فى مناصب القيادة ··

اذلة لاصغر ضـابط انجليزى ·· وعلى أكتـافهم المزيد من النجوم والتيجان ··

وتحت امرتهم ، شبان صغار ·· كبرت بالعـلم مقاييسهم ، وبالعزة والوطنية أنفسهم وقلوبهم ··

هكذا كان موقف القومندانات منا ··

أو هذه كانت أسباب هذا الموقف ··

ولكن قومندان الكتيبة الثـالثة فى السودان ، كان يجب أن يتحكم فى ضباطه الصغار ، تحكما من نوع جديد ، لم تعرف له فى الجيش مثيلا ···

من النافذة !

كان الرجل ولوعا بالشراب ·· ما يكاد المساء يقبل ، حتى يعد عدته ، لسـكرة تذهب بعقله ·· وتريه نفسه اسدا هصورا يملأ زئيره الفلوات ··

ولم يكن يحب الشراب وحده ··

ولم يكن يظفر بفرصة الشراب مع الانجليز ··

فكان الحل الطبيعى عنده ·· أن يأتى بضباطه ·· بالامر !! وأن يكلفهم بمجالسته وبمشاربته كلما جاء المساء ··

وتصوروا .. شرابا بأمر القــائد .. وفي مجلس الأسد الهصور ..

لقد كان الضباط جميعا – حتى الذين يشربون الخمر منهم– يضيقون بهذا التكليف الثقيل ..

ولكن جمالا ، لم يكن يضيق فقط ، بل كان يضيق ويسخط ويقاوم .. ويفسد على القائد مجلس الشراب ..

وماذا يســتطيع أن يصنع ، وقد امتنع عن المشــاركة فى الشراب ، فصدر اليه الأمر بالمشاركة فى جلسة الشراب ..

وكانت ليلة لا ينساها جمــال ، ولا عبد الحكيم .. حينما حاولا أن يتركا مجلس القــائد .. فرفض وزمجر وقام الى أبوابه فاغلقها ..

وتلفت جمال حوله .. وانتظر حتى شرب القــائد كأسين أو ثلاثة .. وبدأ يصول فى المكان ويزأر ..

ثم أشار الى عبد الحكيم .. وقفز من النافذة .. وقفز عبد الحكيم خلفه .. وتبعهما الضباط جميعا .

وعاد القــائد الى مجلس الشراب ، ليجــده خاليــا خاويا من السمار ..

ولم يغن صراخه ولا زئيره شــيئا ! .. فبعــد دقائق كان الضباط جميعا قد استقروا فى احدى دور السينما يشاهدون فيلما ضاحكا .. ويضحكون ..

والذى لم يضحك فى تلك الليلة هو القومندان المهيب !..

ومنذ الصباح التالى ، بدأت حرب باردة بين القومندان وبين

جمال وعبد الحكيم ·· فقد فهم انهما كانا رأس الحربة التى فتحت الثغرة فى نافذة داره ··

وبلغ التفنن من الطرفين أقصاه فى هذه الحرب الباردة ·· حتى جاء يوم تنفس فيه القائد الصعداء شيئا ما ·· لأن عبد الحكيم قد هبط الى القاهرة ليلتحق « بفرقة » دراسية من فرق الجيش··

انتفاع ···

وأدرك القائد أنه لم يعد أمامه سوى جمال ·· وأن جمالا ، وقد أصبح وحده الآن ، لن يجد من يشاركه فى معارك كل يوم !··

ولكنه لم يلبث أن نكب فى فطنته ·· فقد اســتمرت الحرب الباردة بينه وبين جمال ·· وزادت فنونها ··

وفى يوم من الايام ·· أصدر القومندان أمره بنقل جمال الى جبل الاولياء ·· ليستريح منه ··

واستراح فعلا ·· ولم يره بعد ذلك حتى اليوم ··

وأتم عبد الحـــكيم فرقته ، وعاد الى الخرطوم ·· فلم يجد « جمال » ووجد أركان حرب الكتيبة يسأله فى حذر :

ــ ماذا بينك وبين القومندان ؟··

ويجيب عبد الحكيم فى حذر أيضا :

ــ لماذا ؟··

فيسر اليه أركان الحرب ، ان القومندان لم يكد يعــلم نبأ عودته ، حتى استشاط غضبا وأصدر أمره بنقله الى كسلا ··

خطة ...

وكان عبد الحكيم قد عرف ان « جمال » قد نقل قبله الى جبل الأولياء .. وفهم ان القومندان يريد التخلص منه كما تخلص من جمال ..

وكان عبد الحكيم يعرف نفسية القومندان جيدا .. ويعرف ان هذا النقل ليس الا انتقاما ..

وكان يريد أن يذهب الى جبل الأولياء بدلا من كسلا بأى ثمن ..

وابتسم عبد الحكيم فى وجه أركان الحرب ، وقال له :

ــ ان « عفشى » لا يزال مربوطا .. وأنا أحب أن أذهب الى كسلا ..

وتركه قليلا ريثما يبلغ هذا للقومندان .. ثم طرق باب القومندان ، ودخل .. ولم يكد ينته من التحية حتى سأله فى تلهف :

ــ متى أذهب الى كسلا ؟!..

ودهش القومندان ، وقد وقع فى روعه ان لعبد الحكيم أصدقاء أو أقرباء أو مصالح من أى نوع هناك .. ثم زمجر وقال :

ــ من قال لك انك ذاهب الى كسلا .. انى لن أبعث بك اليها .. وستذهب غدا الى جبل الأولياء !!

ولعل هذه كانت أول خطة من خطط عبد الحكيم الماكرة الماهرة !

وكان صباحا مشرقا عندما ذهب عبد الحكيم الى جبل الأولياء .. الى صديقه .. جمال ..

وفى جبل الأولياء .. زادت الصداقة عمقا بين الزميلين .. واكتمل التفاهم بينهما .. فى كل شىء ..

كانا يقضيان معا سهراتهما يلعبان الشطرنج .

وكانا يقضيان معا أيامهما .. فى رحلات الصيد .

وعندما يذكر أحدهما تلك الايام وتلك الليالى ، لا يكاد يذكر الشطرنج ، ولا الصيد ، بقدر ما يذكر المشاجرات الكثيرة التى تقع بينهما ..

فليس يسيرا أن تقوم صداقة حقيقية بين هذين الرجلين دون أن يسبقها عدد كبير من المشاجرات ..

ولم يكن فى جبل الاولياء من الضباط سواهما ..

فكان جمال هو القومندان ، وكان عبد الحكيم ضابطه الوحيد .. ! ولم يكن بد اذا تشاجرا صباحا أن يصطلحا فى المساء .. واذا تشاجرا مساء أن يصطلحا فى الصباح ..!

ولكن هذه الفترة .. قد انتهت بالتفاهم التام بينهما .. وبالتفكير المتصل الموحد .. فى حالة الجيش ..

فقد اقتنعا تماما ، ان المشكلة ليست مشكلة الكتيبة .. ولا القومندان ولا الرؤساء الانجليز ..

ولكنها مشكلة الجيش كله .. والبلد كلها ..

وكان الحاكم العام فى السودان يزودهما بكئوس المرارة والحقد على الاستعمار والأوضاع القائمة فى البلاد .. كان الحاكم العام فى السودان ، هو القائد الأعلى للجيش هناك ، بما فى ذلك

الجيش المصرى .. وكان لا يخفى احتقاره لجيش مصر ولا كراهيته للمصريين ولا نزعاته الاستعمارية العاتية التى لا تقاوم ..

وما حدث فى تبات الشريف ..

حدث فى جبل الاولياء ..

انهـــا الجذوة التى يوقدها جمال فى بساطته وعمقه واتزان تفكيره ..

انها القرار ، والتصميم الذى تتمخض عنه المناقشات معه .

انهـــا الفكرة « فكرة الحياة » التى انبعثت هناك فى تبات الشريف ، قد كسبت رجلا جديدا .. عبد الحكيم عامر ..

لا بد من القضـــاء على الاستعمار .. بأى صـــورة ، وبأية وسيلة ..

لابد من تطهير أرض مصر والسودان من هذا العـــار الجاثم فيهما ..

لابد من عمل شىء .. شىء عظيم ..

ومثلما حدث معنا أيام تبات الشريف .. حين صدرت حركة التنقلات فى الجيش ، فذهب كل منا الى مكان .. حدث مع جمال وعبد الحكيم ..

فلم تلبث الأوامر أن صدرت بنقـــل عبد الحكيم الى منقباد وبنقل جمال الى الصحراء الغربية ..

وافترقا فى ذلك اليوم افتراقا ظاهرا .. ولكن الصلة بينهما لم تزد الا وثوقا وقربا ، حتى التقيا مرة أخرى فى القـــاهرة فى ديسمبر سنة ١٩٤٢ .. عقب حادث ٤ فبراير المشئوم ..

وعندما التقيا .. بدأت احداث جديدة .. لم تعرف القاهرة أكثرها .. ولكن تسجلها هذه الصفحات ..

أول ثورة
في نادي الضباط

- لحســـاب من كان يعمل أحمد حسنين ؟!
- خطة الحركة الأولى .. !
- أحمد حسنين ينصح ...
- جذاء ... وليس قنبلة...
- معركة من نوع جديد...
- أين الطريق .. ؟

الحقيقة التى يجب أن يدركها كل من يقرأ هذه الصفحات ، أو يحـاول دراسـة تاريخ هـذه الثورة ، والخطوات التى مر بهـا التمهيد لها ، هى ان الذين قاموا بها وأعدوا لها ، لم يبدأوا خطواتهم بوعى كامل وانمـا تدرجوا فى وعيهم السـياسى ، مع الاحداث والأيام ..

ولعلهم أحسنوا الظن يوما برجل أو جماعة أو حزب.. ولعلهم علقوا على هذا الرجل ، أو هذه الجماعة ، أو هذا الحزب أملا ... ولعلهم ساروا أشواطا خلف هذا الأمل ..

ثم جاءت الايام ، تكشف لهم عن حقائق لم يكونوا يعرفونها ، وجاءت الاحداث تطرق أعصابهم طرقا عنيفا يهز كيانهم هزا ، ويفتح عيونهم لادراك جديد ، ويوجه خطواتهم الى طريق أكثر وعيا ، وأقرب صلة بالهدف ..

والهدف الواحد .. الهـدف الكبير الذى لم يتغير ، والذى تعتبر كل الاهداف الجزئية فى تاريخ هذه الثورة ، وسائل اليه ، هو القضاء على الاستعمار ، وازالة كابوسه الجاثم فوق صدر مصر.

وليس غريبا فى سبيل الوصول الى هذا الهدف ، أن تلتقى جماعتنا بكثير من الاحزاب والهيئـات والافراد .. فقد كان هذا الهدف ، هو البيرق الذى يرفعه كل تشـكيل سياسى فوق بابه ، والذى يخطف بريقه أنظار الشباب المتعطش للخلاص ..

وليس غريبا أيضا فى سبيل الوصول الى هذا الهدف ، ان تنأى جماعتنا بنفسها نأيا شديدا ، عن كل وسيلة يظهر عنصر التضليل فيها ، سواء أكانت الوسيلة حزبا ، أم جماعة ، أم فردا .

وقد كانت الفترة التى بدأت بعد حادث ٤ فبراير ، فترة نشاط ثورى كبير ، لا فى جماعتنا وحدها ، ولكن هنا ، وهناك .. فى الجيش ، والجماعات ، وطوائف الشباب القومى والحزبى ، والتكتلات الصغيرة العلنية والسرية ، المدنية والعسكرية ..

وكانت هذه الفترة لذلك ، محكا للافراد والجماعات .. ومختبرا يظهر معادن النفوس وفرصة للتعارف بين المخلصين .

بعد ٤ فبراير

كانت فترة عصيبة تلك التى تلت حادث ٤ فبراير ..

وكانت مجالا لنشاط كبير .. هنا وهناك ..

فقد كان الملك ـ مثلا ـ يظهر أمام الشعب بمظهر الوطنى الذى تحدى المستعمرين ، وأراد أن يقود شعبه الى الخلاص منهم فغلبوه على أمره ، واستلوا منه سيفه وصولجانه وألزموه قصره كالطير السجين ..

وكانت الاحزاب المعادية للوفد ، تحاول بنشاطها الخفى والظاهرى ، أن تكسب من تصويرها للحادث نفسه ومن نقائص الحكم الوفدى المعروفة ومن عطف الشعب على موقف الملك المطعون فى قصره ، وسيلة لاكتساب الانصار ، وبث الدعاية الحزبية ، والتمهيد للوثوب الى الحكم فى ثوب وطنى ، بعد أن كانت لا تعرف طريقها الى الحكم الا وأنف الشعب راغم تحت أقدام القصر والانجليز ..

وكانت طوائف الشباب المجاهد المختلفة الاتجاهات ، قد زج بها في السجون والمعتقلات ومستشفيات المجانين ..

وبقيت خارج الاسوار جماعة الاخوان المسلمين من ناحية ، وجماعات صغيرة ضئيلة العدد من الشباب الساخط تجتمع لتفكر ، وتزداد سخطا ، أو تجتمع لتدبر أمرا كهذا الذى كنا ندبره والذى اعتقلت بسببه واعتقل معى بسببه عزيز المصرى وآخرون ..

جماعات ... واتجاهات

كنت أنا اذن أعمل من ناحية ..

وكان الاخوان المسلمون يعدون أنفسهم على النحو الذى تحدثت عنه فى بعض الصفحات السابقة ..

وكانت هناك اجتماعات متفرقة تعقد هنا وهناك ، تضم شبابا ثائرا ساخطا ..

فمن هذه الاجتماعات مثلا ، اجتماعات كانت تعقد فى حى الزيتون ضمت عددا من ضباط الجيش من بينهم الصاغ كمال الدين حسين وضباط آخرون ..

واجتماعات أخرى كانت تضم اليوزباشى مصطفى كمال صدقى وعددا من الضباط وضباط الصف ، على نحو سنفصله على صفحات قريبة ..

كان كل يعمل فى طريق .. وكانت أغلب الخواطر والافكار تتجه ناحية القتل والارهاب .. قتل الانجليز وأعوانهم ، فلم يكن هناك متنفس حقيقى للثورة المكبوتة فى الصدور .. ولم تكن هناك آمال واضحة تدعونا الى التريث والتفكير ، أو تستطيع أن تحدد خطواتنا اليها فى اتزان .. كنا قد فقدنا كل صمام يحمينا من الانفجار ، حتى صمام التعزى بالامل ..

وكان جمال وعبد الحكيم في ذلك الوقت ، كسائر هذه الجماعات الشابة الساخطة ، يحاولان أن يصنعا شيئا ..

ولكن الميزة التى امتاز بهما جمال ، ميزة الصبر والتريث والتفكير الكثير .. استطاعت أن تنأى بهما وبمجموعة أصدقائهما عن كل عمل طائش ، أو خطوة غير مأمونة ..

الحركة الاولى

حتى كان عام ١٩٤٤ .. أى بعد أن قضت وزارة النحاس فى الحكم ما يقرب من العامين ..

وكان قد أصبح واضحا ان هذه الوزارة قد وطنت نفسها على تسليم كل ما يطلبه اليها الانجليز .. وان الملك قد أصبح عاجزا عن كل مقاومة .. وان مقاليد الحكم الداخلى نفسه فى مصر ، قد وضعت نهائيا بين يدى تشرشل رئيس وزراء انجلترا ..

ولم تعد الأعصاب تستطيع مزيدا من الاحتمال ..

ولقد أصبح هذا الوضع الشائن مثارا لأحاديث بين الضباط فى كل مكان .. الكل يتكلم .. الكل يهمس .. الكل يفكر ..

ورأى جمال ان فى الامكان استغلال هذه الحركة الواسعة من الهمس والنشاط والسخط فى دوائر ضباط الجيش ، بتحويلها الى حركة موحدة واضحة ، وسيلتها معارضة هذا اللون من الحكم ، وهدفها تحدى الانجليز ..

واشترك جمال وعبد الحكيم فى تنظيم هذه الحركة واعداد العدة لكل احتمال ..

ثم اتفق جمال وعبد الحكيم على ألا يظهرا بصورة واضحة فى هذه العمليات ، على أن يكون عبد الحكيم هو المحور الظاهر فيها ..

ومرت أيام ، فوجىء بعدها أعضاء مجلس ادارة نادى ضباط الجيش ، وكبار اللواءات والقواد فيه ، بدعوة موجهة الى الضباط لعقد اجتماع عام فى النادى للبحث فى شئون البلاد والحكم ..

ثم فوجئوا بعدد ضخم من الضباط يحضر هذا الاجتماع فى موعده .. ثم فوجئوا بمناقشات واضحة ، وخطابات جريئة ، وقرارات تتخذ ..

وقام اللواءات يحاولون الاعتراض على هذه الحركة وهذه الخطابات السياسية ، وهذا النشاط الذى لا تقره تقاليد الجيش..!

واذا بعاصفة من السخرية والتحدى تثور فى وجوههم ، من جانب الضباط الصغار .. واذا بالاجتماع يواصل برنامجه الموضوع له ، برغم هذا الموقف من اللواءات المسيطرين على الجيش والنادى جميعا ..

نصيحة حسنين

وانتهى هذا الاجتماع بتشكيل لجنة من ضباط مختلف الاسلحة ، كان من أعضائها الصاغ صلاح سالم ، ولم يدخل اللجنة جمال ولا عبد الحكيم ، طبقا للقرار الذى اتخذاه من قبل ...

وكلفت هذه اللجنة من قبل الضباط المجتمعين جميعا بالتوجه لمقابلة المرحوم أحمد حسنين (باشا) للتفاهم معه فيما يمكن عمله لوضع حد لهذا الحكم الانجليزى السافر فى البلاد .. وافهامه أن الضباط جميعا مستعدون لأى أمر ، مهما كان هذا الامر .. انهم اذ يلجئون اليه فى هذا السبيل .. انما يريدون بذلك أن يوجههم الوجهة السديدة التى تضمن ألا تضار مصلحة البلاد بشىء .

وذهبت اللجنة فعلا الى المرحوم أحمد حسنين وقابلته فى مكتبه .. وناقشته كثيرا .. ولكنه خذلهم .. وأضاع هذه الجهود

التى جمعتهم ، وكتلتهم ، بنصيحة واحدة وجهها اليهم ، ثم تشبث بها تشبثا شديدا ٠٠ هى ألا يقوموا بأى عمل من أى نوع كان لان الظرف - فى نظره - غير مناسب لشىء ٠٠

وعادت اللجنة بهذه النصيحة ٠٠ ولم تكن تعلم ، ولا كان أحد فى البلاد يعلم بما كشفت عنه الوثائق والوقائع بعد ذلك من الاسرار ٠٠

وعندما تكلمت الوثائق والوقائع ، أثبتت ان احمد حسنين رائد فاروق ، ورئيس ديوانه وظهيره ومرشده يوم حادث ٤ فبراير. وقبله ، وبعده ٠٠ والرجل الاول فى القصر المعتدى عليه ٠٠ احمد حسنين هذا ، كان طوال حكم الوفد فى تلك الفترة ، يتصل بالإنجليز ٠٠ لا لمصلحة البلاد ٠٠ ولكن لكسب ثقتهم فيه كحاكم جديد ، يستطيع أن يقضى لهم من المصالح ما كان الوفد يقضيها ٠٠ وان ينفذ لهم سياستهم « الديمقراطية » فى حكم البلاد وتوجيهها ٠

أحمد حسنين كان يريد أن يكون بطل ٤ فبراير الثانية ٠٠ ولكن بغير دبابات ٠٠ !

ومع ذلك ، فلم تكن شكوكنا فى أحمد حسنين قد بدأت فى ذلك الوقت ٠٠ ولم نكن لذلك نجد تحليلا سليما لموقفه ٠٠

وعندما علم الضباط بهذه النصيحة ، هاجوا وماجوا ٠٠ وأوشكوا على الانفجار ٠٠

سباب فى الطريق

وكان لا بد من صمام أمن آخر ٠٠

ولم يكن صمام الامن هذا سوى التنفيس ٠٠ التنفيس بالقول. بالصوت ، بالكلام ٠٠ ما دامت الكتابة ممنوعة ، والأعمال الايجابية ٠٠٠ لا يرضى عنها الرجل الاول فى قصر الملك ! ٠٠

وتم الاتفاق على أن يخوض الضباط معركة من نوع جديد..
معركة لا تجمع فيها ولا تكتل ولا منشورات ، ولا اعتداءات ، معركة ليست بالفردية ، ولا بالجماعية ، وانما هى جماعية الحقيقة فردية المظهر ..

ورأت القاهرة ضباط الجيش ، بملابسهم الرسمية ، يختلطون بالناس فرادى ، فى المقاهى والمجتمعات ، وعربات الأوتوبيس والترام .. وساعات الصلاة .. ويثيرون مسائل الحكم ، ويوجهون السباب علنا ، للانجليز ، والوزارة التى أقامها الانجليز ..

ولم يكن المراد بهذه العملية ، مجرد اثارة الشعور الشعبى ضد الانجليز وضد حكومة النحاس .. ولكن كان الغرض منها اشعار الانجليز والحكومة نفسها ، بأن ضباط الجيش قد فاض بهم ، وانهم قد أصبحوا على استعداد لأى شيء ..

حذاء ... لا قنبلة

وظلت القاهرة تسمع هذا السباب العلنى وترى هذا التحدى السافر من صغار الضباط فترة طويلة من الوقت .. حتى كان حادث ، لم يكتف فيه بطله « الضابط » بكلمات السباب والتجريح ..

كان النحاس ذاهبا لصلاة الجمعة بمسجد الرفاعى ..

وما ان انتهت الصلاة وخرج النحاس ليركب عربته ، الا وتقدم منه ضابط شاب من السواحل هو أبو شبانة وألقى بحذائه على عربة النحاس ..

ويبدو انه لم يستطع أن يسدد قذيفته جيدا على العربة .. فقد أخطأ الحذاء عربة النحاس ، والتقى بعربة عبد الحميد عبد الحق ..

وثارت ثائرة الحكومة ورجالها .. وظن البعض ان الحذاء يخفى قذيفة من نوع آخر أشد خطرا وفتكا .. فارتاعت القلوب ، وهلعت الأفئدة ، وحوقلت الألسنة ، وبسملت الشفاه .. وانتهى الأمر بالقبض على الضابط .. صاحب الحذاء ..

... ومحاكمات !

وفى ثوان معدودة ، كان الفريق حمدى سيف النصر (باشا) وزير الحربية ، قد أبلغ بنبأ العدوان الأثيم .. وفى الدقائق التالية. كان قد توجه الى وزارته ، وجمع هيله وهيلمانه ، وقرر عقد مجلس عسكرى مستعجل لمحاكمة هذا الضابط المقبوض عليه ..

ولأول مرة عقد المجلس العسكرى ، فى الدور الأسفل من وزارة الحربية .. وجيء أمامه بالضابط المتهم .. وشرع فى محاكمته على وجه السرعة ، بينما كان حمدى سيف النصر فى غرفة مكتبه ، يستجوب الشهود بنفسه قبل أن يمثلوا أمام المجلس ، ويلقى اليهم بتفاصيل ما يشهدون به ، ويهددهم بكل تهديد مستطاع !

وليس أمر هذه المحاكمة ، هو ما يهمنا فى هذه الصفحات فقد كان الضباط جميعا فى انتظار محاكمات مثلها ، لكل منهم.. وكانت كل كلمة مما كانوا يقولون علنا فى الطرقات والمجتمعات كافية لادانة قائلها .. وسامعيها ! ..

ولكنها حادثة من الأحداث ، التى وقعت فى تلك الأيام نتيجة لعدم اكتمال الوعى السياسى فينا ..

فحقيقة كنا الى ذلك العام ، نأمل كثيرا فى وطنية الملك ... وكنا نصنع كل هذا لمقاومة الانجليز فى شخص الحكومة التى فرضوها ...

ولكن عاما واحدا لم يكد يمر بنا ، حتى أدركنا اننا كنا على خطأ عظيم ٠٠ وحتى تغيرت فكرتنا تغيرا كاملا ، وأصبح واضحا أمامنا ان كل شخص ممن كنا نعرفهم ، ونعلق الآمال عليهم ، كان يضع مصلحة البلاد تحت كعب حذائه ، وأنهم جميعا كانوا يعملون فى سبيل تقوية نفوذهم ، والوصول الى مقاعد الحكم ، والسيطرة والسلطان ٠٠٠

حتى الملك المطعون فى قصره ، أدركنا من أمره ما لم نكن ندركه ، وما لم نكن نتصور حقيقته ٠٠

وحتى الأحزاب التى لبست أثواب الملائكة ، لم تكن نستطيع أن نتصور مدى القذارة الموغلة فى أبدانها تحت هذه الأثواب البيضاء الناصعة ٠٠

أين الطريق ؟ ٠٠

الكل سواء ٠٠

الكل يعمل لنفسه ٠٠

الكل لا يهتم بمصلحة البلاد فى شىء ٠٠

الكل على استعداد للبيع ٠٠ والتسليم ٠٠

الكل عدو لمصر ٠٠ صديق لأعدائها ٠٠

والظلام كثيف ٠٠

لا أمل فى الملك ٠٠ ولا فى الأحزاب ٠٠

والأمل الوحيد قد يخالج خيالنا فى وجوه جديدة مجهولة ٠٠ وجوه خرافية تصنعها أوهامنا ، وتتمنى أن تلقاها على مسرح الحياة ٠٠

ولكن ·· أين الوجوه ·· وأين مقام هذا الأمل ، فى عالم الحقيقة ··

هذا ما لا بد أن نصل الى جواب عليه ··

ولكن كيف تستطيع هذه الوجوه أن تظهر والظلام كثيف ؟

لا بد اذن أن ينقشع الظلام ··

ولكن ·· كيف ينقشع الظلام ؟

هذا محور التفكير الذى أدى الى تشكيلات كثـيرة عســكرية وشعبية ·· تتناولها هذه الصفحات ··

عزيز المصرى • في معركة الحرية

- حقيقة منشورات مصطفى صدقى ..
- قصة اعترافات حسين توفيق ..
- حيلة القاويش ..
- ضباط يحلفون يمين الاخوان المسلمين ؟
- نصيحة العمر ..

عندما يتكاثف الظلام ، وتتعذر الرؤية ، ويتخبط النـاس فى طـرقات الحياة ، وتتشعب بهم مسالكها ٠٠ يختار الله من عبـاده المخلصين من يتيح لهم البصيرة التى تغنى عن البصر ، فاذا هم يتوقفون عنـــد العثرة ، لأنهـم يتوقعونهـا ، وان لم ترها منهـم الأبصار ٠٠

وقد كان الله معنـــا فى طريقنا الطـويل الى هذه الثورة فأودعنا البصـيرة كلما ادلهمت الظلمـة ٠٠ وجنب خطواتنا أكثر العثرات ٠٠

وفى طريقنا هذا الطويل ، لمعت أمامنا أضواء ، وتبعت أقدامنا أقدام ٠٠ ولكن خطواتنـا ظلت محتفظة باتزانهـا وشـخصيتها ، واستقلال توجيهها واستطاعت أن تؤكد للجميع ، أنها تستطيع أن تلتقى بخطـوات الآخرين ، ولكنها لا تسـتطيع أن ترتبط بهـا ، لا متبوعة ولا تابعة ، لأنها خطوات لا تمضى الا بارادة أصـحابها ، وأصحابها لم تكن تعوزهم البصيرة ، مهما افتقـــدوا الضوء فى الطريق ٠٠

منذ عام ١٩٤٢ ٠٠ وعقب حادث ٤ فبراير ببضعة أشـــهر تقررت هذه الحقيقة ، حقيقة استقلال خطواتنا داخل الجيش عن كل مؤثر خارجى وعن كل قيادة خارجية ٠

وكان لهذا القرار ، الذى أصبح تقليدا راسخا لنا بعد ذلك ، سبب مباشر وظروف ٠

ففى يوم من الأيام ، وجه المرحوم الشهيد « وجيه خليل » الى عبد الحكيم عامر وكان يعرفه ويعرف حماسه واتجاه تفكيره ويعرف أنه واحد من جماعة الضباط الأحرار الذين يتشاورون دائما فيما ينبغى عمله عقب ذلك الحادث المشئوم ٠٠

ولا شك أن بعضنا كان يرى العنف ويفكر فى القيام بأعمال ارهابية واسعة النطاق ٠٠٠ فالارهاب دائما هو أول الحلول التى تتبادر الشباب المتحمس فى أيام المحن القاسية التى تجتاح الوطن ٠٠٠

ولم تكن هذه الفكرة تجد معارضة كبيرة أو محسوسة من أكثرنا ٠٠ بل لقد كان بعضنا يدبر الأمر للتنفيذ وكأنها خطة مرسومة لا اختلاف عليها ٠

ولم تكن زيارة الشهيد « وجيه خليل » لعبد الحكيم عامر الا صدى لوجود هذا الاتجاه بيننا ٠٠ فقد كان مقصودا بهذه الزيارة تدبير اغتيالات متعاقبة واسعة النطاق تشل حركة الانجليز وأعوانهم فى الأيام العصيبة من أيام الحرب ٠

وانتهت هذه الزيارة والتقى عبد الحكيم بجمال فأنبأه ينبئها ٠٠

لا آلات ولا أدوات

وكعادة جمال أنصت طويلا الى هذه القصة ٠٠ والأسلوب الذى سيتبع فى التنفيذ ، وتمويل الفدائيين ورعاية أسر من يتعرض منهم لسوء ، والاستعدادات الموجودة لهذه المعركة التى « سوف » تدور فى الظلام ٠٠٠

وشيء واحد لم يستطع جمال ان يستخلصه من حديث عبد الحكيم ..

من الذى سيدير هذه المعركة .. وما هى أهدافه منها ..

ولم يكن الشهيد وجيه خليل قد قام بهذا الاتصال باسمه الخاص ولكن باسم جماعة تقف من خلفه هى التى بعثته رسولا إلى جمال ..

وقال جمال فى هدوء :

ـ لا ...

ثم أردف :

قد نرى القيام بحملة ارهابية واغتيالات ، ولكننا عندما نصنع ذلك يجب أن نصنعه بأنفسنا ونتحمل وحدنا كل مسئولياته ونتائجه ... فالخط الذى يجب أن نسير عليه كضباط فى الجيش هو ألا نكون آلات ولا أدوات فى يد أحد من الناس ولا جماعة من الجماعات مهما كانت وحدة أهدافنا ومهما كانت درجة اخلاصهم..

قال هذا جمال فى عام ١٩٤٢ .. وانتهت بهذا قصة « وجيه خليل » .. قبل أن تبدأ .. !

ولكن قصة أخرى لوجيه خليل قد بدأت بعد ذلك .. قصة عظيمة ، مجيدة وهب فيها حياته كأشجع ضابط فى أقدس الميادين.

فقد انضم وجيه بعد ذلك الى الأحرار وأصبح عنصرا من أهم العناصر فى تشكيلاتهم .. فلما كانت حرب فلسطين كان من أسبق الضباط اليها .

وهناك فى الميدان جرح زميل له وكان هو فى مصفحته فهبط

ليحمل زميله الجريح ٠٠ هبط تحت نيران اليهود ليخر صريعـا شهيدا كأشجع ما يكون ضابط وكأنبل ما يكون انسان ٠

يمين الاخلاص للدعوة

وفى عامى ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ ٠٠ فى الفترة التى تتناولها هـذه المجموعة من الصفحات ، تكررت الصلات بين الضباط الأحرار وبين تشكيلات كثيرة عسكرية ، ومدنية ٠٠ ولكن هذا القرار الذى صدر فى عام ١٩٤٢ ٠ ظل دستورا لهذه المجموعة من الضباط ٠

فى هذه الفترة نشطت جماعة الاخوان المسلمين نشاطا كبـيرا فى اجتذاب عدد من ضباط الجيش اليها ٠٠ ونشطت نشاطا كبيرا فى الاتصال بجمال عبد الناصر ، ومجموعة أصدقائه ٠٠

وليس سرا أن عـــددا من الضــباط كانوا قد ألفـوا دعوة الاخـوان ، وأحبوها ٠٠ ورأوا فيها أملا ومخرجا لمصر من محنتها٠

وعندما تلتقى ببعضهم اليوم قد يقص عليك قصة ذلك اليوم الذى تم فيه « اختياره » بواسطة الجماعة ، ثم طلب منه أن يذهب الى مكان ما ٠٠ لحلف اليمين ٠٠

كانوا اذ ذاك يذهبون ليلا ، الى حى الصليبة فاذا ما انطوى الحى عليهم ، قادهم رسول الاخوان فى أزقة مظلمة متعـرجة ٠٠ حتى يصلوا الى بيت عتيق ٠٠ فيصعدوا درجا يؤدى بهم الى غرفة مظلمة ، لا أحد فيها ، ولا تفتح نوافذها ٠٠

ويجلس الضـــابط الى منضـــدة ، وضع عليهـا مصحف ، ومسدس ٠٠ ثم يدخل الى الغرفة فى الظلام رجل لا يراه الجالس ، ويلقنه يمين الاخلاص للدعوة ، فيؤدى هذا القسم ويداه موضوعتان على المصحف والمسدس ٠

وتنتهى هذه العملية فيخرج الرجل من الغرفة أولا . . ثم يخرج الضابط ليجد رسول الاخوان الذى جاء به فى انتظاره يقوده مثلما جاء به الى خارج الحى ..

التعاون .. لا الانضمام

وكان الصلة بين الاخوان ، وبين ضباط الجيش ، ضابط هو الصاغ عبد المنعم عبد الرءوف .. وكان عبد المنعم يدعو ضباط الجيش الى الانضمام لصفوف الاخوان ، ويعرفهم دائما بالصاغ « محمود لبيب » ليتولى هذا قيادتهم فى طريق الدعوة .

وكان الضباط يرحبون بهذا التعاون .. انهم كانوا يريدون متنفسا ينفسون به عن آلامهم الحبيسة ، كقوة وطنية مقيدة بأغلال الحياة العسكرية ..

وكانت كثرة الضباط ترى أن يقوم التعاون دون الانضمام .. فمن سمات الرجل العسكرى ألا يخضع لأوامر تأتيه عن غير الطريق العسكرى الذى يندرج فيه ..

ولعل أخطاء كثيرة قد وقعت من جماعة الاخوان فى صلتهم بالضباط .. فقد كان الضباط ينضمون الى هذه الجماعة ، أو يتعاونون معها ، وفى يقينهم ان دورهم فى هذا التعاون هو دور التنظيم والتدريب لشباب الاخوان المتحمس الذى يتحرق شوقا للتدريب العسكرى وحمل السلاح فى انتظار الفرصة التى تأتيه للعمل ..

ولكن تنظيمات الاخوان ، كانت لا تفرق بين الضباط وغيرهم .. حتى لقد كانوا يحددون للضباط مواعيد التدريب .. فاذا أقبلوا ، وجدوا واحدا من المدنيين ، يعطيهم دروسا فى كيفية استعمال المسدسات .. !

وكانت هذه الاساليب تزعج الضباط ازعاجا شديدا ٠ ٠
يقبلون على الاخوان ، وعلى دعوتهم ، كضباط مدربين ، لا كجه
فى حاجة الى التدريب ٠ ٠ وهم يشعرون بمرارة وأسى يملآن ق
عندما يجدون الجزاء الوحيد لهم على هذا الاقبال والرضى ، هـ
يعلمهم مدني ، كيف يستعملون السلاح !

فوق ذلك ، فلم تكن خطة الاخوان واضحة لهم ٠٠ ولم يك
يصارحهم بشيء ٠٠

وكانوا يتساءلون : متى نعمل ؟ وما هو نوع العمـــل
نعـد أنفسنا ونعـد شباب الاخوان له ؟ فلا يجابون على سؤ ا

وكانوا يسألون : فما هو المطلوب منا ؟٠٠

فيقال لهم : ان تثقوا فى قيادة الدعوة٠٠ وان تعملوا ما
منكم فى حينه فحسب ٠٠٠

ولم تكن هذه الفترة قصيرة ٠٠ فقـد امتدت أكثر من
٠٠ وحدثت فى خلالها أحداث ظن هؤلاء الضباط أن كل ـ
منها ، سـيكون الناقوس ، الذى تصدر على أثره أوامر ا
المطلوب ٠٠

ولكن هذه الأحداث مرت ، بكل رنين النواقيس ٠٠ و ا
فى جمود ٠٠ والضباط المنضمون فى حيرة من أمرهم ٠٠ لا يـ
ماذا يصنعون ٠٠

نصيحة العمر

وكضـباط لم يكونوا يستطيعون أن يأخذوا أنفسـهم
المأخذ الشديد ٠٠ فكانوا يتكلمون فيما يضيقون به من ا

وكانوا يلجأون الى أصحاب الرأى يسألونهم العون والتوجيه ..

وكان ممن ذهبت اليهم جماعة الضباط المنضمين للاخوان الفريق عزيز المصرى ..

وللفريق عزيز المصرى ، طبيعته النزاعة الى التحرر من كل قيد .. وشخصيته المستقلة دائما وطريقته فى تربية ضباطه وأبنائه على الاستقلال بالرأى وقوة الشخصية ، والعمل بالارادة .

ويقول لك هؤلاء الذين ذهبوا الى الفريق عزيز المصرى ، انه قال لهم « كونوا اخوانا اذا شئتم .. ولكن لا تقفوا عند هذا الحد » ..

ولما سألوه عما يصنعون أجابهم :

ـ اقرءوا .. اقرءوا كل كتاب .. اقرءوا فى السياسة ومذاهبها .. والاقتصاد وفنونه ، والاجتماع وأبوابه .. اقرءوا وأضيئوا فى رءوسكم هذا المصباح الذى وضعه الله فيها لكى يضاء لا لكى يهمل ويهال عليه التراب .

اقرءوا .. ثم اضربوا فى الأرض .. واعرفوا الناس ، وجربوا بأنفسكم كل شىء .. ولا تتقيدوا بدعوة ، ولا بزعيم.. ولا تربطوا أنفسكم برأى ، قد ترون غيره غدا اذا ما استنارت بالعلم رءوسكم .

ينضمون للأحرار

هذه كانت نصيحة عزيز المصرى للضباط الذين ذهبوا اليه فى تلك الايام ..

وقد ظل هؤلاء الضباط على صلتهم بدعوة الاخوان ، ولكنهم جميعا أخذوا هذه النصيحة مأخذ الجد .. وبدأوا يقرأون .

ومن هؤلاء عدد من الضباط الذين يفخر بهم جيش مصر ٠٠ لأنهم استطاعوا أن يجمعوا بين روحانية الدين ، وبين ضوء العلم ، وحقائق الحياة المادية التى خلقنا لكى نعيش فيها ٠٠

وكل هؤلاء قد انضموا الى الاحرار بمجرد تكوينهم على النحو الذى سنفصله فى هذه الصفحات ٠٠

وفى خضم تلك الأيام العصيبة من أعوام ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ . ١٩٤٦ ٠٠ حدثت أحداث أخرى من تشكيلات أخرى ٠٠ بعضها مدنى ٠٠ وبعضها عسكرى ٠٠

منشورات مصطفى صدقى

وكان أول هذه الأحداث ، هو حادث التدبير للاعتداء على الفريق ابراهيم عطا الله ٠٠ الذى اتهم فيه اليوزباشى مصطفى كمال صدقى وزملاؤه ٠٠

وكان مصطفى كمال صدقى قد كون مجموعة من العسكريين، أكثرهم من ضباط الصف ٠٠ تهدف الى تطهير الجيش من رؤسائه الجهلاء ٠٠ وكان اسم الفريق ابراهيم عطا الله فى رأس القائمة التى فكر مصطفى كمال صدقى وجماعته فى التخلص منهم ٠٠

وكان مصطفى كمال صدقى ضابطا فى المخابرات فى الجيش فاختار فى مجموعته عددا من صولات الادارة ٠٠ وأخذ يعد المنشورات ويطبعها داخل الادارة ، وبآلاتها ، ظنا منه ان هذه الوسيلة هى أسلم الوسائل لكى لا ينكشف أمر مجموعته ٠٠

ولكن تقديره لم يكن سليما ٠٠ فقد ضبطت المنشورات ٠٠ وضبطت قائمة فى داخل ادارة المخابرات تحوى أسماء ثلاثة وعشرين ضابطا ٠٠ وصولا ٠٠

وألقى القبض على الجميــع ، وتقــرر حبسيهم وتقديمهم الى المحاكمة ..

حيلة من القاويش

وكان الحادث الثانى الذى أحدث دويا فى البلاد هــو حادث اغتيـــال أمين عثمان .. وقد قام بهــذا الحادث تشــكيل فدائى خارج الجيش .. وكان متفقا عند تقريره ، ألا يبوح القاتل اذا قبض عليه بأى شيء أو بأى اسم من أسماء اخوانه ..

وكان حسين توفيق ، هو الذى تقــدم فى اللحظة الأخيرة وأصر على أن يوكل اليه أمر التنفيذ .. وعندما قبض عليه . ظل مصرا على عدم الاعتراف ، حتى استطاع كامل القاويش وكيل النيابة الذى تولى التحقيق أن يلعب بأعصابه ، بقصــة مختلقــة ، ان دلت على شيء فعلى ذكاء القاويش وادراكه الصحيح لنفسيات من يقــوم بالتحقيق معهم ...

فقد أدرك القاويش أن حسين توفيق قد قام بهــذا العمل . كعمل من أعمال البطولة يذكره له التاريخ .. فأراد أن يطعنه فى حلمه العزيز طعنة دامية ، تجعله ينسى عهده للجماعة ، ويبوح بكل شيء ..

وذهب القاويش الى احــدى الصحف الكبيرة ، وأملى عليهــا خبرا مؤداه ان التحقيق قد أسفر عن وقوع الحادث لأسباب نسائية .. وجعل الخبر تلميحا الى قيام صلة بين أمين عثمان وبين سيدة عزيزة جدا على القاتل حسين توفيق .

وفى الصباح دعا القاويش القاتل الى مكتبه .. وأطلعــه على هذا الخبر ..

وجن جنون حسين توفيق ..

لقد قتل أمين عثمان ، وفى يقينه أنه يعمل عملا من أعمال البطولة الوطنية .. فكيف يقبل أن تذهب كل هذه البطولة هباء .. وأن تلوث أيضا سمعة أسرته ، وسمعة أعز النساء عليه ..

وانفجر يعترف .. يعترف بالجماعة التى دبرت هذا الحادث وأسماء أعضائها ، وأهدافهم ، ومكان اجتماعهم ، وتفاصيل ما يملكون من أسلحة .. اعترف بكل شىء ..

وكنت بين من شملتهم اعترافات حسين توفيق ، فألقى القبض على وشاركته السجن واحدا وثلاثين شهرا ، حتى برأنى القضاء ..

سياسة جمال

وهكذا ...

كانت هذه الفترة فترة نشاط كثير .. نشاط من الاخوان كجماعة منظمة .. ونشاط فى داخل الجيش أو ألوان من النشاط فى داخل الجيش ، واتصالات بالفريق عزيز المصرى .. وتدبيرات عنيفة واغتيالات ..

وكان لجمال عبد الناصر رأى فى كل هذا ..

فى يوم طلب منه عبد المنعم عبد الرءوف أن تقوم بينه هو وجماعته صلة مع الاخوان .. رحب بقيام هذه الصلة .. على أن تظل لجماعته شخصيتها المستقلة ، وتفكيرها الخاص ..

ويوم وقع حادث الفريق ابراهيم عطا الله قرر معاونة جميع

المقبوض عليهم من الضباط وضباط الصف فقام هو ومجموعة أصدقائه بجمع الاشتراكات ودفع مرتبات المقبوض عليهم جميعا طيلة فترة ايقافهم ..

وحدث أن علمت ادارة الجيش بهذا الصنيع فأصدرت أمرها بمنع الاتصال بهؤلاء الضباط ، ومنع القيام بأية معاونة لهم .. ولكن (جمال) وأصدقاءه رفضوا هذه الأوامر ، وتحدوها علنا وواصلوا العمل لمعاونة المعتقلين ..

وقد ظنت هذه الجماعة يوم خرجت من الاعتقال ، ان هذا الموقف من جمال معناه رضاؤه عن العمل معها .. ولكن (جمال) رفض ذلك عندما عرض عليه .. وقررت المجموعة عدم التعاون مع هذه الجماعة ، لأنها تضم أفرادا أكثرهم يتصف بالعبث وعدم المبالاة وحب الشهرة ، وعدم التقدير لحقيقة العمل ، الذى يريدون عمله ..

أما لماذا قام بمعاونتهم .. فقد قام بذلك ، لأنه رأى اشعار الرؤساء فى الجيش ، بأن هذا الرأى الذى رأته فيهم جماعة مصطفى صدقى .. يمكن جدا أن يكون رأى الجميع !

ويوم قام التشكيل الفدائى باغتيال أمين عثمان ، ظلت المجموعة على صلة بى ، حتى أعدت خطة لتهريبى من السجن ..

وهكذا كانت تقاليد المجموعة قد بدأت تتخذ صورا واضحة فى مواقف متعددة ..

وكان أهم هذه التقاليد ، هو أن تظل الجماعة قائمة بنفسها ، عاملة بارادتها ، محددة لخطواتها ..

وفى كلمتين اثنتين ..

ألا تكون آلة ، ولا أداة ، فى أى يد .

أما وسائلها .. فقد تطورت ..

تطـورت من صـــداقة تجمع الضباط ، الى تشكيل له نظام وأدوات ..

وتطورت من السرية .. الى العلنية الى السرية مرة أخرى .. وكان لكل مرحلة من هذه المراحل ظروفها وأسبابها وغايتها الوقتية المحددة أيضا ..

وظلت الجماعة تسير .. خطوة خطوة .. نحو اعداد كبير ..

قواعد حركة الأحرار

- العمل الجماعي وحده هو الطريق الى النجاح
- النقراشي يهاجم الانجليز ويضرب الشعب !
- أهداف ... وهدف ...
- الاخوان المسلمون يهادنون صدقي ..
- لابد من قيادة ..
- مصابيح فى الطريق ...

ان السر الحقيقى فى نجاح هذه الثورة ، راجع الى الروح التى سادت فى التمهيد لها ..

فقد يجتمع الناس حول مبادىء ، حول نظريات يقرأونهـا ، أو أفكار يبشر بها دعاتها وقد يبلغ بهم الاقتناع بهـذه المبـادىء والنظريات ، والأفكار غايته ، ويبلغ بهم التعصب لها ذروته ، وما بعد الذروة أيضا ان صح هذا القول ..

ولكن هذه المبادىء ، والنظريات ، قد تتعـرض للجـدل . فتتعرض الجماعة للانقسام .. وقد يتفاقم الجدل ، فينحرف عن الآراء الى أصحابها ، وتبرز الأشخاص ، وتختفى الآراء .. وتتلاعب أهواء النفوس .. ثم تنهار الجماعة وما اجتمعت عليه .. !

حدث هذا كثيرا .. حدث فى مصر ، وحدث فى غير مصر .. وفقدت الشعوب فرصا كثيرة للتحرر والتطور ، لأن مجـادلات قامت بين قادتها ، أورثتهم التفكك والتحزب ، وفتحت الثغرات بينهم لمطامع النفوس وأهوائها ..

ولست أكتب هذا غضا من قيمة المبادىء والنظـريات فمـا استحق الحيـاة من لا مبـدأ له يعيش من أجله .. ولكننى فقط أرى أن المبادىء وحدها لا تكفى ، لأن الرباط الذى يربط العقول ،

لا يستطيع دائما أن يربط القلوب ، وأن يذيب الهوى ، ويقتل الأطماع ...

ولذلك أرجع الفضل فى نجاح هذه الثورة ، وعدم انكشاف أمر مدبريها والممهدين لها .. الى شيء أهم كثيرا من المبادىء التى قامت عليها ، وقامت من أجلها .. الى الصداقة العزيزة الوثيقة ، التى ربطت بين كل من شارك فيها ، صغيرا كان أم كبيرا ..

وهل كان يمكن ، لولا هذه الصداقة أن يزيد عدد الضباط الأحرار قبيل الثورة على الألف ضابط ، فلا يوجد بينهم خائن ، ولا وجل ولا ثرثار ؟! ..

وهل كان يمكن ، لولا هذه الصداقة ، أن تقوم الثورة فعلا وتنجح ، فلا يعرف من الاحرار الا هذا العدد الضئيل ، الذى ألزمته ظروف الثورة أن يظهر بوجهه على مسرح الأحداث ، وأن يتحمل بنفسه مسئوليات العمل الكبير ؟! ..

انها الصداقة فقط . الصداقة . التى استطاعت أن تحوط مبادىء الثورة بسياجها المتين ، وأن تحمى النفوس من نزواتها .. لأنها احتلت من كل قلب منزل الأطماع ..

وبهذا الدستور .. دستور الصداقة .. بدأ التكوين الفعلى للأحرار فى عام ١٩٤٤ ..

اجتماعات

كانوا قد أصبحوا جماعة من الأصدقاء .. جماعة صغيرة عرف بعضهم بعضا فى ظروف كثيرة مختلفة .. وقربت بينهم صداقة أثيرة واعية ..

ومنهم من عرفه الناس في مجلس الثورة بعد ذلك .. ومنهم من لا يزال يقوم بنصيبه من العمل في وحدته أو سلاحه أو الادارة التى ينتمى اليها ..

كان منهم مثلا ، جمال عبد الناصر ..

وكان منهم طلعت خيرى وعبد المجيد فؤاد من سلاح المدفعية .. وكان منهم عثمان نورى من ضباط المخابرات وكان منهم كمال الدين حسين .. وكان منهم حسين حمودة .. وعبد المنعم عبد الرؤوف ..

وكان معهم آخرون أيضا .. فلست أذكر الأسماء هنا على سبيل الحصر .. فقد كان معهم مثلا الصاغ خالد محيى الدين ، وكانوا يجتمعون أحيانا فى بيته بشارع الخليج بالحلمية .. كما كانوا يجتمعون في بيت جمال الذى كان يقع عند تقاطع شارع الملك مع شارع الملكة نازلى .. وأحيانا كانوا يجتمعون فى بيت عثمان نورى بشارع جسر السويس بضاحية مصر الجديدة .. وأحيانا فى بيت حسين حمودة بمنشية البكرى .

رأى عام

أصدقاء متفاهمون .. يريدون أن يعملوا شيئا ..

ويستعرض هؤلاء الأصدقاء حالة البلاد .. فيخرجون بعدد من الحقائق التى يجب أن يحسب لكل منها حسابها ..

يستعرضون حالة الجيش ، فاذا هى حالة أليمة غير مشجعة .. فلم يكن لضباط الجيش اذ ذاك رأى عام .. ولو فرض ان كل ضابط صغير كان اذ ذاك ساخطا فى نفسه .. فان هذا السخط

لا يمكن أن يؤدى الى نتيجة عملية ، مالم يصبح سخطا عاما ، محدد الأسباب ، دافعا الى التكتل والعمل ٠

فالمشكلة الأولى اذن ، هى مشكلة خلق رأى عام واع بين ضباط الجيش ، حتى يستطيع هذا الرأى العام أن يحرك الجيش كله نحو هدف واحد ، بصورة منظمة منسقة تؤتى ثمارها ٠٠

ولم يكن يغيب عن ذهن هذه المجموعة ، ما سبق من أحداث خلال الفترة الاولى من أيام الحرب ٠٠ فقد كنا اذ ذاك نعمل ٠٠ ولكننا كنا نعمل اعتمادا على أنفسنا ، لا على رأى عام موحد بين الضباط ٠٠ ولذلك كانت أعمالنا فردية ، أو شبه فردية ٠٠ وقد تأكد لهذه المجموعة ألا جدوى هناك من أى عمل فردى ٠ وان العمل يجب أن يكون عملا جماعيا كبيرا يأتى نتيجة لرأى عام يجمع الضباط ٠٠

والمشكلة الثانية التى كانت هذه الجماعة تفكر فيها ٠٠ هى مشكلة انعزال الجيش عن الشعب ، وتسخيره دائما ضد كل حركة شعبية تقوم فى البلاد ٠٠

فقد كان الشعب فى تلك الفترة يتحمل العبء كله ٠٠ عبء الثورة بعد الثورة ٠٠ عبء التضحيات الجسيمة والاستشهاد برصاص السلطات المصرية والانجليزية أيضا ٠٠

وكان الجيش ٠٠ الجيش المصرى ٠٠ هو القوة الخارقة التى يحسب الشعب حسابها ،كلما فكر فى الثورة من أجل تحقيق أهدافه ٠٠

كانت هذه هى صورة الجيش فى نظر الشعب ٠٠ أو كان هذا هو الوضع المتعارف عليه ٠٠ ولم يحدث أبدا ان حاول الجيش

ازالة هذه الفرقة بينه وبين الشعب ، لا لان ضباط الجيش كانوا يكرهون ذلك ، ولكن لأنهم كانوا منصرفين عنه انصرافا غير واع .. أى انهم كانوا مستسلمين للأمر الواقع المتعارف عليه ..

وكانت هذه المجموعة ترى أن الشعب الذى تحمل حتى اليوم كل التبعات والتضحيات ينبغى أن يطمئن الى جانب جيشه .. وأن يدرك أن هذا الجيش معه لا عليه .. وعلى الأقل ، أن يدرك ان هذا الجيش ، ان لم يستطع أن يكون معه بحكم ظروفه وواقعه ، فلن يكون عليه بحكم مصريته ..

أهداف ... وهدف

واستقرت المجموعة على خطة طويلة المدى ..

خطة لها أهداف صغيرة يتبع بعضها بعضا .. ولها هدف كبير وغاية ، يجب أن تصل اليها مهما بعدت الشقة وطال المدى .

وأصبح دور هذه المجموعة منذ تلك الأيام ، هو السير خطوة خطوة حسب برنامج مرسوم على الوجه التالى :

* خلق رأى عام قوى بين ضباط الجيش

* اشعار الضباط ان عليهم مسئولية كمواطنين ، لا تقل عن مسئولية أفراد الشعب العاديين ..

* التدرج فى بث الوعى السياسى بين الضباط حتى يصبح من الممكن توجيههم الى أن يكون للجيش نفسه دور فى عملية انقاذ البلاد ، أو ان يكون على الأقل محايدا بين الشعب والسلطات الغاصبة الحاكمة ، بحيث لا يشترك فى تسديد الضربات الى الشعب اذا تقدم أحد لحمل تبعة الانقاذ ..

أما الهدف البعيد من كل هذا فهو الوصول بأى صورة من الصور الى تغيير النظام الملكى القائم فى البلاد ..

لا سرية ..

وبدأت المجموعة بعد ذلك تسير الى هذه الأهداف وفق نظام معين أيضا تم الاتفاق عليه ..

فقد تم الاتفاق مثلا على نبذ السرية نبذا تاما فى هذه المرحلة من مراحل الدعوة ..

فان السرية توحى بالتآمر ، وتنذر بالخطورة ولا تستطيع ان تجمع الانصار بسهولة ، لان عامل الخوف والحذر قد يتغلب فى آخر الأمر ..

فلتكن العلنية اذن هى الوسيلة .. ففى جوها يمكن تكوين الصداقات وتعزيزها ، واختيار الأشخاص الذين يبدو اخلاصهم وقدرتهم على العمل دون اثارة لغط أو شكوك فى صفوف الضباط أو فى الأوساط الحاكمة ..

وكانت هذه هى الخطوة الاولى .. فقد أصبحت هذه المجموعة بين جماعات الأصدقاء فى الجيش تثير المناقشات العلنية فى جميع مشاكل الدولة السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. الداخلية والخارجية ..

وبدأت هذه المناقشات العلنية تستهوى الضباط الشبان المتحمسين .. وتملأ حياتهم بشىء جديد يعطيها قيمة أكثر . فقد كانت حياة ضابط الجيش حتى ذلك الوقت حياة خاوية الا من النظريات العسكرية التى يدرسها والتدريبات التى يقوم بها ، ومشاكله الفردية الجدية أو العابثة على حد سواء ..

وانتشرت هذه الجماعات المفكرة .. أو انتشرت هذه المناقشات العلنية بين الضباط بصورة مبشرة ناجحة ..

لا بد من قيادة

وبدأت بواكير النجاح تظهر سريعا ..

فقد بدأت تسمع نفس المناقشات هنا ، وهناك .. وبدأت ترى الضباط يلتقون ، فاذا هم متفقون فى السخط ، متفقون فى الشعور بحاجات الوطن ، متفقون فى التفكير فيما يجب عمله من أجل انقاذه ..

ومعنى هذا ان الرأى العام قد بدأ يتكون .. وان عقبة كبيرة من عقبات الطريق ، قد أخذت تزول ..

وكان لابد بعد ذلك من التوجيه .. فقد كان واضحا ان هذا السخط عندما ينمو ، يمكن أن يكون خطرا كبيرا ، اذا لم يصحبه توجيه سديد ..

فقد تقع أحداث كالتى كانت تقع بين شهر وآخر وبين يوم وآخر من تلك الأيام العصيبة السوداء..واذا بالساخطين ينفجرون فرادى .. أو ينفجرون دون وعى ، فيؤخرون الحركة بدلا من أن يساعدوا على تقدمها ..

وقد تستطيع بعض الهيئات أو الجماعات ، اذ تشعر بهذه الروح الجديدة تدب بين ضباط الجيش ، أن تحاول ضمهم اليها بصورة أو بأخرى .. وعندئذ تفلت من الجيش قيادته ، الى أيد قد لا تحسن التوجيه ..

وعادت المجموعة تتفق على أساسين آخرين تعتبر المحافظة عليهما عاملا جوهريا من عوامل النجاح :

* العمل على ألا يتأثر الضباط بالأحداث الجارية أى تأثر يدفعهم فرادى أو جماعات على القيام بأى عمل دون وعى أساسى ، ودون خطة حكيمة مرسومة ..

* والعمل على أن يحتفظ ضباط الجيش باستقلال تفكيرهم، فلا يرتبطون كأفراد ، أو كجماعات بأية هيئة أو حزب خارج نطاق الجيش لأن الجيش عنصر خطير يجب أن يظل توجيهه فى الأيدى القادرة على تقدير خطره ، فلا يكون أداة فى يد أحد أو جماعة من الناس ..

تجمعات ...

وكان لا بد لضمان هذين العنصرين من نشاط منظم تسيطر على توجيهه المجموعة بنفسها ..

ويوما بعد يوم ، وجدت حلقتان كبيرتان تجتمعان علنا ، وفى نطاق واسع ، وعلى أساس الصداقة أيضا ..

وعن طريق هاتين الحركتين ، بثت الأفكار ، وحذر الضباط من التأثر بالحوادث تأثرا فرديا ومن الارتباط بأية جماعة أو فرد خارج نطاق الجيش .

وبدأت هاتان الفكرتان ترسخان فى نفوس الضباط .. وأصبحتا جزءا لا يتجزأ من الرأى العام المنتشر الموحد بين ضباط مختلف الاسلحة .

واطمأنت المجموعة الى أن الجيش لن يقوم بأى عمل أخرق أو أحمق .. وأن الضباط سيظلون بمنأى عن التأثر الفردى ، وأنهم لن يعملوا الا جبهة واحدة منظمة ..

وبطبيعة الحال لم تكن سيطرة المجموعة قد شملت جميع ضباط الجيش ، ولا نسبة كبيرة منهم ..

فقد كانت فى الجيش العناصر السلبية التى لا تضر ولا تفيد، والتى لا يمكن الاعتماد عليها فى أى شىء ..

وكانت فى الجيش عناصر أخرى مستقلة عن هذا التكوين ، كجماعة مصطفى صدقى التى رفضت جماعتنا التعاون معها ..

وكانت فى الجيش عناصر انتهازية ، لم يكن من الصعب تحديدها ، واتقاء خطرها ..

وفى ظلال هذه الاجتماعات العلنية ، والمناقشات المخلصة ، والوعى الذى بدأ ينمو ، تكونت الصداقة القوية بين الضباط . التى كانت سياج الحركة منذ ذلك التاريخ .. وظلت سياجها حتى اليوم ..

ومثلما كان من المستحيل الوصول الى السيطرة الكاملة على جميع ضباط الجيش وعناصره ، فقد كان من المستحيل منع الضباط من التأثر بالأحداث الجارية فى البلاد .. ولكن المبدأ الذى اتفقت المجموعة عليه ، منذ البدء .. وهو ألا يؤدى هذا التأثر الى أى عمل فردى ، قد ظل سائدا طول الوقت .. وكان تأثر الضباط بالأحداث ، عاملا مساعدا لاكتمال صفوفهم حول الفكرة والهدف البعيد ، ولتحديد دورهم تحديدا واضحا وضوح الشمس ..

الاخوان وصدقى

ففى فبراير سنة ١٩٤٦ ـ مثلا ـ وقعت حوادث الجامعة المشهورة ، فأثارت حماسة الضباط للحركة الشعبية ، وحقدهم على السلطة الحاكمة والمستعمرين ..

وفي خلال الأيام التى تلت هذه الحركة ، وقعت المهادنة بين صدقى وجماعة الاخوان المسلمين ٠٠ فأيدت هذه المهادنة دعـوتنا الى عدم الارتبـاط بأية جماعة خارج نطـاق الجيش ، اذ وضح فى أثنائها التناقض بين ضباط الجيش الذين كانوا ـ كأفراد ـ على صلة بالاخوان المسلمين ، وبين جماعة الاخوان كجماعة لها سياستها التى أوحت لها فى ظرف من الظروف ان تهادن حكومة صدقى ضد حركة الشعب ٠٠.

٠٠٠ ثم الوفد

وعندما ذهب النقراشي الى مجلس الامن يعرض قضية مصر ٠٠ قوبلت الطريقة التى هاجم بها الانجليز هناك باعجاب شديد فى صفوف الضباط جميعا ٠٠ وفى الوقت نفسه ، كشف النحاس عن وجه غير وطنى عندما أرسل برقيته المشهورة الى سكرتير الأمم المتحدة يعلن فيها ان النقراشى لا يمثل شعب مصر ٠٠ فى وقت كان النقراشى فيه يهاجم الانجليز ٠

ولعل هذين المـوقفين قد أحدثا مقـارنات كثيرة بين موقف النحاس وموقف النقراشى ، فقد كان شعور الاعجاب بالنقراشى فى موقفه ، يقابله شعور الاشمئزاز من النحاس فى موقفه ٠

ولكن عودة النقراشى من مجلس الامن ، وأعماله التى تبعت ذلك لقمع الحركة الشعبية بالحديد والنار ، قد بعث فى الضباط الشعور باليـأس من كل الرجال ٠٠ وسـوت بينه وبين غيره من الذين تشدقوا بالوطنية وخانوا قضية الوطن ٠٠

مصابيح فى الطريق

هذه الأحداث بالذات

حادث الكبارى ، وحادث المهادنة بين الاخوان وبين صـدقى

وحادث برقيـة النحاس ، وحادث قمع الحـركة الشـعبية على يد النقراشى ٠٠ قد كان يمكن أن تؤدى جميعا ، أو ان يؤدى أى حادث منها الى انفجار فردى أو جماعى من ضباط الجيش على غير وعى ، أو تنظيم سليم ٠٠

ولكن المبدأ الذى كان قد ساد الضباط وشـاع بينهم ، جعل من هذه الأحداث مجرد مصابيح تضىء لهم طريق العمل القادم ، وتزيد من وعيهم الحقيقى بما يجرى فى البلاد ، وبالدور الذى يجب أن يقوموا به ٠٠

ومع الأيام التى تمر ٠٠ بدأت المرحلة الثانية ، مرحلة التنظيم والتكوين ٠٠ بعد أن اطمأنت المجموعة الى المرحلة الأولى ٠٠ مرحلة اشاعة الوعى ، وتكوين الصداقات ٠٠

تشكيل سرى داخل الجيش

- كيف أبيح للضباط التطوع فى حرب فلسطين ؟
- حرب فلسطين تزيد سخط الأحرار ..
- تزوير قسائم العهدة .. والحرب بالبنادق فقط !
- الاخوان والمفتى والجامعة العربية ..
- خطابات وحماس ..
- مساعدة فى الطريق ..

كانت الروح التى سادت الجيش قد بدأت تبشر بنجاح عظيم خلال الاحداث الكثيرة المتعاقبة فى عامى ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ ٠

فقد ازدادت جماعات الســاخطين بصــورة ملحوظة وانتفت السلبية انتفــاء يكاد يكون كاملا ٠٠ وأدرك الضباط ادراكا كاملا انهم على وشك أن يخوضوا معركة من أجل الخــلاص ٠٠ خلاص الشعب وخلاص الجيش الذى ينبت من صميمه ٠٠

وشــعر الحــكام (الملك الطاغيــة ، والقــواد « العظام » والسياسيون) بعــدوى الســخط التى بدأت تنتشر فى صــفوف الضباط ٠٠ وخيــل اليهم ان « المصل الواقى » من وباء السخط يكمن فى خزائن الدولة ، وانهم اذا استطاعوا أن يحقنوا بهذا المصل جيوب الضباط لأمكنهم أن يعيدوهم الى السلبية المطلقة التى كانت قد أصبحت من تقاليد الجيش المصرى الراسخة دهرا طويلا ٠٠

وكانت السلبية هى كل ما يأملون فيه ، ليســتطيعوا عن طريقها عزل الجيش عن معــارك الشعب ، وتســخيره فى الوقت المناسب لالهاب ظهره ٠٠

وبدأت ترقيات الضباط تنشر فى الصحف متتابعة متلاحقة كوسيلة لارضائهم من جانب ولايقــاع الفرقة بينهم وبين طوائف الشعب المأزومة من الجانب الآخر ٠٠

ولكن حسابهم كان مليئا بالاخطاء الجسيمة .. والخطأ الاول والاكبر فيه ، هو ان الروح الوطنية عندما تستيقظ ، يصعب تخديرها .. وان الاغداق المفتعل يكشف بنفسه عن دوافعه ويصبح عاملا من عوامل اشاعة السخط لا اشاعة الرضى ..

وفي الوقت نفسه .. كانت الاحداث تتلاحق .. وكانت احداثا جسيمة كشفت الغطاء عن كل شيء ، وبدأت تجرف الضباط جرفا .. نحو المعركة ..

تحول الى العمل السرى

في ذلك الوقت كانت حلقات الساخطين ، تضم كل منها خمسة ضباط على وجه التقريب ..

وكانت الاسلحة جميعا ممثلة في هذه الحلقات ، والصداقة القوية تربط بين أفرادها ، من مختلف الاسلحة ، ومختلف الرتب التي لم تكن قد تجاوزت رتبة الصاغ في ذلك الوقت ..

ورأت المجموعة أن تبدأ تنظيمها بداية تدريجية .. فلاتنتقل من الاجتماعات العلنية الى العمل السرى دفعة واحدة .. وانما تتدرج الى ذلك ، حتى يصبح واقعا طبيعيا تؤمن عواقب السير في طرقاته ..

فقد كان رأى المجموعة قد استقر فعلا على تكوين جهاز سرى في داخل الجيش يناط به الاعداد للعمل الكبير ، والقيام بهذا العمل أيضا في اللحظة المناسبة ، مطمئنا الى تأييد الضباط جميعا في المرحلة الحاسمة ، بعد أن اشتعلت في قلوبهم شرارة السخط ، ونما الوعي الشعبي فيهم ، كأفراد .. وكجماعات .

وكان اختيار أعضاء هذا الجهاز السرى ، يحتاج الى دقة ، ووقت غير قصير .. خصوصا وانه لم يكن من تقاليد هذه المجموعة

أن تركن الى أساليب الاختبارات المفتعلة التى تركن اليها الجمعيات السرية على اختلافها كما لم يكن من تقاليدها الاعتماد على حلف يمين أيا كان شأنه ·· وانما الاعتماد ـ فقط ـ على الاخلاص الواعى المقترن بالصداقة الكاملة ·· وبدأ التدرج الى الهبوط ـ تحت الارض ـ والايذان ببدء العمل السرى يأخذ طريقه هادئا حتى لا يشعر الضباط بأن هناك حركة غير عادية ، أو عمليات فصل بين الجهاز السرى وبين جموعهم الساخطة ··

اشتراكات ··· ومنشورات

وكانت الخطوة الاولى فيه ، هى اقتراح جمع اشتراكات من الحلقات الساخطة جميعا ··

وفهم الضباط من هذا الاقتراح ان هناك اتجاها الى عمل ، فعند مناقشة الاقتراح ، وتعليل أسبابه ·· ذكر احتمال اللجوء الى طبع منشورات ·· واحتمال ايقاع الحكومة لونا من الأذى ببعض الضباط ، وانه يجب أن يكون لدى «الضباط» لا لدى «المجموعة» قدر من المال ينفق منه على المنشورات ، وعلى معاونة الضباط الذين يمكن أن يصيبهم الأذى من جراء هذه الاعمال ، واعالة أسرهم اذا أصابهم شر ··

وفى الوقت نفسه ·· نوقشت جبهة الاعداء ·· وحددت تحديدا واضحا ، بأنها مكونة من الاستعمار ·· والملك ·· والاحزاب السياسية جميعا ·

وأدرك كل ضابط انه مشترك اشتراكا فعليا فى محاربة هذه الجبهة ·· فسبهل بعد ذلك انشاء التنظيم السرى ، فى مأمن من الفضول ، لقد كان كل ضابط بعد ذلك يعتقد انه واحد من التنظيم السرى ، ولا يفكر فى اكتشاف أمر ، يعتبر اكتشافه خطرا داهما على الحركة كلها ·· وعلى المشتركين فيها ، وعلى البلاد ··

فلسطين

وبينما كانت المجموعة تدبر أمر البدء فى التشكيل السرى٠٠ جاءت الاحداث ، تؤجل هذه الخطوة وتحول اتجاه السخط الى ناحية أخرى ، لم تلبث ان كانت حجر الزاوية فى تهيئة الجو لنجاح هذه الثورة ٠٠

فقد أقبل عام ١٩٤٨ ٠٠ وأقبلت معه احداث فلسطين ٠٠ أو بصورة عامة ٠٠ حرب فلسطين ٠٠

والقراء يذكرون كيف التهبت المشـــاعر عقب الاعتـــداءات اليهودية المتتابعة على عرب فلسطين العزل من الســلاح ٠٠ وكيف قرر الشباب العربى فى مختلف البــلاد خوض الحرب المقدسة ، دفاعا عن العروبة فى أعز ديارها ٠٠

وفى الايام الاولى لهذه الاحداث ، لم يكن قد تقرر أن يخوض الجيش هذه المعركة ٠٠ ولكن الحكومة كانت فى موقف لا تستطيع معــه منع الجمــاعات الثائرة من الشــباب ، من خوض هذه الحرب كمتطوعين ٠٠

وكانت المجموعة ترى من واجبهـــا تدريب الشـــبان الذين يتطوعون للقتال ، والتطوع معهم لقيادتهم خلال المعركة ٠٠

الاخوان ٠٠ والمفتى ٠٠ والجامعة العربية

وبدأت فى تلك الفترة صلات جديدة مع جماعة الاخوان ٠٠ صلات بين ضباط المجموعة ، وبين قيادة الجماعة ٠٠

فقد عقدت اجتماعات فى بيت المرحوم حسن البنــا ، ضمت جمال عبد النــاصر ، وكان اذ ذاك فى كلية أركان الحرب ، وكمال الدين حسين ضابط المدفعية ، وبعض الضباط المنتمين للاخوان ٠٠

وفى نفس الوقت نشأت صلات بين المجموعة وبين الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين ·· وبين المجموعة وبين الجامعة العربية ··

وكان هدف المجموعة من هذه الصلات جميعـا ، هو تكوين تنظيمات وتشكيلات مسلحة ، وتدريبها واعدادها اعدادا كاملا بكل ما تحتـاج اليه من خبرة ومن سلاح ، قبـل التطوع لخوض غمار المعركة المقدسة ··

وكان الاخوان يقولون انهم مسـتعدون الى أقصى الحدود ، وانهم لا ينقصهم شيء سوى السماح لهم بالسفر الى ميدان المعركة··

وكان المفتى والجامعة العربية الى جانبه ، يكونان تشكيلات من المتطوعين ، وقـد أعلنت الجامعة انهـا على استعداد لتسليحهم والانفاق عليهم ··

الاستيداع أو الاستقالة

وبقى دور الضباط ·· فقـد كان الضباط لا يسـتطيعون الاشتراك فى الحرب الا اذا أعلنت الحرب من الدولة اعلانا رسميا، واشترك الجيش فيها ، ولم يكن قد تقرر بعد اعلان الحرب ··

ولذلك فكر الضباط فى الخروج من الجيش ، والاشتراك فى الحرب كمتطوعين ··

وبدأت الطلبات تنهال على قيادة الجيش من ضباط المجموعة ومن عدد كبير من الضباط الآخرين ·· وكانوا يكتبون فى طلباتهم، انهم مستعدون لتقديم استقالاتهم ، أو طلبات الاحالة الى الاستيداع، على أن تتركهم الحكومة يذهبون الى الميدان بأسلحتهم ··

وكانت الحكومة مترددة فى ذلك أشد التردد ، ممـا أوجد الضباط فى حالة من الغضب ، وزاد من حدة السخط فى قلوبهم··

ولكن ضغط الحوادث كان قاسيا وخطيرا ·· وشعرت الحكومة بأنها لا بد أن تعمل عملا ·· واقتربت اللحظات الحاسمة ، مع ازدياد فظائع اليهود يوما بعد يوم ··

قبول التطوع

وفكرت الحكومة في أن ترسل جماعة من ضباط سلاح المهندسين الى فلسطين ، ليقوموا ببعض الاعمال الاستكشافية ووجدت ان خير وسيلة لذلك ، هى أن تقبل ماكان الضباط يطالبون به من اباحة احالتهم الى الاستيداع أو قبول استقالاتهم وتركهم للذهاب الى الميدان بأسلحتهم كمتطوعين ··

وفوجىء الضباط باشارات تأتيهم لمقابلة الفريق عثمان المهدى (باشا) رئيس هيئة أركان حرب الجيش فى ذلك الوقت ·

ولبى الضباط الاشارة ، وفى مكتب رئيس أركان الحرب ، وجدوا الفقيد أحمد عبد العزيز ·· وأخبرهم الفريق عثمان المهدى ، ان طلباتهم قد قبلت ، وانهم يستطيعون اعداد أنفسهم للتطوع للقتال ··

٤ قطاعات

كانت الجامعة العربية اذ ذاك قد بدأت تنظم تشكيلاتها بالاشتراك مع مفتى فلسطين ، وكان قد تقرر تقسيم فلسطين الى أربعة قطاعات بأربع قيادات ميدان ، على أن تخضع القيادات الاربع للجنة العسكرية التى جعل مقرها دمشق ، ومثل مصر فيها اللواء صالح حرب ··

وكان القطاع المصرى فى فلسطين هو قطاع الجنوب ، وقد عينت الجامعة لقيادته اللواء سليمان عبد الواحد سبل ··

وكانت المجموعة تعرف اللواء سبل من قبل .. فقد كان الفريق ابراهيم عطا الله قد أخرجه من الجيش .. فأقام الضباط له حفلة تكريم فى نادى الضباط . لا لتكريمه فعلا ولكن تحديا لابراهيم عطا الله ..

وكان مع اللواء سبل ، ضابط مخابرات هو اليوزباشى مصطفى كمال صدقى ، وقد سافر سبل الى فلسطين مع متطوعى الجامعة العربية والمفتى .. ولكنه لم يمكث هناك طويلا ، فقد دب النفور بينه وبين ضابط مخابراته .. ثم عاد هو ، ولم يرجع مرة أخرى الى الميدان ..

استعداد ...

وكان الضباط المتطوعون فى تلك الايام يعدون أنفسهم للسفر .. يعدون أنفسهم بالسلاح ، وتدريب الجنود الذين سيحاربون تحت امرتهم .. فلما عين المرحوم أحمد عبد العزيز قائدا لقوات المتطوعين فى فلسطين ، ذهبت المجموعة معه الى منزل اللواء سليمان عبد الواحد سبل لتحصل منه على معلومات عن الجبهة ..

وكان مؤسفا انها لم تستطع الحصول على أية معلومات ذات قيمة عسكرية ..

ومضى الضباط يواصلون استعداداتهم ..

وكان أقسى ما يواجههم هى عمليات الاستعداد .. فللأسف الشديد كانت ظروف الاعداد قاسية موئسة لأى ضابط ، مثبطة للهمم ، قاتلة للارواح ..

بنادق فقط ! ..

كانت الحكومة مثلا تريد من الضباط والجنود أن يسافروا الى ميدان القتال غير مزودين الا بالبنادق !

وكان الضباط يحاولون اقناع المسئولين بأن البنـادق وحدها لا تكفى وان السفر بغير مدافع ، يعتبر انتحـارا ، أو يعتبر مهزلة يدفع المتطوعون ثمنها من أرواحهم .. ولكن الحكومة لم تكن تتحرك لصرخاتهم ..

وبدأت الايام تمر ، ومع مرورها بدأ اليأس يخيم على النفوس، حتى لقد عاد كثير من الضباط فى قرار التطوع ، ورجعوا الى خدمة الجيش بعد أن كانوا قد قطعوا شوطا فى استعداداتهم ..

وأى ضابط يسـمح لنفسه أن يذهب الى القتــال .. ومعه بندقية ، وليس مع جنوده سوى البنادق .. والميـدان ميدان حرب حديثة لم يكن أحد يشك فى انهـا حرب ضد عدو مجهز بأحدث وسائل القتال ..

وأخيرا .. وبعد جهود طائلة سمحت الحكومة للمتطوعين بأن يأخذوا معهم عددا من المدافع .. وكان هذا انتصارا عظيما ، فرح الضباط والجنود به .. !

خطابات ..

وجاءت ليلة السفر .. وفى ليلة السفر وقعت بعض المفارقات والحوادث التى لا تنسى .

فى ذلك اليـوم .. يوم السفر .. اعتـذر عبد المنعم عبد الرءوف عن الذهاب الى الميـدان .. وكان متطوعا ، ولا يدرى أحـد لماذا تردد ، فقد كان حتى ذلك اليوم شديد الحماس ..

ولم يكد نبأ اعتذاره يعرف حتى تقدم اليوزباشى خالد فوزى لبحل محله فى التشكيلات المسافرة ..

وعندما ذاع نبأ اعتـذار عبد المنعم عبد الرءوف ، دب الذعر فى نفس أحد الضـباط ، فاعتذر بدوره أيضـا ، واذا بالمرحوم اليوزباشى أنور الصيحى يتقدم لكى يحل محله ، وكأنما كان يسعى الى قدره .. فقد استشهد أنور الصيحى فى أول معركة عقب وصوله الى أرض فلسطين ..

وفى مساء ذلك اليوم جمع أحمد عبد العزيز جميع المتطوعين، وخطب فيهم قبل السفر .. وكل من حضر تلك الليلة يذكر خطاب أحمد عبد العزيز .. ويذكر قوله بحماس لهؤلاء المتطوعين ، انكم لا تذهبون لقتال عدو فحسب .. ولكنكم ذاهبون لتكتبوا التاريخ.

وفرغ أحمد عبـد العزيز من خطابه .. واذا بالجمـع يرى المرحوم حسن البنا ومعه الشيخ فرغلى ، قادمين لوداع المسافرين.. وخطب حسن البنا ، وخطب الشيخ فرغلى .. واشتد الحماس وبلغ أوجه..

المتطوعون ...

وفى الحقيقة كانت الروح عالية .. وكان الحماس شديدا.. وكان الكل ذاهبا لكى يموت أقدس ميتة وأشرفهـا .. ولكن هذا لم يكن يعنى أمام الضابط العارف بأسرار القتال وفنون المعارك ، ان العمل من أوله الى آخره لن يؤدى الى نتيجة تذكر مهما حسنت الظنون ..

فقد كان المتطوعون خليطا من شباب الاخوان المسلمين ، ومن أفراد الليبيين .. وما تعرفه الجيوش النظامية جميعا باسم الضبط والربط .. كان مفقودا تماما بين هذا الخليط الذى لم يتعود الحياة العسكرية ، ولا يستطيع أن يفهمها فى أيام معدودة ..

وكان الضباط حيارى بين الاخوان المسلمين بنظمهم الخاصة وتقاليدهم المعروفة ، وبين الليبيين الذين كان السيد عبد الرحمن عزام قد أتى بهم وقال انهم خير المحاربين وأشدهم بأسا وأقواهم شكيمة ..

ولكن روح الفداء التى كانت مسيطرة على الجميع كانت توحى بامكان التغلب على جميع المصاعب والعقبات ..

ورحلت قافلة المتطوعين ..

والذى أفادته حركة الجيش من هذه الرحلة.. رحلة المتطوعين الى أرض القتال ، لا يمكن تقديره بحال من الاحوال .. فقد كانت هذه الرحلة وحدها كافية لكى تخلق فى كل ضابط قدرا من السخط ، يكفى لكى يدفعه دفعا الى الموت فى سبيل تغيير الاوضاع القائمة فى البلاد ، اذا حدث ان عاد من الحرب سليما ..

كشوف العهدة

بدأت المهازل بما رآه الضباط من قوات الاسلحة المختلفة بخصوص «العهد» التى كانت لديهم فى أسلحتهم .. فأسوأ الاسلحة أعطيت للمسافرين وأسوأ العربات أعطيت لهم .. وأكثر من ذلك، قام كل صاحب عهدة بجرد عهدته جردا خاصا ، لكى يحصر الناقص منها ، ويكتبه فى كشوف الاسلحة والمعدات المسافرة الى الميدان..

وهكذا كنت تجد فى الكشوف ما لا تجد فى الحقيقة ... بل كانت الكشوف تحوى اضعاف الاسلحة والمعدات الموجودة فعلا فى أيدى الجنود لان أصحاب « العهد » وجدوا فى هذه المناسبة فرصة العمر لتغطية ما فى ذمتهم من نقص شديد ..

مساعدات

والذين كانوا يعطفون على المسافرين فعلا ، ويساعدونهم فعلا، هم اخوانهم الضباط والجنود والعمال الذين التقوا بهم فى الطريق.

ففى العريش مثـــلا ، قام رجال الصيـــانة بفحص العربات المسافرة ، والذعر والأسى والحزن مخيم عليهم جميعا .. فقد كانت كلها سيارات قديمة لا تصلح لشىء .. وقضى رجال الصيانة هناك ليلهم ونهارهم عاكفين على اصلاح السيارات واعدادها لكى تستطيع أن تكمل الرحلة الى الميدان ..

وكان الضباط يقولون لاخوانهم : « الله معنـــا .. فالذهاب الى الحرب بسيارات كهذه نوع من الانتحار .. »

ومع كل هذا ، فقد كانت الروح أقوى ، والحماسة أشد من أن يجرفها اليأس ..

وســـافر المتطوعون ، وقد لزموا فى طريقهم فلنكات السكة الحديد ، حتى وصلوا الى رفح .. ثم الى خان يونس ..

وفى خان يونس .. فوجىء الضباط فى اليوم التالى بحضور عبد المنعم عبد الرءوف .. وهكذا لم يتخلف هذا الضابط الذى كان معروفا بين اخوانه بالحماس ..

ولنترك المتطوعين الآن .. فلسنا بســبيل كتابة تاريخ حرب فلسطين .. لنتركهم ، والحقد على الاوضـــاع يغلى فى قلوبهم .. ونلتقى بالجيش المصرى المسافر رسميا الى فلسطين بعد هذه الرحلة باسابيع قليلة ..

فلسطين ..
كيفَ ذَهبْنا .. وكيفَ عُدنا

- القيادة تأمر بانشـاء ركن فاروق فى غزة !
- القاعدة فى القاهرة ..
- عبـد الهـادى يقبض عـلى جمال عبد الناصر ..
- أهداف الضباط الأحرار..
- السرية المطلقة ..
- نظام الخلايا ..

ان قصة حرب فلسطين على حقيقتها قصة مثيرة مفجعة ..
هى مأساة حقا ومأساة من النوع الذى لاينسى ..

ولقد حاولت أن أكتب الصفحات الخاصة بالتمهيد لهذه الثورة فى اثناء حرب فلسطين .. ولكننى امسكت .. فما اعرفه انا عن هذه الحقبة المجيدة من حياة شعب مصر وجيشها اعرفه بالسمع ، لا بالممارسة والتأثر والانفعال .. وعندما اتذكر ما كنت اسمعه خلال تلك الايام من مآسى الحرب ، وخيانة القيادات ، ترتبط هذه الذكريات بأيامى الخاصة ، ومتاعبى الشخصية اذ كنت اذ ذاك سجينا .. فلم يكفنى حبس حريتى ، ولكن كان مقدرا على ايضا ان احرم من خوض هذه الحرب المقدسة ، التى طالما تاقت نفسى لخوضها ..

وأيام السجن يمكن أن تكون لها صفحات ..

وأيام الحرب ، لها بدورها صفحات ..

وان ارتاحت نفسى الى ذكر صفحات من ايام سجنى فى يوم من الايام ، فلن ترتاح لكتابة شىء عن ايام الحرب التى لم أخضها ، والتى خاضها زملاء لى ، كاتبون ..

الحرب

والذى لابد من ذكره لكى تستقيم هذه الصفحات هو الصورة الذهنية والعاطفية ، لضباط الجيش ، ومنهم ضباط

مجموعتنا يوم دخولها . والصورة الذهنية والعاطفية لضباط الجيش وضباط مجموعتنا يوم عادوا منها ..

اما يوم الخروج للحرب .. فيوم ذكراه مجيدة فى نفوس الضباط والجنود جميعا ..

لقد اعلنت الحرب .. وسواء أأعلنها فاروق أم أعلنتها حكومة البلاد القائمة ـ حكومة النقراشى فى ذلك الوقت ـ وسواء أكان اعلانها خطأ ، أم كان اعلانها صوابا ـ وسواء أكان الجيش مستعدا لخوضها ، ام لم يكن مستعدا . فالحقيقة الوحيدة هى ان الضباط جميعا لم يفكروا فى شىء من هذا كله .. لم يفكروا فى الخطأ أو الصواب لم يفكروا فى احتمال النصر او احتمال الهزيمة .. ولكنهم فكروا فى شىء واحد فقط .. إن حربا اعلنت باسم مصر ، وان جيش مصر يجب ان يخوض هذه الحرب ، كأشجع ما تخوض الجيوش حروبها ، وان يموت رجاله ، ضباطه وجنوده ، فداء لكل ذرة من ثرى الارض المقدسة ، ثرى العروبة والمجد والتاريخ والقداسة ..

هذا هو ما فكر فيه ضباط الجيش وجنوده .. وهذا وحده هو ما جعلهم يندفعون اندفاعا الى ميدان الشرف ، دون نظر الى الحقائق الاساسية التى يهتم بها كل محارب وخاصة اذا ما اشعرته الظروف بأن قيادته نفسها لم تول الامر ما هو جدير به من الاهتمام ..

فالذين سافروا الى الحرب سافروا مجردين من اقوى سلاحين يسافر بهما المحارب .

المعلومات الحقيقية او شبه الحقيقية عن العدو ..

والاطمئنان الى حسن استعداد الجيش نفسه ..

والذين سافروا الى حرب فلسطين ، لم يكونوا يعرفون شيئا مطلقا عن جيش اليهود ، ولم يكونوا يعرفون شيئا مطلقا أيضا عن جيش مصر نفسه ومدى استعداده وحقيقة امكانياته !

ولكنهم سافروا .. سافروا حماسة .. وسافروا ذودا عن شرف الوطن الذى ادخرهم للذود عنه .. وقد آن ان يلبوا نداءه المقدس رغم كل شيء ..

فى ارض المعركة

وكل ما يفيد الآن فى هذه المذكرات ، هو ما شعر به الجيش المصرى فى فلسطين منذ الاسابيع الاولى ، من حقائق تثبط أى همة ، وتقصم أى ظهر ..

فهناك .. فى ارض المعركة ، وضح تماما ان كل ما يلزم لجيش يحارب لا وجود له فى جيش مصر .. كل ما يلزم .. من سلاح او عتاد او ذخيرة او مواصلات .. لا وجود لشيء يصلح للحرب ابدا ..

وهناك فى أرض المعركة ، وضح تماما انها معركة تسير وفق نظام غريب لم يسبق له مثيل فى تاريخ المعارك الناجحة والفاشلة فى العالم بأسره .. فالجيش يحارب فى فلسطين ولكنه يقاد من القاهرة .. وهو يقاد من القاهرة وتصدر له الاوامر .. أوامر التحرك والهجوم دون نظر لا الى اصول الحرب ، ولا الى مقدرة الجيش نفسه ..

وهناك فى ارض المعركة ، وضح تماما ان الانجليز قد دبروا تدبيرهم لخيانتنا .. لخيانة هذا الجيش فى معركته الاولى المقدسة .. فهؤلاء الانجليز الذين وعدوا حكومة النقراشى بمساعدة جيش

مصر بالسلاح والعتاد والذخائر .. قد امسكوا ايديهم مرة واحدة .. ولم يعطوا الجيش شيئا ..

وهناك في ارض المعركة ، وضح تماما ان الانجليز قد دبروا تدبيرهم لخيانة جيش مصر لا بهذه الوسيلة فقط ولكن بالتدخل لدى بعض الدول العربية ، لكى تحيك بنفسها الفخاخ لجيش مصر ..

وركن فاروق ! ..

وهناك فى ارض المعركة ، شاهد الضباط والجنود المصريون مهزلة المهازل ومأساة المآسى يوم ذهبوا الى غزة ــ ولم يكن فى غزة حرب ولا قتال ــ واذا بالاوامر تأتى من قيادتهم بالقاهرة ، بانشاء استراحة لفاروق هناك تسمى « ركن فاروق بغزة » .

هكذا فجعوا فى الحرب من اوائلها ..

اما اواخرها فكانت فترة تأمل ويقين ..

النتائج ... توحى

اواخرها كانت الفترة التى ادرك فيها كل ضابط وكل جندى فى جيش مصر .. ان هذه القيادة يجب أن تتغير .. قيادة الجيش وقيادة البلاد ..

اما قيادة الجيش ، القيادة التى لم يكن لها وجود ابدا .. فلو وجدت ، او وجد نوع من القيادة الحقيقية .. لما امكن ان يهزم جيش مصر ابدا رغم النقص البالغ الذى كان يعانيه فى سلاحه وعتاده ..

وليس هذا مجال مناقشة هذه النتيجة فكل ذلك متروك لقصة حرب فلسطين الكاملة ..

ولكن النتيجة التى عاد بهـــا الجيش على اى حال .. هى المرارة والسخط والتصميم على تغيير هذه القيادات جميعـــا .. تغيير الاوضاع القائمة فى البلاد من اساساتها ..

قاعدة للعمل

ولعل القارىء لم ينس ان هذه الحرب قد انتهت فى عهد عبد الهادى المعروف بعهد الارهاب .

وفى هذا العهد عادت القوات المصرية من فلســـطين .. وقررت المجموعة ان تبدأ العمل فورا ، فقـــد كانت هذه هى اللحظات المناسبة فعلا لتكون نقطة البدء فى العمل السرى الكامل الذى يؤدى الى تغيير الاوضاع فى البلاد ..

وكان لابد للمجموعة ان تتخذ لها قاعدة تعمل منها ، اى ان تعمل على ان يستتب بعض رجالها فى مـكان معين ، وان تحرص كل الحرص على ابقاء هذه القاعدة حتى لا تعمل فيها يد التشتيت .

القبض على جمال

وبينما كانت المجموعة تفكر فى هذا الارتكاز فوجئت المجموعة بزيارة غير مرغوب فيها من الفريق عثمان المهدى « باشـــا » رئيس هيئة اركان حرب الجيش حينئذ ، لمنزل جمال عبد الناصر

ولم يكن الفريق عثمان المهدى وحده فى هذه الزيارة ، فقد كان معه عدد من ضباط البوليس الحربى ..

ولم يكن هدف الزيارة هدفا عاديا .. وانما كان الهدف هو القبض على جمال عبد الناصر ، وتفتيش بيته ..

وقام رجال البوليس الحربى بالتفتيش ، فلم يجدوا فى البيت سوى بضع طلقات .. فقد كان جمال عبد الناصر حريصا دائما

أما جمال ، فقد اصطحبه عثمان المهـــدى ، الى « دولة » ابراهيم عبد الهادى باشا رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العام والمسئول الاكبر فى عهد الارهاب .

وهناك فى مكتب رئيس الوزراء والحاكم العسكرى العام ، جرت مناقشة طويلة بين جمال وبين عبد الهادى .. فقد وجـــه عبد الهـادى لجمـال تهمة التعاون مع الاخوان المسـلمين مسـتدلا على ذلك بأنه ــ أى جمال ــ قد قام بتدريب بعض شبان الاخوان على السلاح ، اثناء الحرب وقبيل قيامها .

أما جمال .. جمال الثائر الذى كان عائدا من الفالوجا .. فلم يكن لديه من الصبر ما يمـكنه من عدم الاحتـداد فى المناقشة على الحاكم العسكرى العام .

ولعلها كانت مفيدة .. فقد تريث ابراهيم عبد الهادى فى اصدار الأمر باعتقاله .. وأرسل رسله يأتونه بأخبار جمال .. ثم افرج عنه فورا .. لانه أدرك أن لهذا الضابط شخصية معينة بين ضباط الجيش ، وان له كيانا خاصا فى صفوفهم ، فخشى أن يعتقله ، فتكون القشة التى تقصم ظهره ، وظهر العهد من بعده .

القاعدة فى القاهرة

وانتهينا من هذه المشكلة .. وبدأنا فى التكوين .. تكوين القاعدة أولا ..

وكانت القـاعدة مـكونة من جمـال وعبد الحـكيم وزكريا محيى الدين وصلاح سالم .

واستطاع كل منهم أن يجد له مكانا شبه ثابت فى القاهرة .

فجمال ، وكان برتبة صـــــاغ فى ذلك الوقت قد عين فى مدرسة الشئون الادارية بالجيش

وعبد الحكيم عين فى مدرسة المشاة

وزكريا عين فى الكلية الحربية

وصلاح استقر فى وحدته بالقاهرة

وفى الايام التى تلت ذلك ، فرغ جمال من وضـــع اساس التنظيم كله ..

الاهداف والنظام

واختار جمال للتشكيل اسم الضباط الاحرار .. الاحرار فى كفاحهم فى سبيل الحياة ، والاحرار فى ســعيهم الى تحرير وطنهم من الاستعمار والاستغلال والفساد ، وكذلك الاحرار من الانتماء الى أية هيئة أو جمعية أو تشكيل معروف .

ووضعت أهداف التشكيل وطبعت .. وتم توزيعهـــا فعلا على الضباط الاساسيين فى التشكيل .. ظهر اسم « الضـــباط الاحرار » لاول مرة ..

وكانت أهم الاهداف التى تضمنها هذا المنشــــور الاول :

القضاء على الاستعمار الاجنبى واعـوانه من الخونة المصريين .

- تكوين جيش وطنى قوى
- ايجاد حكم نيابى سليم
- وفى نفس الوقت ، وضع النظام الاساسى للتشكيل على الوجه التالى :

• السرية المطلقة فى كل شىء

• تخصيص كل ضابط من ضباط مجلس قيادة التشكيل لسلاح من أسلحة الجيش يكون هو المسئول عن تنظيمات التشكيل فيه

• الاخذ بنظام الخلايا ، ووجوب عقد اجتماعات الخلايا أسبوعيا وبانتظام •

• تكليف كل ضابط من ضباط مجلس القيادة بتقديم تقرير اسبوعى الى المجلس يوضح فيه مدى تقدم التشكيل فى داخل سلاحه وعدد المنضمين وعدد من رئى استبعاده •

• وجوب ضم أعضاء جدد فى كل اسبوع •

• اصدار المنشورات بصفة منتظمة اسبوعيا •

وعلى هذا الوجه بدأ التشكيل مرحلته الحاسمة ، وخطته المدروسة •• على أساس نظام معين ، وأهداف محددة واضحة وخلايا •• كاملة ••

لماذا نجحنا

- نجحنا لأننا عرفنا كيف نسير ..
- اللواء الذى جعلناه قائد نفسه فقط
- الضابط الذى حملناه مسئولية طبع المنشورات
- القصر وحيدر
- « التيتل » الذى دفناه فى مكان أمين

كنا قد انتهينا من اقرار التنظيم العام للتشـــكيل السرى داخـل الجيش ، واخترنا له اسم « الضـباط الاحرار » وكنـا قد انتهينا من تحديد أهداف هـــذا التشـــكيل السرى ، وعرف بصورة كاملة ·· ووضعنا قواعد العمل ··

ومنذ تلك اللحظة ، لم يهدأ لنا بال ، ولا للحـكومات ، ولا الانجليز ، ولا للقصر ··

ففى أيام قليلة ، كانت منشوراتنا قد اصبحت تصـــدر بانتظام ·· وكانت هذه المنشورات تزعج الســلطات الداخلية والخارجية ازعاجا شديدا · لان صدورها بتلك الصورة المنظمة ، كان يعطى فكرة لهذه السلطات بأن التشكيل الذى يصدرها ، ليس من ذلك النوع الذى اعتاد الجيش ان يفاجأ بظهوره بين فترة وأخرى، ليصدر منشورا أو منشورين ، ثم يختفى ، أو يكتشف أمره ·

وكان شغل السلطات الشاغل فى تلك الايام هو أن يضعوا أيديهم على أى حلقة من حلقات هذا التشكيل ، أو يمســكوا بأى خيط يؤدى الى اكتشاف أمره ·· ولكننا كنا من جانبنا فى منتهى اليقظة ·· فلم نمـكن أية سـلطة من السلطات من العثور على شىء ·· لم نترك ثغرة واحدة تستطيع هذه السلطات مجتمعة أو متفرقة ان تنفذ منها الينا ·

وكانت هذه اليقظة ، الى جانب التجـــارب الكثيرة التى

مارسناها منذ الشباب الاول، من أيام منقباد ، هي السبب الرئيسي في نجاح خطتنا نجاحا كاملا .. كما أن ارتباط أهدافنا بعواطف الشعب واتجاهاته ، كان من أكبر العوامل المساعدة التي مكنت لنا من هذا النجاح ..

لقد نجحنا لاننا عرفنا كيف نسير .. ولاننا سرنا في اتجاه الشعب .. ولاننا استفدنا من تجربتنا الطويلة السابقة ..

جواسيس !

وكنا في بدء أيامنا كتشكيل سري ، عندما اتصل مصطفى كامل صدقي بجمال وحاول التفاهم معه على أن تنضم مجموعته القديمة ـ أي مجموعة مصطفى صدقي ـ الى تشكيلنا ، توحيدا للجهود ..

وكان معنى هذا ان تشكيلنا كله قد بات في خطر .. فان معلوماتنا عن مصطفى صدقي وجماعته كانت تدخل دلالة كبيرة على أنهم يعملون لحساب القصر .

وكان لابد أن يقتنع مصطفى صدقي بأنه ليس هناك أي تشكيل يضمنا ، وان جمال عبد الناصر لايعمل شيئا على الاطلاق

ولم يكن هذا صعبا على جمال .. فقد استطاع في لحظات قليلة أن يقنع مصطفى صدقي بأنه قد أصبح بعيدا عن كل نشاط ، أو كل اتصال بنشاط... وانه أكثر من هذا صمم منذ عاد من فلسطين على أن .. يأكل العيش ... وبس !

واقتنع مصطفى صدقي بهذا الكلام .. ومضى ..

وفي الحقيقة ، كان مصطفى منجما جيدا للمعلومات .. وكنا نستغله كيفما نشاء .. دون أن يشعر .. فقد كان مولعا بالتباهي

والتفاخر ويحب أن ينسب الى نفسه أشياء كثيرة مما يحدث ، يحيطها بما يعلمه جيدا من ملابسات •• كنا نستفيد من ذكرها فائدة لا تقدر ••

الخلايا ••

وفى ذلك الوقت بدأت الخلايا تعمل ••

كانت خلايا خماسية •• تبدأ كل خلية بأحد ضباط القيادة الذى يكون من نفسه نواة لخليته •• ثم تتسلسل الخلايا على هذا الوجه ، كل عضو من أعضاء الخلية الاولى يكون هو نفسه نواة لخلية جديدة لا يعرف أعضاؤها أحدا غيره من أعضاء الخلية الاولى ••

وللحقيقة نذكر اننا لم نتعد فى تسلسلنا هذه الطبقة الثانية من طبقات الخلايا •• وان هذا كان فى حد ذاته سببا من أسباب نجاح التشكيل وضبط جميع أموره ضبطا كاملا ••

وكانت واجبات أعضاء الخلايا هى :

١ ــ ضم الموثوق بهم الى التشكيل

٢ ــ اثارة الموضوعات العامة فى وسط الضباط ، لخلق مجموعة كبيرة من العاطفين على أية حركة يمكن أن يقوم بها التشكيل فى يوم من الايام ••

وبالطبع كان أعضاء الخلايا يدفعون اشتراكات شهرية ، وكانت هذه الاشتراكات توضع فى صندوق توفير باسم البكباشى احمد حمدى عبيد •• وكأنها مجرد نقود يدخرها من دخله الخاص ••

وكنا نحاول الاستفادة من كل شىء •• من كل الظروف والعلاقات الشخصية والاحداث التى تقع : وأحيانا كانت تسنح

لنا فرص طيبة ، لا تخلو من طرافة . لكننا كنا دائما نحسن استغلالها .. كما كانت الظروف نفسها تساعدنا كثيرا ..وعندما كانت الظروف تلعب دورها الىجانبنا كنا نشعر براحة نفسية كبيرة وأمل ساطع يشع فى قلوبنا .. فقد كانت الدلالة الوحيدة لمساعدة الظروف لنا ، هى اننا مرموقون من الله عز وجل ... بعنايته .

القصر وحيدر !

وكان أخوف ما نخافه جهتان :

القصر ومخابراته الخاصة ..

وقيادة الجيش ..

وكنا لذلك قد رتبنا أمورنا جيدا ، على تطويق الجبهتين كلتيهما .. وبينما كان صلاح سالم يقوم بدوره فى كسب ثقة حيدر « باشا » واعطائه المعلومات المضللة وتغطية نشاط الضباط الاحرار ، كلما تعرض لخطر الانكشاف .. كنت أنا أقوم بهذا العمل نفسه بالنسبة للقصر ، وعن طريق الدكتور يوسف رشاد .

وبهذه الطريقة كنا نضمن دائما ، أن نعرف أولا بأول كل ما يمكن أن يكون قد وصل الى علم احدى هاتين الجهتين من معلومات ـ صادقة أو كاذبة عن نشاطنا وان نعرف أيضا أولا بأول كل ما يمكن أن تفكر فيه احدى هاتين الجهتين من اجراءات خاصة بنا ، وان نضمن أيضا تغطية الموقف فى كل حالة من الحالات ..

والى جانب هذا ، كانت الفرص الطريفة تسنح لنا وكانت الظروف تساعدنا فى كثير من الاوقات ..

هو الذى يطبع ؟

حدث مثلا ، ان قبض على الضابط حسن علام اثناء قيامه بكتابة منشور ضد الاوضاع التى كانت قائمة حينذاك . .

ولا احد يدرى ان كان هذا الضابط قد نوى فعلا طبع هـذا المنشـور وتوزيعه . .فلعله كان ينفس عن نفسـه مجرد تنفيس بهذه الوسيلة . .

ولكن الحادث وقع على كل حال . . فقد قبض عليه متلبسا بكتـابة كلام شـبيه بمـا كان الضـباط الاحـرار يكتبونه فى منشوراتهم .. ورفع الامر الى الفريق حيدر باشا .. واذا به يتهلل ويشرق ويشعر انه قد وضع يده على التشـكيل الخطير المزعج الذى يسمى نفسه بالضباط الاحرار ..

وكانت فرصة لنا .. فأنا أذكر أننا لم ندع وسيلة فى تلك الايام الا استعنا بها لاثبات هذه التهمة عليه .. وقد ثبتت فعـلا واتجهت أنظار القصر والقيادة وجهة أخرى تمـاما فى كل أبحاثهم الخاصة بالكشف عن حقيقة الضباط الاحرار .

ولعلنا ان نكون قد تألمنا كثيرا لهـذا الحادث ، ولموقفنا منـه .. ولكن مصلحة الوطن التى كنا نعمل بصدق من اجلهـا كانت تقتضى منا ان ننتهز هذه الفرصة ، والا ندعها تفلت من أيدينـا أبدا ...

المعركة .. لم تنته

ولم تكن هذه هى الفرصة الوحيدة الطريفة . أو الفرصـة الوحيدة التى عرفنا كيف نستغلها استغلالا كاملا مفيدا ..

فقد حدثت أحداث أخرى أثناء معركة القنـال ، كانت كفيلة باضعافنا أو الكشف عن سرنا الكبير ..

وقد كانت معركة القنال من وجهة نظرنا ، معركة مجيـدة تبدى فيها شعور الشعب واستعداده الكبير للتضحية بكل شىء ..

وهناك قصتان .. لعل احداهما قد كسبت شهرة معينة اذ جاء ذكرها في محكمة الثورة أثناء محاكمة فؤاد سراج الدين ، عندما ذكر « المتهم » قصة اللغم البحرى ..

أما القصة الثانية .. أو هى الاولى باعتبار تاريخ الحوادث فكانت قصة على هامش الاحداث ، ولكنها كانت ذات خطر كبير ، لولا أننا أحسنا استغلالها ..

مجاهد فى سينا !

ولنبدأ بهذه القصة .. وقد وقعت فى الايام الاولى للمعركة .. وكنا اذ ذاك فى سينا .. كنت هناك أنا وعبد الحكيم وصلاح .. وكنا نشعر بالضيق الشديد الذى يملأ نفوسنا ونفوس جميع الضباط فى سينا ، فقد كان الجميع هناك يشعرون بأن عليهم واجبا يجب أن يؤدوه فى هذه المعركة وانه لاحق لأحد فى منعهم من القيام به ..

وتكاثر الضيق ، وغلت الصدور ، وأصبحت القوات هناك فى شبه هياج مستمر ، ينذر بالخطر ..

ووصلت التقارير الى قيادة الجيش عن هذه الحالة المسيطرة على القوات فى سيناء فأرسلت القيادة ضابطا كبيرا هو اللواء توفيق مجاهد ، وكلفته بتهدئة الحالة هناك ..

وجاء اللواء يهدئنا !

جاء ، فجعل يخطب فينا ويناقشنا ، ويحاول اشعارنا بأن دور الجيش لم يأت بعد ، لا لأن الجيش يجب أن يستعد .. ولكن لأن عدونا الحقيقى فى نظر اللواء مجاهد ، ومن أرسلوه ــ هو اليهود .. وان علينا أن نفرغ من اليهود أولا ثم بعد ذلك نفكر فى الانجليز ..

وأطال اللواء مجـــاهد كثيرا فى هـــذا المعنى ، حتى ضاقت الصدور .. واذا بصلاح سالم يصرخ فى وجهه قائلا :

ان عدونا الاساسى هو الانجليز ، هو هذا الاستعمار القائم فى بلادنا .. واننا يجب علينا أن نطهر أرض الوطن من هذا الاستعمار أولا . وقبل كل شىء ..

ويبدو أن صرخة صلاح قد لاقت تأييدا من الضباط .. واذا باللواء مجاهد يبدى ضيقه الشديد بهـــذه الصيحة ، ثم لا يفتأ أن يبدى رأيه علنا فى صـــلاح ... وكان هـــذا الرأى هو أن صلاح سالم ... رجل خطر .

وأحسسنا بالخطر يحدق بنا .. فقد أيقنـــا أن اللواء مجاهد لابد أن يكتب تقريرا عند عودته الى القاهرة ، يتهم فيه صلاح سالم بالخطورة .. ومن يدرى كيف يمكن أن يتجه نشـــاط القصر الى كشف حقيقة صلاح واتصالاته ، وكيف يمكن أن يؤدى هـــذا الى الايقاع بالتشكيل كله ..

وقررنا أن نلغم الارض للواء مجاهد قبل أن يعود الى القاهرة، ويقدم تقريره المنتظر ..

وفى الليلة نفسها اجتمعنا ، عبد الحكيم عامر وصلاح وأنا .. فى منزلى الصغير فى رفح .. ثم رأينا أن نكتب خطابا الى الفريق حيدر باشا ، نضمنه شكايتنا من أن اللواء مجاهد قد أثار الضباط اثارة شـــديدة فى زيارته لهم ، وانه استفزهم استفزازا يمكن أن يؤدى الى ما يجب اتقاؤه من شرور .. خصوصـــا وان لهذا اللواء تاريخا أثناء حرب فلسطين .. وان هذا التـــاريخ معروف لسائر الضباط ..

وكتبنا الخطاب فعلا ، وأرسلناه الى حيدر ..

وفى اليوم التالى هبط اللواء مجاهد الى القـــاهرة .. ولكنه

لم يكد يحط قدميه فيها حتى كان حيدر «باشا» قد استدعاه اليه وبدأ التحقيق معه فيما ألصقناه به من اتهامات !

وانتهى التحقيق بقرار نقله الى المنطقة الجنوبية ..

وكان اللواء مجاهد اذ ذاك نائبا لرئيس هيئـة أركان حرب الجيش المصرى ، كان يتمتع بهـذا المنصب الخطير ، وهذه الادارة الضخمة .. واذا هو ينتقل الى المنطقة الجنوبية .. حيث لا جنود ولا ضباط .. أى حيث يصبح قائد نفسه .. فقط .. لا غير!!

التنيتل أو اللغم !

والقصة الثانية من قصص معركة القنـال ، هى قصة اللغم البحرى التى أشار اليها سراج الذين أثناء محاكمته .

وقد وقعت هذه القصة فى ٢٥ ديسمبر ١٩٥١ أى قبل حريق القاهرة بشهر كامل على التحديد ..

وأذكر هذا التاريخ جيدا .. لانه كان يوم ميلادى .. أو عيد ميلادى .. كما يسمى الناس تاريخ مولدهم ..

وكنا ثلاثتنا فى رفح .. عبد الحكيم ، وصلاح ، وأنا .. وكان معنا هناك سبعة وعشرون ضابطا ..

والضباط فى مثل هذه الوحدات النـائية ، ينتهزون فرصة المرح انتهازا .. وكان « عيد ميلادى » احدى هذه الفرص.. ولذلك قرر الضباط ان يحتفلوا بهذه « المناسبة » على حسابى ، فى سينما المدينة ..

وذهبنا الى السينما ... وبقى عبد الحكيم وصـلاح فى الميس وحدهما ...

لماذا ..؟

لا أدرى لعل ذلك لاننا لم نود أن يخلو الميس من ضباط ..

ولعل الامر أكبر من هذا كثيرا .. فقد كان لا بد فعلا من أن يوجد ضباط فى الميس ، وان يكون هؤلاء الضـــباط هم عبد الحكيم وصلاح بالذات .. فقد عودنا الله طيلة أيام اســـتعداداتنا لهذه الثورة ، أن يكون معنا فى كل شىء ..

ودق جرس التليفون فى الميس ، فقـام اليه عبد الحكيم ... وكان المتكلم هو جمال عبد الناصر .. من القاهرة ..

وقال جمـــال لعبد الحكيم جملة واحـــدة .. « التيتل جاى النهارده فى الطيارة .. استعد لاستلامه .. »

وقطع جمال الخط .. وانتهت المكالمة ..

وكانت كلمة « التيتل » من كلمات قاموسنا « الحركى » ... وكان معناها « اللغم » .

وكنا قد اتفقنا من قبل على اعداد لغم بحرى كبير لنضعه فى القنال قبل مرور باخرة انجليزية كبيرة .. فننسفها بذلك .

وكان هدفنا من هذه « العملية » هو تعطيل القنال ، وتقديم الدليل الكافى للعالم ، على أن الانجليز لا يستطيعون حماية القنال ، ما دام المصريون لا يمكنونهم من ذلك .

وجلس عبد الحكيم وصـــلاح ينتظران « التيتل » ... وكانا بالطبع لا يعلمان شيئا عن حقيقة حجمه ..

وبعد قليل .. اتصـــل ضابط من العريش بعبد الحكيم ... وقال له بلغتنا « الحركية » استلمت « التيتل » ولكنى لا أعرف كيف أوصله الى القنطرة ، لان امكانياتى أقل من ذلك كثيرا ..

وأجابه عبد الحكيم بقوله :

ـ أرسله الى فى رفح ·· وسأتصرف أنا فى الامر ··

وعاد عبد الحكيم وصلاح ينتظران « التيتل » مرة أخرى ··
وقد علما انه سيصل اليهما ساعيا على الارض لا هابطا من السماء

وبعد قليل ، وصل « التيتل »

وصل ، فى حراسة ضابط كيماوى ، كان هو الذى قام باعداده.
وكان أيضا هو المكلف بتركيبه فى القنال ··

وكانت الساعة اذ ذاك ، الثامنة مساء ··

وكان هذا « التيتل » عبارة عن أربعة صناديق كبيرة الحجم
ثقيلة الوزن جدا ··

وتعاون عبد الحكيم وصلاح والضـــابط الكيماوى على انزال
الصناديق ·· وكان جليا انها لايمكن ان تدخل من الابواب ، ولا أن
تخفى فى احدى الغرف ··

وكان الحل الوحيد ، هو أن توضع هذه الصناديق الى جوار
الباب ·· ثم أن يسرع عبد الحكيم وصلاح الى السينما ليخرجانى
منها ، حتى أجلب لهم بعض جنود سلاح الاشارة ، ليســـاعدوا فى
عملية نقل هذا « التيتل » ·· غير المنتظر ··

وخرجت من السينما،وتوجهت فورا الى سلاح الاشارة فأحضرت
بعض جنودى بينما ذهبا هما الى سلاح خدمة الجيش فأحضرا ضابطين
من الاحرار ، وعربة لورى كبيرة ··

وكان الوقت الذى أمامنا يحسب بالثوانى لا بالدقائق ··. فقد
أوشـــكت السينما أن تنتهى ·· وبانتهائهـــا سيحضر الضباط الى

الميس ٠٠ وينكشف أمر « التيتل » الذى كنا نحرص أشد الحرص على اخفائه ٠٠

وفى هذه الثوانى التى كانت قد بقيت لنا ، استطعنا أن نضع التيتل فى اللورى ، وان نجهز اللورى بالبنزين الذى يكفيه لقطع ٣٥٠ كيلومتر ٠٠ الى القنطرة ٠٠ وأن نعد بعض قطع الساندوتش ، للضابط الكيماوى ومرافقيه ٠٠

وسار اللورى على بركة الله ٠٠

واتصلنا نحن بزملائنا من الضباط الاحرار فى العريش لكى يدعوه يمر ٠٠ ثم اتصلنا بزملائنا فى القنطرة ، لكى يتسلموه

ولم نكد نفرغ من كل هذا ، حتى كانت مظاهرة قوامها سبعة وعشرون ضابطا تقترب فى مرح من الميس ٠٠

كانت السينما قد انتهت ٠٠ وكان الضباط عائدين ٠٠

ولعل قصة « التيتل » هى احدى قصص معركة القنال ٠

والذى نستطيع اليوم أن نضيفه الى ماذكرت هو أن القنطرة قد استلمت « التيتل » وأن الضابط الكيماوى قد ركبه فعلا ٠٠ ثم قامت فى وجهنا عقبات لم تسمح لنا بتنفيذ خطتنا ٠٠ فقررنا دفنه ٠٠ دفنه فى مكان أمين ٠٠ ولا أحسب الا أنه لا يزال يرقد فى مكانه الى هذا اليوم ٠

مَوعِدُ الثَّورَة

- حـــددنا موعـــد الثورة سنة ١٩٥٠
- قلنا لسراج الدين «حافظ على الدســـتور ونحـــن نحميك »
- فؤاد سراج الدين يقول « ان شـــعب مصر لا يهتم بالدستور »
- تم الانتخاب في منزل كمال الدين حسين ..
- الاتصال برجال الوفد .. جريمة ..
- سراج الدين يقـــول : « احنـــا خـــايفين من الجيش »

ان دور الاحرار الذى بدأ اذ ذاك كان قد بدأ ليستمر لا ليتوقف وكنا نمر فى تلك الاثناء بفترة كمل فيها استعدادنا ، وأصبحنا قادرين فعلا على التحرك من وحداتنا ، لنضرب الضربة التى تطهر البلاد من رأس الفساد فيها ٠٠ الملك ، والاقطاع ٠ وما يتفرع عنهما من أحزاب وسياسات قادتها طويلا الى الخراب ٠٠

فالسنوات التى مرت بنا بعد اكتمال تنظيمنا ، وهى سنوات ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ٠٠ قد كانت سنوات الاستعداد والدراسة الكاملة للموقف ، وتحديد موعد البدء ٠٠ وفى نهاية هذه السنوات أو قرب نهايتها ، وقعت معركة القنال ، وأدركنا أن دورنا الكبير قد حان وقته ٠٠

انها فترة مترابطة اذن ٠٠ سنمر اليوم مرورا ببعض أحداثها، لنعود الى ذلك مرة أخرى ٠

ففى عام ١٩٥٠ كنا قد اكتملنا من حيث التنظيم الداخلى ٠٠ للخلايا ، والمخابرات ، وجمع الاشتراكات وعقد الاجتماعات وضم الضباط

كان كل شىء يجرى على مايرام ٠٠ وكنا نفكر دائما فى الزمن الذى يجب أن نقضيه فى الاستعداد والتهيؤ للمعركة ٠٠ وكنا ــ ككل من يقدم على خطوة كبيرة جريئة ــ نقدر قوة العدو بحسدها

الاقصى ، ونقدر قوتنا بحدها الادنى . ونعتقد اننا لن نبدأ حتى نكون على يقين من أن الحد الادنى لقوتنا ، قد أصبح أقوى من كل شيء مما يمكن أن يكون عليه الحد الاقصى لقوة العدو ..

والعدو ، كان بالطبع ، فاروق وجهازه الرهيب ، مع وضع الاستعمار وما يمكن أن يقدم من مساعدة فى الحساب ..

وكنا فى بدء عام ١٩٥٠ قد قدرنا للاستعداد خمس سنوات ، أى اننا حددنا موعدا للحركة عام ١٩٥٤ أو ١٩٥٥ .

ولكن الظروف السياسية التى لابست الأشهر الأولى من حكم الوفد الأخير جعلتنا نعيد التفكير مرة أخرى ، ونحدد للحركة موعدا بعد ثلاثة أعوام بدلا من خمسة أعوام .

فقد كانت سياسة المهادنة التى فاجأ بها الوفد البلاد فى أول شهور حكمه تستدعى هذا التقريب لموعد الحركة .

اذ كانت هذه السياسة وحدها ، هى النذير الأكبر بوجوب انفجار الشعب وقرب هذا الانفجار .

فقبل عهد الوفد الأخير .. كان الشعب يرى أمله فى حزب الوفد رغم مساوئه .. وحتى نحن كنا نعتقد أن حزب الوفد رغم كل هذه المساوىء المعروفة للجميع : هو الحزب الذى نستطيع أن نركن اليه يوم نقوم بضربتنا الكبيرة ، لنسلمه زمام البلاد ، على أسس واضحة من التطهير والعمل الخالص للوطن .

كنا نعتقد هذا ، بل لقد خطونا فى هذا السبيل خطوات سيأتى تفصيلها ..

وكنا رغم كل هذا ، مضطرين الى أن نحسب حسابا للحقيقة الكبرى وهى أن حزب الوفد اذ يجىء بهذه الأغلبية الساحقة فى عام

١٩٥٠ ثم يهادن القصر تلك المهادنة المكشوفة المزرية ، قد صدم الشعب فى أمله الوحيد الباقى ، ولم يجعل هناك مجالا يستطيع لشعب أن يتنفس فيه الا أن ينفجر فيطيح بكل شيء ٠

وكنا نقدر هذا الانفجار الشعبى ، وعواقبه ونريد أن نكون ميزانا حساسا لانفعالات الشعب ، حتى لا يأتى انفجاره دون توقع منا ، فيتعرض لملحمة رهيبة بينه وبين القوة الغاشمة قد لا تكون سليمة العواقب ٠

وفى الوقت نفسه كنا نخشى أن يدب الملل فى نفوس ضباطنا، وأن يعطى التراخى فرصة للقضاء على قوتنا ، بعوامل التشتيت المقصودة أو غير المقصودة على حد سواء ٠٠

لذلك قربنا الموعد الذى حددناه للحركة ، وجعلناه عام١٩٥٢ أو ١٩٥٣ بدلا من ١٩٥٤ أو ١٩٥٥ ٠

انتخاب جمال

وكنا فى ذلك الوقت فى القاهرة نحن جميعا ٠ وكنت أنا أعيش كالحبيس فى دائرة ضيقة ، لم يسمح لى جمال بالتحرك فى أى دائرة أوسع منها بحال من الأحوال ، فقد كان تاريخى السابق ، تاريخى الذى لم يمر عليه أكثر من عامين منذ خرجت من السجن فى آخر مرة ، يجعل أى حركة أقوم بها مثار شكوك ٠

ومر عام ١٩٥٠ ، وأقبل عام ١٩٥١ ٠٠ وفى هذا العام نقل بعضنا الى سينا ٠٠ نقل صلاح وعبد الحكيم وأنا ٠٠ الى سينا ، ونقل جمال سالم الى العريش ٠٠

أما باقى مجموعتنا ٠٠ فقد ظلوا فى القاهرة ٠

وكان هذا النقل ٠٠ وتشتيتنا فى ثلاث جهات مدعاة الى اتخاذ اجراء لا بد منه ، لم نكن قد فكرنا فيه قبل ذلك العام ٠

كان لا بد أن يكون لنا رئيس مسئول ، يقوم بتنسيق أعمالنا بإصدار الأوامر والتصرف الوقتي فيما يجد من مشكلات ..

وعقدنا اجتماعا لبحث الأمر ، ثم انتخبنا بالاجماع رئيسا لنا .. جمال عبد الناصر ..

وبدأ بذلك تقليد جديد لهذه المجموعة ، أن نحدد موعدا للاجتماع في كل عام لانتخاب الرئيس ..

وفعلا ، تم ذلك أيضا في يناير ١٩٥٢ .. اذ اجتمعنا في منزل الصاغ كمال الدين حسين وانتخبنا جمال رئيسا لمدة سنة أخرى من ذلك التاريخ ..

واختيار الرئيس :

على أن هذا الاجتماع ، قد تضمن قرارا آخر اتخذناه واتفقنا على ابقائه سرا بيننا .

وكان هذا القرار هو اختيار اللواء أركان الحرب محمد نجيب لكي يكون قائدا لحركتنا في يوم تنفيذها .

وكان سبب اتخاذ هذا القرار .. هو اننا لا بد أن نضع في حسابنا شخص القائد الذي نتقدم خلفه الى الشعب ، لكي نستطيع أن نمهد لشخصيته التمهيد الكافي في صفوف الجيش .

وكان الرئيس نجيب قد عرف لمجموعتنا عن طريق عبد الحكيم عامر ، اذ كان عبد الحكيم عامر أركان حربه أيام معركة فلسطين.. كما كان عبد الحكيم قد قام بتعريف اللواء نجيب بالبكباشي جمال عبد الناصر عقب عودة جمال من الفالوجة ..

ورغم اتخاذنا هذا القرار ، فلم نشأ أن نعلنه حتى للرئيس

نجيب نفسه .. لأن الوقت لم يكن قد حان بعد لاتخاذ هذه الخطوة ...

وبعد أسبوع عقدنا اجتماعا آخر .. فقد كنا نشعر فى ذلك الوقت أن موعد الحركة قد يكون اقرب بكثير مما نتصور ، ومما نقدر ..

تقدير الموقف

وفى هذا الاجتماع طلب جمال سالم أن نقرر البدء فى اتخاذ موقف الاستعداد الكامل للعمل فى أى وقت .. وأن تكون المهلة التى تعطى لضباطنا قبل البدء شهرا على أكثر تقدير .

ووافق المجلس على ذلك ..

وفى الاجتماع نفسه ، كلف المجلس عبد الحكيم عامر ، بعمل « تقدير موقف » للحالة من جميع نواحيها ، الشعبية والسياسية والعسكرية ، وأن يقوم بعرض تقريره على المجلس فى أسرع وقت .

كنا جميعا نشعر بوطأة الأحداث وبتحكمها الواضح فى تحديد موعد حركتنا .. فقد كان الشعب يغلى ، وكان الجيش يغلى .. وكان لا بد من عمل .

وانتهى هذا الاجتماع الذى عقدناه بمنزل قائد الاسراب ــ حينئذ ــ حسن ابراهيم .

ثم اجتمعنا بعد يومين اثنين ، لكى ندرس التقرير الذى أعده عبد الحكيم عامر ..

وفى هذا الاجتماع .. استطعنا أن نطمئن تماما .. وانتهينا الى أننا قادرون على القيام بالحركة فى أول فرصة ممكنة .. وان امكانياتنا تضمن لنا النجاح ..

ولم يكن هذا التقرير نتيجة لدراسة يومين من عبد الحكيم .. فقد كان مسبوقا بجولة قام بها جمال وعبد الحكيم في داخل الجيش للقيام بعملية حصر كاملة لأول مرة ، ومعرفة حقيقة القوة التي نستطيع الاعتماد عليها ..

وبالطبع كان هذا الاجتماع ، قبل حريق القاهرة .. ولم يكن أحد يتوقع وقوع ذلك الحادث المشئوم .

الاتصال بالوفد

ولنترك الآن التفاصيل العسكرية ، لنلم بما قمنا به الى جانب ذلك من محاولة لاستغلال الموقف السياسي ، والتهيئة لأوضاع ما بعد الثورة من الناحية السياسية ، والناحية الشعبية .

الوفد ..

الوفد الذي كان يحكم .. والذي هادن الملك في أول عهده ، ثم اضطرته الظروف واضطرته نفس القاعدة الشعبية التي لم يكن يستطيع أن يغفل حسابها الى الغاء المعاهدة ، وبدأ الكفاح المسلح ضد قوات الاستعمار في القنال ..

هذا الحزب ، كان أملا من آمالنا رغم كل شيء وكنا نريد أن نقويه في موقفه ، وان نجعل منه الشرارة التي تطلق قذيفتنا .

وقررنا أن نتصل بالوفد ، وأن نترك أمر تدبير الاتصال به الى جمال عبد الناصر ..

ولن أسبق هنا الحوادث ، ولكني سأحاول أن أذكر تفاصيلها كما يذكرها الذين شاركوا فيها ..

بدأ جمال بدعوة اليوزباشي جمال القاضي ،وطلب منه أن يتصل بعمه « عبد اللطيف محمود باشا » الوزير الوفدي اذ ذاك ،

للتفاهم معه على أوجه المساعدة التى يحب الوفد أن يحصل عليها من تشكيلنا العسكرى فى سبيل ايقاف الملك عند حده . ومنع اعتداءاته على الدستور

جريمة كبرى

وكان السر فى اختيار جمال القاضى ، هو هذه القرابة بينه وبين عبد اللطيف محمود ، فقد كان اتصال اى ضابط بالجيش بأى رجل من رجال الوفد حينئذ ، يعتبر فى نظر قادة الجيش ، ورجال القصر ، جريمة تستوجب الحساب والعقاب ..

ولذلك كان علينا أن نغطى هذه الاتصالات باللجوء الى صلات القربى ، التى لا تثير الريب والشكوك ..

وذهب جمال القاضى الى عمه .. ثم عاد ليقول : ان عبد اللطيف محمود صارحه بأنه لا يستطيع أن يتكلم شخصيا فى هذا الامر ، ولكنه مع ذلك على استعداد لتقديم جمال القاضى الى رجل الوفد المسئول ، فؤاد سراج الدين ، ليتم التفاهم بينهما مباشرة ..

وفكر جمال عبد الناصر فى الأمر واستعرض فى ذاكرته أسماء الضباط الذين يمكن أن يعتمد على واحد منهم فى الاتصال المباشر بفؤاد سراج الدين ، ثم استقر على أن يكلف القائمقام رشاد مهنا بهذا الاتصال لأنه أيضا تربطه أواصر القربى بفؤاد سراج الدين .

تخاذل ..

وتقابل جمال مع رشاد مهنا ، وطلب منه ان يذهب لمقابلة سراج الدين وجس نبضه . وابلاغه أن الجيش اليوم لم يعد مستعدا

للوقوف الى جوار الملك ضد أي اجراء شعبي تتخذه حكومة الوفد ، ويؤدي الى محاولة الملك البطش بها أو اقالتها .

وتحدد موعد المقابلة بعد بعض تأجيلات من جانب رشاد مهنا .

ولكن الموعد المحدد بصفة نهائية أقبل . . واذا برشاد يعتذر عن مقابلة سراج الدين ، بدعوى انه قد جد ما يشغله في قريته ، وانه مسافر اليها في اليوم نفسه ..

وللتسجيل والتاريخ ، أذكر هنا أن هذا الموقف من رشاد مهنا ، قد اثر كثيرا في نفسية جمال ، فقد كان أول تخاذل من رجل يحاول أن يعتمد عليه في شيء . .

واندفاع ..

بلغ هذا النبأ البكباشي أحمد أنور ، فمضى بنفسه الى البكباشي جمال عبد الناصر ، وابدى استعداده للقيام بهذا الاتصال ، وقال انه غير معروف بنشاط معين ، وانه مستعد للتضحية حتى ان كانت هناك تضحية ، وان اكتشاف صلته بالوفد لن يؤدي — على كل حال — الى اي عواقب تصيب تشكيل الضباط الاحرار .

وكلفه جمال بهذه المهمة ، وان كان قد ابدى له شكه في أن يستجيب سراج الدين ، واحساسه بأن سراج الدين سيحاول استدارجه دون أن يبوح له بشيء . . ثم أوصاه اذا اراد سراج الدين أن يصل معه الى أي قرار ، بأن يفهمه أن له اخوانا وقيادة لا بد أن يرجع اليها قبل التصريح بأى شيء .

• تمت المقابلة

وسأترك الآن البكباشي احمد أنور يروى تفاصيل هذه المقابلة

.. قال أحمد أنور :

طلبت مقابلة سراج الدين ، واتفقنا على موعـد المقابلة .. الساعة الخامسة والنصف ، فى بيته بجاردن سيتى ..

وارسل الي فؤاد سراج الدين الاستاذ فاروق القاضى ، وكان اذ ذاك يشغل منصب السكرتير البرلمانى لفؤاد سراج الدين ، بصفته وزيرا للمالية ، أرسله الى ليقابلني فى ميدان الاسماعيلية ، ويأخذنى الى داره . وكان معى شقيقه جمال القاضى الذى جاء يصحبنى ليعرفنى بشقيقه ..

والتقيت بفاروق القاضى ، ثم ذهبنا ، واذا بفاروق يقودنا الى الباب الخلفى للدار حسب التعليمات التى كان قد تلقاها من فؤاد سراج الدين .

وجلسنا فى أحد الصالونات الكبيرة .. ثم اقبل علينا فؤاد « باشا » وأمر الخدم باغلاق الأبواب وعدم السماح لأى أحد بالدخول ..

وجلس ..

كنا أربعة ..

فؤاد سراج الدين وجمال القاضى ، وفاروق القاضى .. وانا ..

وانتظرت فى تحرز شديد وتحرج ، أن ينسحب فاروق ، ويدعونا وحدنا فى هذه المقابلة البالغة الخطورة والأهمية .. ولكن

فؤاد « باشا » لمح مني هـذا التحرج والتحرز .. فابتسم لى مشجعا .. وقال لى : تكلم .. فليس فاروق غريبا ..

وبدأت اتكلم ..

باطنا والريح

قلت له :

ــ لقد جاوز الملك كل حد ، وخصوصا بتعيينه حافظ عفيفي رئيسا لديوانه .. فلماذا لا تتخذون موقفا حازما تجاه هذا التحدى الصريح من الملك ..

وابتسم فؤاد سراج الدين .. وقال فى بساطة خبيثة ..

ــ احنا طبعا .. خايفين ..

ــ من ايه ؟

ــ من الجيش .. هى دى عايزه تفسير ؟

ثم استطرد :

ــ احنا ناس « باطنا والريح » .. واحنا صحيح كنا بنحايله لغاية ما نقدر نلغى المعاهدة . انما دلوقت اذا انزنقنا .. فمفيش مفر .. حانخرج .. ونقول للشعب كل حاجة

وثار جمال القاضى ، وهو فى طبعه عصبى شديد الانفعال .. وقال :

ــ ولماذا لم تفعلوا ذلك وقد عين الملك عبد الفتاح عمرو « باشا » مستشارا له رغم تنحيتكم اياه من سفارة لندن ؟

وكان سؤالا محرجا .. ولكنه كان أيضا سؤالا فى الصميم

.. ومع ذلك فقد ابتسم فؤاد سراج الدين .. وقال ايضا فى بساطة :

ـ احنا رفضنا هذ انتعيين رفضا حاسما .. ولكن الملك أصر ، وعينه بنفسه .. ثم وجدنا أن هذه المسألة مسألة صغيرة ، لا تستحق أن نعطيها من الاهتمام ما ينسينا قضيتنا الـكبرى ..

الشعب لا يفهم فى الدستور

وسألته :

ـ أليست فى اعتباركم اعتداء على الدستور

وضحك سراج الدين وهو يقول :

ـ الدستور .. هى البلد دى بتفهم فىالمسائل الدستورية

والقى براسه الى الوراء كمن يتذكر أياما ماضية ثم قال :

ـ عندما وقعت الازمة بين الملك وبين النحاس فى الوزارة الماضية بشأن حق اعطاء الالقاب .. كانت هذه أزمة دستورية لا شك فيها ، فقد كان رأينا أن الملك لا يمنح القابا الا بناء على طلب حكومته .. ومع ذلك ، مع كونها أزمة دستورية .. فقد استطاع الملك أن « يسرح » شيوخ الازهر فى البلاد ، وان يوعز اليهم بأن يخطبوا فى البلاد ، وأن يخطبوا فى المساجد ضد النحاس ، ويوقعوا فى روع الشـعب أن النحاس يريد أن يصـبح ملكا يمنح الرتب والنيـاشين .. وللأسف .. فهم الشعب هـذا .. واضطررنا الى التراجع ، لأن الشعب لا يفهم كثيرا فى المسائل الدستورية ..

والتفت فؤاد سراج الدين فجأة .. ثم سألنى مغيرا مجرى الحديث :

ـ فيه ضباط كثير معاكم ؟

قلت :

ـ نعم .. من جميع الأسلحة ..

فعاد يسألنى محاولا أن يخفى ما أدركته انا من سؤاله وهو انه كان على علم بصورة ما بحركة الاحرار ..

ـ أظن كان فيه سلاح .. تعبان !!

واجبته على الفور :

ـ لا .. غير صحيح .. فجميع الاسلحة الآن مستعدة لاتخاذ أى موقف نراه .. ونحن جئنا هنا لكى نتفاهم معك على امكان الاستناد الى الجيش .. فهذا الجيش هو جيش الشعب ولن يكون بأى حال جيشا للملك .. وعليكم أن تتخذوا أى موقف قوى .. وعلينا نحن أن نقف الى جواركم .

ورأيت من فؤاد سراج الدين انطواء شديدا ، ونظرات لمحت فيها بعض الشك والارتياب ..

ولم يكن أمامى الا أن اندفع فى حماس مبينا اخطاء الملك ، وجرائمه ، حتى يطمئن الينا .. ويتكلم ..

وفعلا شعرت أن نظراته قد تغيرت .. وبدأ يتكلم بصراحة أكثر كثيرا ..

كان يحاول أن يعرف منى تفاصيل كاملة عن عدد الضباط ومدى استعدادهم ، وحقيقة الثورة الكامنة فى داخل الجيش ثم ترك موضوع الضباط ، وراح يتكلم فى السياسة المصرية والأحزاب الوطنية والسياسيين ..

وفجأة .. اعتدل فى جلسته ، وسألنى سؤالا .. لم أكن قد أعددت نفسى للاجابة عليه بحال من الاحوال ..

كان سؤالا ماكرا فى صيغته .. وفى طريقة المفاجأة التى وجهه بها الى ، فؤاد سراج الدين

مارس ١٩٥٢
وموعد الثورة

- أوشكنا أن نقوم بالثورة في مارس سنة ١٩٥٢
- فاروق يحاول مغادرة البلاد بعد حريق القاهرة
- سراج الدين يستدرجنا ليصبح وزيرا للحربية
- حيدر وطه حسين .
- ١٢ شيشكلي .
- اللعب على الحبلين .

ان المقابلة التى تمت بين فؤاد سراج الدين « باشــا » وبين البكباشى أحمد أنور فى أواخر ديســمبر من عام ١٩٥١ ، والتى تركنا لأحمد أنور تسجيلها فى صفحتنا الاخيرة من هذه الصفحات، كانت من أهم المقابلات التى تمت قبيل ظهور حركة الجيش ..

ولم تكن أهميتها عندنا ناجمة عن شـعور منا بأهمية معاونة الوفد لنا فى حركتنا فقد كنا منذ مدة طويلة قد قررنا نهائيـا أن ينفرد الجيش بالحركة دون تعاون مع أية هيئة سياسـية أو غير سـياسية خـارج نطاقه .. ولكن هذه الأهمية جـاءت من شعورنا بوجوب اكتشـاف كل شـبر من الارض التى نمشى عليها ، قبل أن نقدم على خطوتنا

لقد كان جمال عبد الناصر قليل الامل فى امكان قبول الوفد لما نعرضه عليه .. ولكن هذا لم يمنعه من السعى الى الوفد هذا السـعى الحميد .. ولو أن الوفد قبل أن يكون الشرارة التى تطلق الثورة ، لتغيرت ملامح كثيرة من تاريخ مصر الحديث .. ولكنه لم يقبل .. وسأترك للبكباشى احمد أنور اتمام حديثه الذى نشرنا بدايته فى الفصـل السابق ليعرف القراء كيف كان تخاذل الوفد عن المضى فى الطريق الوحيد الذى كان يجب أن يمضى فيه .. وكيف اثر هـذا التخاذل فى الاحداث المتـلاحقة التى

شاهدتها مصر فى مطلع عام ١٩٥٢ .. والتى انتهت بظهور الثورة، وانتهاء عهد الفساد ..

قال البكباشى أحمد أنور ..

كنت قد مهدت الجو تماما لكى يشعر فؤاد سراج الدين بملء الثقة فى شخصى فيتكلم ويفصح ، ولا يخشى أن تكون هناك دسيسة أو مكيدة قد دبرت له

وكان فؤاد سراج الدين قد بدأ يشعرنى بأنى أصبحت فعلا موضع ثقته .. وأخذ يتكلم بصراحة وحرية فى موضوعات سياسية ووطنية محاولا ايهامى بأنه يذكر لى اسرارا خطيرة لا ينبغى أن تذكر الا لمن يكونون فى الموضع الاول من ثقة الرجل فيه ..

وفجأة سألنى السؤال الذى لم أكن قد توقعت ان يوجه الى ولا أعددت نفسى للاجابة عليه !.

قال لى فؤاد سراج الدين فى بساطة :

ـ مين تفتكر يصلح لقيادة الجيش ؟

قال : قيادة الجيش .. ولم يقل قيادة الحركة .. وقالها فى بساطة لا مثيل لها وكأنه يسأل عن الصحة أو يتحدث عن حالة الطقس .

ولم افهم انا مغزى سؤاله الا بعد انصرافى من منزله عندما جلست أستعيد ما دار فى الجلسة حرفا حرفا لكى أقدم به تقريرى الى البكباشى جمال عبد الناصر .. فقد أدركت عندئذ من وضع أسئلته المتناثرة سؤالا الى جوار الآخر انه لم يكن يسألنى مجرد سؤال برىء عمن أظنه أصلح من الفريق حيدر باشا لقيادة الجيش وانما كان يقصد تماما الى معرفة رئيس حركة الضباط الاحرار .

أدركت هذا بعد خروجى من منزل سراج الدين .. وحمدت الله عند ذلك كثيرا .. فعلى الرغم من مفاجأته لى بهذا السؤال وعلى الرغم من جو الثقة الذى كان قد سيطر على الجلسة ، وعلى الرغم من اللهجة البسيطة التى ألقى بها سؤاله فقد سيطر على — دون أن أدرى لذلك سببا — الحذر الطبيعى الذى كنا قد تعلمناه فى الفترة السابقة من الاعداد للحركة وكنت بالطبع فى مأزق ، فلابد لى أن أجيب .. والا فقدت ثقة الرجل التى أجهدت نفسى فى اكتسابها .. ولم يكن ممكنا أن أجيب لأن شخص القائد كان لا بد أن يظل سرا حيث لا يعلم به احد ..

ووجدت نفسى أختار اسم رجل بعيد كل البعد عن حركتنا رجل لا صلة له مطلقا بالضباط الاحرار ولا بتشكيلاتهم ولكنه فى الوقت نفسه شخصية يمكن اذا ذكرت الا يقابل ذكرها فى هذا المقام بأى قدر من الارتياب ..

وقلت له وكان ذلك بعد لحظات قصيرة جدا من سؤاله :

— اعتقد أن اللواء سيف اليزل هو الذى يصلح اليوم لقيادة الجيش ..

وهز سراج الدين رأسه وقال لى :

— اختيار موفق .

ولم أفهم مغزى هذه الكلمة أيضا ، فقد كنت لا ازال مأخوذا بالمأزق الذى وجدت فيه ..

ويبدو أن سراج الدين قد سره أن عرف منى اسم « قائد حركة الضباط الاحرار » وأراد ان يصل عن طريقى الى معلومات اخرى أعم واشمل .. ولكنه كان فى كل كلمة حريصا وكان لا يسأل سؤاله الا بعد أن يمهد له كثيرا ..

هذا كله أدركته بعد انصرافى من منزله أما أثناء وجودى فقد كنت أحاول فقط أن أجيب على أسئلته وأن أعرف منه رأيه فيما جئت اعرضه عليه ..

حيدر وطه حسين

وبدأ سراج الدين تمهيده الطويل الثانى بالحديث عن الفريق حيدر باشا .

وكان طرق هذا الموضوع أمرا طبيعيا ما دمت قد حددت له اسم القائد الجديد ..

فأخذ يتحدث عن انتخابات النادى الأولى ، ثم قال :

ـ انتم خذلتمونا فى مسألة حيدر ..

وكانت الحكومة قد قبلت استقالة حيدر باشا من قيادة الجيش على أثر التحقيقات التى أجريت فى قضية الاسلحة الفاسدة ، ولكن الملك أعاده بعد ذلك رغم ارادة الحكومة .

وقال سراج الدين :

ـ لقد قلنا للملك ان اعادة حيدر ستؤدى الى كارثة وأن الضباط جميعا سيثورون .. ولكنه عندما أعاده . ثم ندبه عنه فى حضور حفلة نادى الضباط ، صفق له الضباط طويلا فى حضور وزير الحربية الوفدى ، مصطفى نصرت ـ مما أوجد الوزير فى حرج شديد ، وشلنا فى موقفنا من الملك شللا كاملا .

وكانت هذه القصة قد وقعت بالفعل وكان تصفيق الضباط لحيدر هو أكبر لطمة وجهت الى حكومة الوفد وأضعفت موقفها .

وأردت أن اطمئن سراج الدين ، بافهامه أن ما حدث لايعبر

مطلقا عن رأى الجيش .. وأن هذه الظاهرة قد افتعلها عدد معين من الضباط .. ثم قلت له :

ـ اننا لو اتينا بطه حسين وعيناه قائدا عاما لكان أحسن كثيرا فى منصبه من الفريق حيدر باشا .

ورأيت فؤاد سراج الدين يبتسم . فاستطردت قائلا :

ـ لانه ـ على الاقل ـ يفهم فى السياسة ..

وضحك سراج الدين ثم قال :

ـ على كل حال انتم صفقتم لحيدر .. وأحرجتمونا ..

وفى الحال ، قال لى :

ـ هل سمعتم عن اتجاه النيـة الى التخلص من بعض الضباط ؟

وكنا على علم بذلك فعلا فقد كانت هناك قائمة قد أعـدت لطرد عدد من ضباط الجيش وكانت هذه القائمة تتضمن أسماء سبعة ضباط من تشكيلنا .

١٢ شيشكلى

وقلت له : لقد سمعنا أن الملك قال لحيدر بغضب « ازاى تسيب ١٢ شيشكلى قاعدين فى الجيش ؟! »

وطرب سراج الدين لهذه الاجابة .. ثم سألنى :

ـ زى مين ؟ .

ولما وجدنى تلكأت فى الاجابة .. استطرد هو قائلا :

— انك تستطيع اذا عرفت الاسماء وكانت تهمكم أن تبلغنى شخصيا بما تعرف ... فقد استطيع أن اكون مفيدا !

وكنا نحن نعلم أن هناك مباراة بين الوفد وبين الملك فى السيطرة على الجيش .. وكان فؤاد سراج الدين يريد أن يعرف ما لدى من معلومات لكى يشعر الملك بأنه على علم بكل شىء ثم يستغل هذا فى الوصول الى هدفه الذى سعى اليه كثيرا .. وهو أن يكون وزيرا للحربية .. فقد كان همه فى تلك الايام أن يقنع الملك بأنه اذا أصبح وزيرا للحربية لاستطاع أن يسيطر على الجيش تمام السيطرة ..

من انتم ؟!

وعاد سراج الدين يؤكد لى استعداده لكى يكون مفيدا لنا اذا عرف منى أسماء من يهمنا أمرهم ..

ولكنى فى هذه اللحظة كنت حاسما فقلت له على الفور :

— أرجو ألا تهتم معاليك كثيرا بالاسماء ... ويكفى أن تتأكد من وجود قوة مخلصة كافية داخل الجيش .. وانك انت تستطيع أن تعتمد علينا وأن تجدنا فى أى وقت اذا أردت منا مساهمة فعلية فى شد أزركم تجاه الملك ، فى أية خطوة دستورية أو وطنية تريدون اتخاذها .

وأطرق سراج الدين .. ثم قال :

— يعنى ؟!

فأجبته :

— يعنى اننا نريد منكم بصراحة أن تتخذوا موقفا وطنيا شديدا من الملك .

فقال :

ــ واذا أقالنا الملك ؟!

قلت له :

ــ تتمسكون بمراكزكم وتتركون الباقى لنا .. فالجيش كله على استعداد للوقوف الى جانبكم فى هذه الحالة وقوفا قويا فعالا مؤازرا ..

وابتسم سراج الدين وهو مطرق .. ثم قال :

ــ ربنا يسهل .. وان كان رأيى الصريح هو أن الجيش يجب أن يلزم شئونه الخاصة .

وانتهت المقابلة بذلك .. وتوجهت الى البكباشى جمال عبد الناصر ، فرويت له كل تفاصيلها ..

اللعب على الحبلين

ولنعد الى حديث الحركة .. فقد درسنا موقف الوفد بعد ذلك على ضوء هذه الاجابة الواضحة من سراج الدين .. وعلمنا بوسائلنا الخاصة أن سراج الدين قد اخفى نبأ هذه المقابلة عن جميع وزراء الوفد فى ذلك الوقت .. وانه أراد أن يبقى أمرها سرا بينه وبيننا .. وبين مصطفى النحاس .

والواقع أن هذا الموقف من الوفد قد أثر تأثيرا كبيرا فى الأيام التى تلت ذلك ..

فقد كانت حوادث القنال تتفاقم يوما بعد يوم .. وكان شباب مصر يقوم بأعمال عظيمة وهو أعزل من كل سلاح الا وطنيته وايمانه ، وكان رجال البوليس يتحملون العبء الاكبر من أعباء

الجهاد ضد جيش كبير كامل التسلح .. وكان الموقف يفلت من يد حكومة الوفد يوما بعد يوم .. لمحاولتها السير فى اتجاهين واللعب على حبلين فى وقت واحد ..

فقد كانت تساير الملك ، وتعبىء الشعب .. والملك خائف من الشعب متآمر عليه ، والشعب حانق على الملك ثائر عليه .. والحكومة تريد أن تسير فى هذين الاتجاهين المتناقضين .

ولم يكن لنا بد من الانتظار ، لان هذه الحكومة لا تريد أن تقف الموقف الحازم الذى يمكننا من التدخل واقرار الامور ، وايقاف الملك عند حده ، أو الاطاحة به . والسير بالكفاح فى طريقه القويم .

وفجأة تغيرت الظروف جميعا بالمؤامرة الكبرى .. حريق القاهرة ..

حدث هذا الحريق الذى أكل اقتصاديات البلاد ، واطاح بسمعتها ومكن للقوى الرجعية من الانتكاس بانتفاضتها فى لحظة واحدة .. دون انتظار ولا توقع من أحد ..

وكيف كان لنا ان نتوقع حادثا كهذا ..

لقد فوجئنا به ... واعترانا الوجوم أياما ... ثم بدأت جميع حواسنا المعنوية والمادية تعمل معا ، بصورة لم يسبق لها مثيل فى تشكيلنا ...

كنا نريد أن نتبين الطريق ، وان نعرف كيف نضرب ضربتنا ، بعد وقوع هذا الحادث وما تبعه من سوء الموقف الدولى لمصر ، ومن خراب اقتصادى ، وذهول شعبى ، وانتكاس كامل ، وسيطرة الرجعية بصورة لا مثيل لها على كل مرافق البلاد ...

وبدأنا نلاحظ ونراقب ...

فاروق ينتابه الذعر

وكان أول ما أستقرت عنده أفكارنا فترة معينة هو ذلك الذعر الذى انتاب فاروق ، عقب الحادث مباشرة .. والتفكير المضطرب الذى كان ينساق به فى الصباح الى غير ما ينساق به فى المساء .

لقد ذعر فاروق ذعرا شديدا .. وفكر فى الهرب من البلاد . وأعد نفسه للسفر فعلا .. ووجدنا نحن انفسنا فى موقف من يجب أن يعد نفسه للعمل فى اية لحظة ، ومهما كانت الظروف والعقبات .

سنعمل وحدنا

واجتمعنا ، وحددنا موعدا تقريبيا لحركتنا شهر مارس ١٩٥٢ ، أى بعد أيام قليلة من موعد ذلك الاجتماع .. ووضعنا خطتنا كاملة .. وكنا قد راعينا فيها الاساس الاول الذى اتفقنا عليه من بدء التدابير الاولى للحركة ، وهو أن ينفرد الجيش بهذه الحركة انفرادا كاملا ، دون الاعتماد على أية هيئة او جماعة او حزب فقد كانت اتصالات جمال عبد الناصر المتعددة مع جميع الهيئات ، قد أثبتت لنا بصورة قاطعة انه لا توجد هيئة واحدة على استعداد للقيام بأى عمل جدى الى جانبنا ..

واتخذنا هذا الموقف لاكثر من أسبوع .. موقف التأهب الكامل للقيام بالحركة فى أى وقت ..

ولكن الاسبوع الذى مر بعد ذلك جدد أحداثا جديدة فى حياة البلاد ..

فقد اقيلت وزارة على ماهر .. أو استقالت مرغمة ..

وجاء شهر مارس بوزارة الهلالى ، وبأســـلوب جديد .. وهدأت مخاوف فاروق ، وقرر البقاء فى البلاد .. ووجدنا أن فرصتنا تكون أكبر اذا انتظرنا قليلا حتى تتكشف الامور ، ويفيق الشعب من ذهوله الذى أوجدته الاحداث فيه .

وهكذا قررنا تأجيل موعد الحركة الذى كنا قد حددنا له شهر مارس .. وكان هذا هو التأجيل الاخير ..

الثورة ليلة التنفيذ

- كمال الدين حسين يخرج بلا سلاح .
- لماذا عينا رشاد مهنا وصيا على العرش ؟
- مثل للسياسيين الخطأ الوحيد
- يوم مجيد .
- ذكريات خالدة .

كانت اللحظة الحاسمة تقترب بسرعة عظيمة .. وكانت هذه السرعة فى حد ذاتها خطرا مباشرا على كل من له صلة بمسرح الاحداث .. فالحوادث عندما تسرع وتتلاحق ، يخشى أن يفلت زمامها ، بحيث تتحكم هى فى الذين يصنعونها ..

والحوادث ايضا عندما تسرع وتتلاحق ، تكشف مكنونات النفوس وتجلو جواهرها ..

وهكذا كانت احداث شهر يوليو من عام ١٩٥٢ .. الاحداث التى سبقت يوم الثورة .. كانت سريعة متلاحقة ، وكانت تجرى فى اكثر من اتجاه ، وتجرف أمامها أكثر من تيار ، وتنتاب بدوارها كل الرءوس ..

كان الملك فى حالة اقرب الى الجنون .. فمنذ جاءت نتائج انتخابات النادى تحديا صريحا له ، ومنذ وقف ضباط الجيش فى ناديهم ذلك الموقف المكشوف المعادى للملك ، ومنذ بدت فيهم روح الاستهتار الذى لا حدود له بالعرش ، وبالتالى بكل القوى التى كان العرش يستند اليها .. منذ وقعت كل هذه الاحداث ، والملك لا يقر له قرار ..

ولم يكن تأثير هذه الحالة فى الملك يقتصر على تصرفاته

الشخصية فحسب ، ولا على علاقته بالجيش وقيـادة الجيش فحسب ، وانما انعكست هذه الحالة على الموقف السياسى والموقف الوزارى .

فاصبح بقاء الوزير فى وزارته رهنا بما لديه من حلول لهذا الموقف ، أو من آمال فى العثور على الحلول .

ولم يكن فى مصر كلها من يستطيع حل ذلك الموقف . ولذلك لم يكن وزير يبقى فى منصبه ..

وفى هذه الدوامة الصاخبة ، كانت قيادتنا تعمل فى صمت وهدوء وصبر واتزان .. كانت تعد لليوم الذى عرفه العالم كله، وسجله التاريخ .. يوم الثورة ..

يوم الثورة ..

والايام التى سبقت يوم الثورة ..

قد لا يكون مما يهم قراء هذه الصفحات أن اذكر لهم تفاصيل الخطة التنفيذية للثورة .. فهى تفاصيل عسكرية ، كأى خطة عسكرية بسيطة توضع لاحتلال مدينة ، أو اقرار وضع ..

ولكن ما قبل ذلك اليوم وما بعده يهم كثيرا ..

وملابسات التنفيذ فى تلك الليلة تهم أيضا كثيرا ..

لأن ما مر بنا فى تلك الايام ، وما مر بنا فى تلك الليلة بالذات ، هو التاريخ الحقيقى للناس وللشعب ، وللاوضـاع التى سيطرت على البلاد حقبة طويلة من الزمن ..

لـكأن السنين جميعـا كانت ترسب رواسبها مصفاة الزمن

لتراكم هذه الرواسب كلها فى فترة قصـيرة .. هى تلك التى سبقت يوم ٢٣ يوليو ..

وكان صراع الشعب وآماله قد تجمعت أيضا خلال الاعوام الطويلة الكئيبة ، لكى تقود خطى الجيش والشعب فى ذلك اليوم التاريخى المجيد .

وفى خـلال كل ذلك تقع مفـارقات ، وحوادث صـغيرة ، وتصرفات شخصية ، قد نذكرها اليوم فنبتسم ونضحك ، ونحمد الله .. ولكنها حين كانت تقع كانت تؤرق البال . حتى تنتهى !

مع القصر وجها لوجه

ولقد كان القصر فى تلك الايام لايزال شاكا فى قـدرتنا على القيام بحركة كاملة .. ولكنه كان يريد أن يبطش بنا ، استعادة لمكانته التى رأى انها اهتزت اهتزازا شديدا . وقطعا للطريق علينا ، لانه كان يعتقد أننا وان كنا اضعف من أن نقوم بحـركة كاملة ، فنحن على كل حال نستطيع أن نكون التمهيـد الاول للحركة الكاملة ..

كان هو يعتقد هذا .. وكنا نحن نغذى فيه ذلك الاعتقـاد بالاساليب الكثيرة التى اتخذناها ، لتضليله وتضليل رجاله فى القصر ، وفى الجيش ..

ولذلك كان يريد أن يفتك بنا ، وكان يدبر لهذا الفتك .. فى نفس الوقت الذى كنا نحن قد فرغنـا تمـاما من وضع الخطـة الحاسمة ، للفتك به ، بعرشه وحكم أسرته للبلاد ..

ماذا بعد الثورة ؟

كنا قد انتهينا من ذلك تماما .. وكنا لهذا قد بدأنا نفكر فيما بعد الثورة أيضا .. وكنا ايضا قد انتهينا الى قرار ..

ففيما يتعلق بالثورة نفسها ، وبتنفيذ خطتنا ، كان قرارنا هو أن ينفرد الجيش بكل شيء .. فقد قام جمال باتصالات كافية مع جميع الهيئات التى كان يمكن أن تكون عاملا مساعدا فى الثورة ، واذا بالنتيجة الوحيدة التى يخرج بها ، هى أن الجيش يجب أن يتحمل وحده جميع أعباء التنفيذ . لان جميع الهيئات والاحزاب التى اتصل بها ، قد أثبتت أنها غير جديرة بالثورة ، ولا مستعدة لعمل أى شيء ، بل لعل مافيها من رجعية أصيلة كان وحده خليقا بدفعها الى خيانة الثورة ، لو أنها استطاعت الى ذلك سبيلا ..

ومع ذلك فقد بقى علينا أن نفكر فيما بعد الثورة .. فيما يخلف التنفيذ .. ماذا نصنع ؟

هل نحكم ؟

هل نسلم الامر للشعب يصرفه كيف يشاء ؟

ومن الذى يتحمل مسئولية الحكم عندما نترك الامر للشعب ريثما يختار الشعب ممثليه ؟

سؤال يقضى على السؤال الاول قضاء مبرما ؟
فهل نسلم الامر للسياسيين ؟

وأى السياسيين جدير بقيادة البلاد بعد الثورة ؟

وعلى أى أساس يحكمون ؟

وجعلنا نقلب الامور .. نضع كل فرض ثم ندور حوله ، نتلمس أوجه القوة فيه وأوجه الضعف ..

وينهار الفرض الاول ، فنبحث عن الفرض الثانى ..

وهكذا دراسة طويلة خرجنا منها بنتيجة واحدة هى :

أن الجيش لايحكم ، وانما يقوم بالثورة ، ثم يسلم البلاد للمدنيين فى اللحظة التى يفرغ فيها من عمله الكبير ..

أما كيف .. وأى انواع المدنيين .. فلم نستطع ان نقرر شيئا محددا معينا .. وانما اكتفينا بأن نقرر مبدئيا ، اعادة البرلمان المحلول ، وكان هو نفس برلمان سنة ١٩٥٠ ، الذى جاء بأغلبية وفدية ، وترك الحكم لحزب الاغلبية يصرفه ريثما تجرى أول انتخابات نظيفة فى مصر ..

مثل للسياسيين

هذا هو القرار الذى استرحنا اليه ، وشعرنا حياله بالعزة الكاملة ، وروعة المثل الاعلى ..

أليست ثورة على الاوضاع القديمة كلها ..

فماذا كان الطابع المميز للاوضاع القديمة ؟

كان شيئا واحدا ظاهرا .. الجهاد فى سبيل الحكم ، لاالجهاد فى سبيل المثل العليا ، أو فى سبيل الصالح العام ..

الاحزاب كانت هكذا ..

والهيئات كانت هكذا ..

والمستقلون والافراد كانوا هكذا ..

كل كان يسعى الى الحكم ، ليحقق به مصالح شخصية وحزبية . وكل كان يجعل الصالح العام فى المرتبة الثانية على أقل تقدير ..

ولذلك أردنا أن نضرب للشعب مثلا جديدا ، اردنا ان نقدم له صورة جديدة يرى فيها وجوه أبنائه المخلصين ، لا وجوه حكامه المفسدين ..

أردنا أن نقول له ، لقد انجبت افرادا يستطيعون ان يكافحوا فى سبيلك لافى سبيل أنفسهم .. وأن يصلوا الى الحكم فى سبيلك لافى سبيل انفسهم .. ولكنهم لايحكمون .. لايحكمون لانهم حقيقة ـ لم يعملوا فى سبيل الحكم ، ولكن عملوا فى سبيلك ، ولك أنت وحدك بعد ذلك أن تحكم ، وأن تختار من يحكمون .

لم يكن احد يترك الحكم مختارا .. فأردنا أن نتركه مختارين .. أن نتركه والشعب يدمى أيديه تصفيقا لنا ، ودفعا بنا الى مقاعد الحكم .. أن نتركه وقد حققنا الامنية الاولى لكل مصرى عاش فى خلال القرن الاخير .. أمنية الخلاص من حكم أسرة محمد على وملوك أسرة محمد على .

أردنا ان نضرب مثلا للسياسيين .. مثلا يقنعهم بالدليل الواقعى القاطع ، بأن الوضع كله قد تغير .. تغير من أساسه الى الحد الذى أصبح الحاكم يترك الحكم فيه فى يوم نصره الكبير

أردنا ان نقول له ، لقد انجبت افرادا يستطيعون ان يكافحوا فى سبيلك ، مادام الحاكم لايقصد به الا مصلحة الوطن ، واننا لذلك نترك الحكم ، أو نترفع عنه .. نأباه لانفسنا لاننا لانريد أن نحكم ، وانما نريد لمصر أن تحكم حكما صالحا .. وان نكون نحن بعض جنود هذا الحكم الصالح النزيه .

واعتقدنا اننا اذا فعلنا ذلك ، فقد قضينا على كل أمل للسياسيين فى أن ينظروا الى الحكم كوسيلة للكسب او الاثراء او استغلال النفوذ .. فان وضع المثل الصالح امام اعينهم كفيل بدفعهم الى احتذائه او التمثيل به .

الخطأ الوحيد

كم كنا طيبين بسطاء .. وكم كنا متفائلين .

لقد قدرنا كل شيء من أعمالنا العسكرية ، فأحسنا التقدير ولم نخطيء مرة واحدة .

ولكننا قدرنا فى هذه المرة ، فأخفقنا الواقع .. وغلب فينا التفاؤل على ادراك حقيقة الواقع ..

عندما نصل الى الحديث عما تلا الثورة من الاحداث : سيأتى تفصيل الامر كاملا .. وسيعرف الناس لماذا حكم على ماهر شهرا ، ولماذا تولينا الحكم ، وكيف أردنا أن نعيد البرلمان القديم، وكيف قررنا اجراء الانتخابات العامة فى فبراير ١٩٥٣ ، أى بعد ستة أشهر فقط من الثورة ..

كنا نريد أن نغلب الواقع الكريه على أمره .. كنا نريد أن ننتصر على كل شيء حتى على خبث النفوس ..

ولكن أخيرا .. وضح لنا أن المستحيل له وجود .. وأن نابليون لم يكن على حق أبدا .

ولكن هذا سنتركه اليوم .. نتركه كما تركناه يوم فكرنا فيه ، ثم لم تكد نستقر على رأى ، حتى أدرنا عيوننا وجهة اخرى .. بدأنا نعد للتنفيذ ، ونترقب الاحداث ..

يوم مجيد

وجاء يوم ٢٣ يوليو ، ليظهر لنا أشياء كثيرة .. ليظهر لنا أن تقديراتنا كانت صحيحة تماما .. وأن الله كان يرقب حركتنا، ويقدر لها معنا كل مايكفل لها النجاح .. وان الشعب كان كله فى انتظار القيادة التى تقوده الى النصر .. فينتصر ..

ولعلى لست مستطيعا أن أورخ تاريخ شاهد العيان للايام التى سبقت ٢٣ يوليو مباشرة .. فقد كنت اذ ذاك فى رفح .. وعندما وصلنى الامر من جمال بالعودة ، عدت مباشرة ، ولكنى لم أكن أفطن الى أن الحركة مدبرة فى الليلة نفسها .. ولعل القراء يدهشون اذ أروى لهم انى جئت من السفر ، وتوجهت مباشرة الى احدى دور السينما .. فما أن عدت فى منتصف الليل الى منزلى ، حتى وجدت اشارة التنفيذ ، فلم ألبث لحظة واحدة ، وانما مضيت من فورى الى القيادة .

وهناك أصبحت نكتة تروى ، ونادرة يتندر بها الزملاء ..

فما أن يسأل واحد منهم فى أى اجتماعاتنا — حتى اليوم — اين أنور ، حتى يجد من يجيب : فى السينما ..

ولذلك أقتصر على مارأيته ، وماشاركت فيه قبيل الحركة وأثناءها ..

تهديد نجيب

ولعل أخطر مامر بنا قبيل الحركة ، هى المحاولة الاخيرة من القصر ، التى انتهت بقرار حل مجلس ادارة النادى ..

فقد أرسل القصر الى نجيب تهديدات كثيرة بنقله من

القاهرة .. وكان مغزى هذا النقل ، هو اجباره على الاستقالة ، أو دفعه اليها .. كما وجد من رؤساء الوزارات من حاول أن يغريه اليها بكرسى الوزير ، وكان علينا أن نحافظ على بقائه ضابطا معنا ، بعد أن استقر رأينا على تكليفه بقيادة الثورة .

واجتمعنا فى تلك الايام ، وبحثنا الامر ، ثم توجه جمال الى نجيب ، وطلب منه الا يستقيل أبدا مهما هددوه ومهما صنعوا به ، وأن يعمل على المحافظة على نفسه ، وعلى مركزه فى الجيش، بأى ثمن وبأية وسيلة .. وطلب منه طبعا فى حالة عرض الوزارة عليه أن يرفضها ..

ووافق نجيب على ذلك .. وفعلا لم يخضع لعوامل التهديد ولا لعوامل الاغراء ، ولم يقبل شيئا مطلقا ..

وكان لهذا الرفض طبعا عواقبه .. اذ ترتب عليه صدور القرار بحل مجلس ادارة النادى ، وأن يقوم محمد نجيب بتسليم النادى لاخيه ، اللواء على نجيب .. على أن يتكون للنادى بعد ذلك مجلس ادارة مؤقت ..

وهذه طبعا كانت الشرارة المباشرة المؤذنة بالحركة ..

ذكريات

وفى يوم الحركة ، لكل منا ذكريات .. وذكريات ..

فى ذلك اليوم نفسه ، كان جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين ـ مثلا ـ لايزالان يقومان بالتدريس فى كلية أركان الحرب فعلا .. ولم يبد عليهما للضباط أى شىء .. رغم أن خطة تنفيذ الحركة نفسها كانت مستقرة مطمئنة فى جيب سترة جمال ..

ويذكر كمال الدين حسين ، انه فى نفس يوم ٢٢ يوليو ظهرا كان يناقش بعض طلبة الكلية .. وأخذ الطلبة يسألونه اسئلة ، واذا به يذكر أن هناك واجبا عليه ، أهم من مناقشة الطلبة ، والاجابة على اسئلتهم فى ذلك اليوم فأخذ يتهرب من اجاباتهم ، و «يكلفت» الشرح «كلفتة» ظاهرة ، وطلبته فى اندهاش .. لان الذين يعرفون كمال يعرفون مدى دقته واخلاصه لعمله وعنايته فيه بكل صغيرة وكبيرة ..

ولكن هؤلاء الطلاب ، رأوا كمال بعد الحركة لكى يحاسبوه على هذه «الكلفتة» التى لم تغب عنهم ، والتى لم يكونوا يدركون فى ظهر ذلك اليوم السبب فيها .. وكانوا يستغربون ..

ولايكاد كمال يذكر هذه القصة ، حتى يذكر كيف خرج لاداء واجبه فى تلك الليلة .. وليس معه سلاح .. فهو يروى انه اتفق مع جمال على أن يزوده ببعض الاسلحة ليخرج بها هو ورجاله .. وتأتى ساعة التنفيذ ، فيفاجأ كمال ، بأن جمالا لن يستطيع تزويده بالاسلحة لان المخزن الذى كان متفقا على أخذ السلاح منه كان مغلقا ..

وقال كمال الدين حسين توكلت على الله وأخذت رجالى ، وليس معهم جميعا سوى طبنجة واحدة .. ومضوا الى سلاح المدفعية .. سلاح كمال .. ومن هناك أخذ كل ضابط سلاحه ، وخرجوا الى عمليتهم ..

ومثل هذه الذكريات يذكرها الآخرون ..

يذكر جمال سالم وصلاح سالم ذكريات من رفح ومن العريش ..

موقف رشاد

فقد كان جمال فى العريش ، وكان صلاح فى رفح .. والى كليهما وكلت عمليات الثورة فى ذلك القطاع ..

وكان أدق ما يواجههم هناك ، هو وجود رشاد مهنا ، الذى كان بالعريش ، ولم يكن على علم بشىء عن الثورة حتى تم تنفيذها فعلا ..

وكان على جمال سالم أن يتولى هو قيادة العملية كلها هناك .. برغم انه طيار ، وأن صلته ليست وثيقة بضباط الجيش بطبيعة الحال ..

ويذكر جمال سالم أنه طلب معونة رشاد مهنا ، فرفض أن يذهب فى تلك الليلة ، رفض أن يذهب الى قيادة القوة أو ان يظهر بأى صورة من الصور ..

ولقد كان رشاد مهنا فعلا مشكلة لنا .. فقد كان التشكيل قد قرر عدم تكليفه بأى عمل من أعمال الاحرار .. وكان رشاد نفسه متباعدا نائيا بنفسه عن الشبهات ، ولكنه مع ذلك ، كان قد اقنع عددا كبيرا من ضباط المدفعية ، بأنه وراء كل اصلاح يجرى فى داخل الجيش ، وكان قد كسب بذلك ثقتهم .. ولذلك لم يكن سهلا علينا أن ننزع هذه الثقة ، لان ظروف الثورة نفسها لم تكن تحتمل مجادلات ، وكان هذا يعنى أن نحافظ على صلتنا برشاد ، ودية سليمة ، محافظة منا على القوة التى كانت تؤمن به ، وتثق فيه ..

وجاء .. فى موكب

وعندما نجحت الثورة فى القاهرة ، أصدرت قيادتنا اوامرها الى رشاد بأن يبقى فى العريش وان يقوم بقيادة الفرقة هناك ..

ولكن رشادا لم يخضع لهذا الامر .. بل عاد الى القاهرة فى يوم ٢٥ يوليه ، ودخل الى القيادة فى موكب من الضباط والحرس ، ثم سافر الى الاسكندرية ، ليحضر خروج الملك باعتباره مشتركا فى العملية وفى قيادتها ..

واتقن رشاد دوره حتى ظن أكثر الضباط انه عمود كبير جدا من أعمدة الثورة ، وذهبوا يرددون ماكان يختلقه لنفسه من أدوار وهمية عظيمة ..

ولاشك أن هذا التصرف قد أثر فينا فى ذلك اليوم ، ولكن المهم هو ان تنجح الثورة فقط .

.. أما جمال ، فقد دعا اليه رشادا ، وكلمه على انفراد ، ولامه كثيرا على هذا التصرف ، حتى اعتذر رشاد .. وبكى ..

وعيناه وصيا

وعند خروج الملك ، وبحث مسألة الوصاية قررنا تعيين رشاد مهنا وصيا على العرش .. وكانت أسباب هذا التعيين هى :
أولا تعيين أحد الضباط وصيا على ألا يكون هذا الضابط من أعضاء مجلس القيادة حتى نحتفظ بجماعتنا كاملة داخل المجلس .. وثانيا لان رشادا كان بطبعه يحب المظهر الكبير ، وكان هذا المنصب كفيلا بارضاء نزعاته ..

وفعلا ، عينا رشادا وزيرا للمواصلات تمهيدا لتعيينه وصيا

.. وذهب جمال سالم اليه ليبلغه بذلك .. فاذا به ـ أى رشـاد ـ يبـكى وينتحب .. ويقول وهو يشرق بالدموع .. أنا لااستحق كل هذا .. أنا منـذ الآن ، خـادم المجلس .. وخادم الثورة ..

قال هذا .. ولكن .

ولكن بينما كانت جماهير الشعب كلها تهتف بحياة الثورة، وبينما انطلقت أصواتها الحبيسة تطالب بالاصـلاح ، وتعلن عن فهمها لحقيقة الثورة الكبيرة ، وانها لايمكن أن تكون مجرد عملية لاخراج فاروق .. وبينما كان الكادحون يبثون آلامهم للقادة ، والقادة يعلنون آمالهم للشـعب .. كان رشـاد مهنا ، وظغمـة الاقطاعيين والسياسيين ، قد بدءوا فى الوقت نفسه يتآمرون على الثورة .. وعلى حقوق الشعب ..

لقـد نجحت الثورة .. ولهم هم أن يكسبوا مغانمها .. أليس لكل شىء ناجح أرباح ، والم يكونوا هم وحـدهم الذين يستولون على الارباح دون الشعب ؟ ..

وهذه قصة بدأنا بها المذكرات .. ولابأس من أن نختتمهـا بها أيضا ...

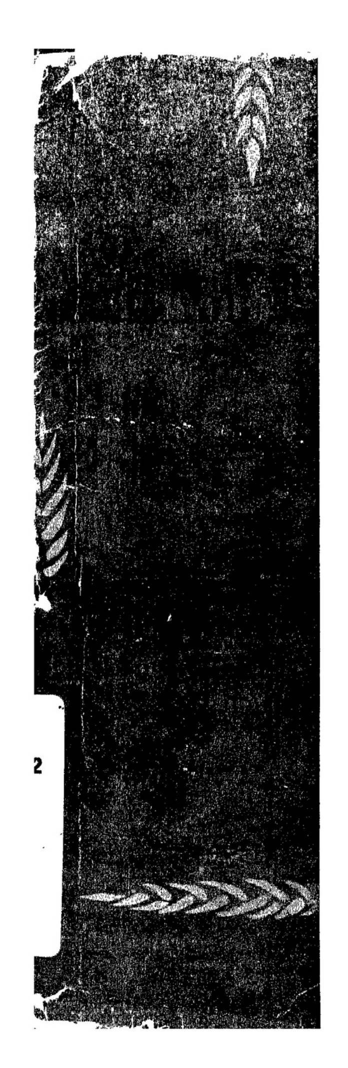
فهرس

الموضوع | الصفحة

مقدمة :

الموضوع	الصفحة

الدار القومية للطباعة والنشر



الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٣١١

١٩٦٥/٧/٣٦